

الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين

فهرس

| | | |
|-----|--|---------------------------|
| ١٨٥ | المذبذبون في الأرض (قصة) | طه حسين |
| ١٩٩ | الانتداب والوصاية والاستعمار | محمد عوض محمد |
| ٢١٤ | بين تركيا وروسيا | محمد رفعت |
| ٢٢٥ | في ردهة الرقص (قصيدة) | علي الخطيب |
| ٢٢٨ | قصة معبد (قصة) | سهير القلماوي |
| ٢٤٣ | تاريخ بعيد نفضه في شرق الأردن | سليمان حزين |
| ٢٥٦ | رحلة في برقة | عزيز سوريال عطيه |
| ٢٦٨ | عصبة الأمم القديمة وعصبة الأمم الجديدة | محمد عبد الله عنان |
| ٢٧٦ | أبو عبيدة | طه الحاجري |
| ٢٩٠ | مقاومة الذعر من الواقع | ريمون جبران |
| ٣٠٤ | مقاصر (قصة) | حسن محمود |
| ٣١٠ | چيترا (مسرحية) | ملاغور |
| ٣٢٣ | من هنا وهناك (محمود عزى ، مؤنس طه حسين ، راجيه فهمي) | |
| ٣٣٦ | شهرية المسرح | ٣٣٥ شهرية السياسة الدولية |
| ٣٤٨ | من وراء البحار | ٣٤١ من كتب المشرق والغرب |
| ٣٦٠ | في مجالات المشرق | ٣٥٢ ظهر حديثاً |



تصدرها دار الكاتب المصري
شركة سامية مصرية
القاهرة

الكتاب المصيري

شركة ميثا جيمعة مصرية



اطلبوا قائمة المطبوعات التي تصدرها الدار

بإشراف الدكتور طه حسين بك

الإدارة : ه شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب المصري



المعذبون في الأرض

[إلى الذين يعبدون ما لا ينفعون ، وللى الذين
لا يعبدون ما ينفعون ، يساق هذا الحديث] .

كان يسمى في ظلمة الليل القاتمة ، قد هداً من حوله كل شيء ، وجثم على
الكون سكون رهيب مرهق . ولو قد رفع رأسه إلى السماء رأى فيها نقطاً
من النور ضئيلة منتشرة ، ولكنه لم يكن يرفع رأسه إلى السماء ، ولم يكن يطرق
رأسه إلى الأرض ، وإنما كان يعضى أمامه يمد بصره كأنما يريد أن يخرق به هذه
الحجب الكثيفة من الظلام ، بل لم يكن يلتفت عن يمين ولا عن شمال ، وإنما كان
أشبه شيء بقطعة من الجراد قد صورت في صورة إنسان ، ولو قد عدا أو أسرع
الخطو لجاز أن يشبه بسهم حي يشق هذه الظلمات المتكاثفة أمامه ، ولكنه لم
يكن يسرع الخطو وإنما كان يسمى هادئاً مطمئناً ، لا يتردد في سعيه كأنما تدفعه
إلى أمام قوة خفية رفيقة ؛ فهو يسمى سعيًا مستأنياً رقيقاً ، لا يتعجل شيئاً
ولا يقف عند شيء ، وإنما يعضى إلى غايته كما يعضى الزمان إلى غايته ، في أناة ومهل
وحزم . ولو كان شاعراً أو راوية للشعر أو على حظ من ثقافة ، لذكر تلك الأصبع
الوردية التي تشير إلى ظلمة الليل بأن تنجلي ، أو لتصور سهماً ضئيلاً من الفضة
النقية يعضى في هذه الظلمات المتكاثفة ، فتنهزم أمامه هذه الظلمات متهاككة ،
وتساقط أمامه نجوم السماء في الأفق الغربي كأنما يدعو بعضها بعضاً إلى الفرار

ولكنه رأى نور الفجر يمد لسانه الدقيق من وراء النهر ، وسمع صوتاً قد أقبل من ورائه في الجو ضئيلاً نحيلاً ماضياً أمامه إلى الشرق ، كما بما يريد أن يلقى بالتحية والترحيب ذلك الضوء الضئيل . ثم رأى النور يمتد طويلاً وينبسط عرضاً حتى أحس كأن الجو كله قد أخذ يمتلئ نوراً وغناء . فأما النور فكان يوقف الأشياء وينبئها بمطلع الفجر . وأما الصوت فكان يوقف الأحياء وينبئهم بأن الصلاة خير من النوم . ولم يذكره شيء من هذا كله بشعر ولا بنثر ولم يخرج من أحقاد ذاكرته أدباً قديماً أو حديثاً ، لأنه لم يكن من هذا كله في شيء ، ولم يكن يقدر أن شيئاً من هذا كله يمكن أن يوجد أو يحظر لأحد على بال . وكل ما في الأمر أن أغاه الشيخ الضرير قد قال له ذات يوم : إنك تسعى في ظلمة الليل فتطيل السعي ، وتمتد بك الطريق مخوفة غير آمنة ، فاحفظ هذه الآية من القرآن ورددها في قلبك أو بلسانك ، فإنها تؤمنك من خوف ، وتؤنسك من وحشة . ثم اقرأ الآية الكريمة : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » . فكان لا يخرج من بيته الحقيق المتضائل ساعياً إلى النهر في ظلمة الليل ، إلا ترددت هذه الآية في صدره تردداً متصلاً ، فلا تضميره أمناً وراحة وهدوءاً . فإذا أحس نبأه من قريب أو من بعيد ، تجاوزت هذه الآية الكريمة قلبه إلى لسانه واندفع بها صوته إلى الفضاء ، فأمن كل كيد وجنب كل مكروه .

وكان في تلك الليلة يمضي أمامه ، تؤنس قلبه هذه الآية التي تردد فيه . فلما رأى ما رأى ، وسمع ما سمع ، لم يخف شيئاً ، ولم يذكر شيئاً ، وإنما كف عن التلاوة ، وسأل نفسه مسرعاً : أيمضي إلى النهر أمامه ، أم يرجع إلى المسجد وراءه حتى إذا أدى الصلاة مضى إلى النهر ، فاستخرج منه ما ساقه الله إليه من رزق ؟ ولم يشك طويلاً حين ألقى على نفسه هذا السؤال ، وإنما استدار إلى المسجد فأدى صلاته لم يكلم أحداً ولم يكلمه أحد ، ثم استأنف سعيه إلى النهر هادئاً مطمئناً وحيداً ، لا يذكر شيئاً ولا يكاد يفكر في شيء ، وإنما هو قطعة جامدة قد صورت في صورة إنسان تمضي أمامها في أناة ومهل ، لا تنظر في السماء ولا تنظر في الأرض ، ولا تلتفت إلى يمين ولا إلى شمال ، ولا تحس جلال الليل المنهزم ، ولا جمال الصبح المنتصر ، وإنما خرجت من ذلك البيت الحقيق وسعت إلى ذلك النهر العظيم ، تلتبس فيه ما ساقه الله لها من رزق . فلم

يكن قاسم شاعراً ولا راوية للشعر ، ولا محباً لجلال الليل وجمال النهار ، بل لم يخطر له قط أن الليل جلالاته ، وأن للنهار جمالاته ، فلم يكن قاسم إلا رجلاً جاهلاً بالأسرار مريضاً ، يلتصق في النهر ما يستعين به على أن يقيم أوده ويقوت امرأته أمونة ، وابنته سكينه ، في بيته ذلك الحقيق . ولولا أن قاسم كان يردد في صدره هذه الآية ، ويؤدي صلاة الفجر إن أدركته في طريقه إلى النهر ، ويفكر أيسر التفكير وأهونه في بيع ما يخرج له من سمك النهر ليقوت نفسه وأهله ، لولا ذلك لكان سعيه بين بيته وبين النهر شيئاً غريباً خالصاً يشبه سعى النمل والنحل إلى أرزاقها .

وقد كان قاسم عليلًا قد نهكه المرض ، وكاد يسيل جسمه سلا ، رس أجل ذلك لم يكن يجد ولا يكد ، ولا يضطرب في شؤون الحياة كما يضطرب غيره من الناس ، وإنما كان ينفق أيسر الجهد ليمسك الحياة على نفسه وعلى أسرته الصغيرة . يسعى إلى النهر بين حين وحين ، فإن ساق الله إلى شبكته شيئاً من السمك باعه في غير مشقة ولا مساومة ، ثم عاد بما يغل ذلك عليه من نقد فاشترى في كثير من الفتور والسأم ما يصلح أمره وأمر زوجته وابنته ، ثم يعود بذلك كله إلى البيت فيلقيه بين يدي أمونة إلقاء ، ويسعى متخاذلاً متهاكاً إلى حصير بال رث قد ألقى في ناحية من نواحي البيت ، فيمتد عليه ضئيلاً نحيلًا يكاد السقم يفتنيه إفناء . وما يزال على حصيره ذاك لا ينطق بكلمة ولا يفكر في شيء حتى تهى امرأته ما يمكن أن تهى من الطعام فتضمه بين يديه ويصيب ثلاثتهم منه ما يصيبون . وما أكثر الليالي التي لم يكن قاسم ينهض فيها للصيد ! يقعد به الداء ، وتثقل عليه العلة فيستقر في مكانه مثبتاً لا يأتى حركة ولا ينطق بكلمة ، وفي نفسه ما فيها من حسرة وألم إن استطاعت نفسه أن تحس حسرة أو ألماً . وربما كلف نفسه فوق ما تطيق ، وحمل جسمه أكثر مما يحتمل ، ونهض وهو لا يقدر على النهوض ، وسعى وهو لا يقدر على السعى ، وبلغ النهر فوجده كريماً بالقياس إلى غيره من الناس ، بنحلاً بالقياس إليه ، فعاد إلى بيته مكدوداً محزوناً ، صفر اليدين ، وألقى إلى امرأته نظرة حزينة مريضة ، ومضى إلى حصيره فامتد عليه لا يقول شيئاً ولا يصنع شيئاً .

هنالك كانت أمونة تخرج متباطئة ، فتلم بهذه الدار أو تلك تعين أهلها من أمرهم على بعض ما يصنعون ، وتعود حين يلتصق النهار ،

وقد حملت ما يمكك عليها وعلى زوجها وابنتها الحياة ويرد عنهم الجوع .
في ذلك الصباح خرج قاسم من المسجد بعد أن أدى الصلاة فسمى إلى النهر
مطمئن القلب هادئ النفس على ثغره ابتسامة ضئيلة شاحبة تريد أن تصور الراحة
والرضا فلا تستطيع أن تصور إلا حزناً عادئاً فيه شيء من أمل يسير . وقد صادف
النهر كريماً في ذلك اليوم ، وساق الله إليه رزقاً حسناً ، فخرجت له شبكته بسمكة
عظيمة لم يكدي يحس ثقلها ولم يكدي يرى طولها وعرضها حتى اضطرب في قلبه
فرح ضئيل ، اتسعت له الابتسامة التي كانت مرتسمة على ثغره ، وذهب عنها
ما كان يظهر فيها من شحوب ، ولمع في عينيه الصغيرتين نور منها لك ضئيل . ثم
أحسن أنه لن يستطيع أن يحمل صيده إلى أمد بعيد ، فأقام أمامه ينظر إليه حيناً
وإلى النهر حيناً ، وتلفت من حوله حيناً ، ويرفع رأسه إلى السماء بالشكر حيناً ،
وينتظر أن يمر به بعض الأصحاء من شباب المدينة فيحمل له هذا الصيد إلى بيت
العمدة . فقد استقر في نفسه منذ رأى هذا الصيد الرائع الجميل أنه لا ينبغي أن
يباع في السوق ، وإنما ينبغي أن يحمل إلى بيت العمدة هذا الرجل الموسر الذي
يرفق به ويعطف عليه ويوصيه بين حين وحين بأن يحمل إلى داره ما قد يتاح له
من صيد حسن .

وكانت فتاة من فتيات الدار قد نهضت مع الصبح قبل أن تستيقظ الأميرة
من نومها ، فبدأت بما تعودت أن تبدأ به مع الصباح من كل يوم ، وأخذت
تلكس فناء الدار وترده إلى هيئته التي ينبغي أن يكون عليها ، فتصف الكرامى
في أماكنها ، وتنفض التراب عن تلك الدكة الطويلة التي كانت تمتد في صدر
الفناء ، وتهيئها لمجلس سيدنا حين يقبل مطلع الشمس ليقرا سورة ويشرب
القهوة ويتحدث إليها حديثاً يطوله حيناً ويقصره حيناً حسب ما يكون عليه من
عجلة أو ريث . وإن الفتاة لفي ذلك وإذا بالباب يطرق طرقاً خفيفاً ، فإذا فتحت
رأت قاسماً حزناً تظهر على وجهه الشاحب آية الرضا والامل ومن ورائه غلام
يحمل عنه عبثه . فحيا قاسم وحيا معه الغلام ، ثم دخل الرجلان صامتين ووضعوا
صيدهما العظيم على هذه الدكة في صدر الفناء . وقال قاسم في صوته الخافت
المريض : ما أشك في أن السيدة ستسر بهذا الصيد . وهم صاحبه أن ينصرف
ولكن الفتاة ألقت في يده شيئاً فقبله راضياً وولى محبوباً . وهم قاسم أن ينصرف

ولكن الفتاة أشارت إليه أن أقم ، ثم غابت عنه لحظة وعادت إليه بقليل مما يؤكل ويقدح من القهوة فأكل وشرب ودما . وهو في ذلك وإذا سيدنا الضرير يقبل كما تعود أن يقبل في كل صباح متكلفاً شيئاً من العنف في دفع الباب أمامه رافعاً صوته بدعاء ربه الستار ، يريد أن ينبيء الأسرة بمقدمه . حتى إذا أغلق الباب وراءه في غير رفق سعى إلى دكتته في صدر الفناء ولكنه لم يكده يجلس حتى وثب مرتاعاً وجلاً ، قد ملكه دعر ضرير مثله لم يعرف كيف يظهر ولا في أي عضو من أعضائه يظهر ، فوجهه يضطرب ، وجسمه يرتعد ، ويداه تذهبان وتجيئان في الهواء ، وفمه مفتوح عن أسنان متحطمة ، وصوته يتردد في حشجة بين جوفه وشفتيه . ويرى قاسم وتري الفتاة معه هذا المنظر ويشهدان هذا الدعر فيدفعان إلى ضحك طال متصل . ويثوب سيدنا إلى نفسه وقد أمن بعد خوف وظن أن فتيتان الدار وفتياتها قد كادوا له بعض الكيد . حتى إذا علم آخر الأمر أن أحداً من أهل الدار لم يهين له كيداً ، وإنما أخطأ قاسم فوضع هذه السمكة في غير موضعها ، وشغلت الفتاة بالصيد والصائد عن مقدم سيدنا فلم تهين له مجلسه . تضاحك الشيخ الضرير من نفسه ومن قاسم ومن الفتاة ، ثم جلس على كرسيه وأبى أن يقرأ السورة حتى يشرب قهوة قبل القراءة لا تغني عن قهوته تلك التي تعود أن يشربها متى فرغ من الترتيل . وقد شرب القهوتين ، ولكنه قال وهو ينهض للانصراف : إن حكمة الله بالغة ، لقد ضحكتماني وأضحكتاني من نفسي ، ولكن الله قد أراد بي خيراً ، فلن أتكلف لأهلي طعاماً منذ اليوم انبئ السيدة يا ابنتي بأن هذه السمكة قد ملأت قلبي رعباً وبأنني أنتظر منها نصيبي حين يتقدم النهار ، وما أشك في أنكم ستأخذون منها ألواناً مختلفة ، وما أرضى أن ترسلوا لي لونا واحداً وإنما يجب أن أصيب من هذه الألوان جميعاً . وانصرف الشيخ الضرير راضياً عن نفسه مستبشراً بهذا اليوم الذي يسر الله فيه رزقه حسناً دون أن يسعى إليه . والله يرزق من يشاء بغير حساب .

وقد استيقظت الأسرة كلها على دعر الشيخ الضرير وعلى تضاحك الصائد والفتاة وعلى قراءة القرآن ، فأخذت تستقبل النهار كما تعودت أن تستقبله يعمل بعضها ، ويكسل بعضها ، والصائد في مكانه لا يبرحه لعله نسي نفسه ، أو لعله ينتظر عن صيده ، أو لعله قد أنس إلى الدار لما أكل فيها وما شرب ، وما وجد من تسلية من همه وسقمه . ومهما يكن من شيء فقد رآه صاحب الدار ، فقال له قولاً حسناً

ووضع في يده قروشاً ، وخرج الصائد راضياً مغتبطاً ، ولكنه لم يحض إلى داره وإنما استدار وذهب إلى السوق .

والقارئ يستطيع أن يلاحظ أننا قد اتينا إلى مفرق من مفارق الطرق في هذا الحديث ، فأنا أستطيع أن أذهب معه إلى السوق التي ذهب إليها قاصم الصياد . وأنا أستطيع أن أذهب إلى هذه الدور ، التي يلم بها سيدنا كل صباح ليقرأ القرآن ، ويشرب فيها القهوة ، ويجاذب أهلها أطراف الحديث ، لا يضعف صوته ، ولا يضيق جوفه بما يلقى فيه من أقذاح القهوة المرة . ثم أذهب معه إلى الكتاب الذي سينتهي إليه سيدنا حين يرتفع الضحى وتوشك الشمس أن تزول . وأنا أستطيع أن أترك قاصماً يشتري في السوق ما يشاء ، وأن أترك سيدنا يطوف بالدور وينتهي إلى الكتاب ، وأن أقيم في الدار لا أرحها ، وإنما أتبع السمكة إلى حيث نقلت من الفناء واستقرت في مكانها من المطبخ بين الفرن وهذا الصف الطويل من الكوانين التي تختلف سعة وضيقاً ، وارتفاعاً وانخفاضاً ، وأشهد إقبال النساء على هذه السمكة العظيمة ، ينظفنها ويقطفنها ويهيئها لما يراد أن يتخذ منها من ألوان الطعام . ولكني لن أقيم في الدار ، ولن أتبع قاصماً ، ولن أتبع سيدنا ، وإنما سأخرج من الدار وسأنحرف إلى الشمال فأسعى حيناً ، ثم أنحرف إلى الشمال مرة أخرى ، فأسعى قليلاً ، ثم أنحرف إلى يمين فأمضي أمامي خطوات ، ثم أجدي أقصى هذه الحارة الحقيمة حجرة حقيمة قد اتخذت من الطين ، لامن الحجارة ولا من الطوب الأحمر ولا من اللبن ، وإنما اتخذت من الطين الذي سويت قطع منه تسوية ما ، وخليط بها شيء من القش والتبن ، ورص بعضها إلى بعض ، حتى ارتفعت في الجو ارتفاعاً ما ، وأحاطت بقطعة متضائلة من الأرض ثم ألقى عليها شيء من سعف النخل فأصبح لها سقفاً ، ثم نصب في فرجتها لوح ضيق قليل الطول من خشب رقيق فأصبح لها باباً . فهذا البيت هو الذي أوثره على السوق ، وما يمرض فيها من السلع وما يدار فيها من التجارة ، وعلى الدور وما يكون فيها من حدث ، وعلى الكتاب وما يكون فيه من جد ولعب ومن سذاجة ومكر .

أوثر هذا البيت الحقيم لأنني أحب أن أجده فيه أمونة وابنتها سكينه وقد استقبلتنا النهار بالستين كما استقبلتنا الليل بالستين . أحسنا قاصماً وهو ينهض

متناقلا في جوف الليل ، ويخرج متناقلا يحجر قدميه ، ويفلق الباب الضئيل من ورائه ، وينغمس انغماساً رقيقاً مستأنفاً في ظلمة الليل يرجو أن يبلغ النهر وأن يجد فيه رزقه ورزقهما . أحستا نهوضه في جوف الليل ، فلم تنهض معه ولم تقولاً له شيئاً . ولم تنهضان؟ وما عسى أن تفعلان؟ ولم تقولان؟ وما عسى أن تقولان؟ مضى قاسم وأقامتا واشتملتهما الليل ساكنتين ناعمتين كما اشتمله يقظان ساعياً . وأسفر الصبح لهما ساكنتين ناعمتين كما أسفر له ساعياً إلى الرزق . فأما ما فقد نهضتا من نومهما حين أشرقت الشمس فجلست كل واحدة منهما في مكانها واجبة لا تدرى ما تصنع ولا تعرف ما تقول . وظللتا تنتظران قاسماً لعله يعود إليهما بشيء من خير . وقد جرت العادة إذا طال عليهما الانتظار أن تصيبا شيئاً من خبز جافٍ تبعدان به الجوع عن نفسيهما أو تبعدان به نفسيهما عن الجوع ، وربما خرجتا من البيت فتحدثتا إلى الجارات .

وسكينة فتاة في السابعة عشرة من عمرها ، فيها دعة ولين ، وفيها سذاجة تشبه الغفلة ، وعلى وجهها مسحة من جمال توشك أن تروق الناظرين ، لولا ما يبدو على الفتاة من الضر ، وفي جسمها تناسق وفي قدها اعتدال يظهوران للناظر دون أن يتكلف التماسهما . فالفتاة عارية أو كالعارية ، لا تستر جسمها إلا أسماط تتكشف هنا وهناك عن حسن أليم .

على أن وجومهما في ذلك الصباح لم يتصل إلا قليلاً . وقد قالت أمونة لا بلتها فجأة في صوت قاتر منكسر : ألم تنهضى وتركي البيت بعد أن خرج أبوك إلى النهر بساعة قصيرة ؟ قالت الفتاة : بلى قد نهضت وخرجت من البيت ، ولكنني عدت بعد لحظة . قالت أمونة : فاني قدرت ذلك وانتظرت أن تعودى بعد لحظة ، ولكن هذه اللحظة طالت واشتد طولها حتى أشفتك عليك من بعض الشر ، وحتى هممت أن أخرج في التماسك ولكنني أكرهت نفسي على البقاء مخافة أن يفطن إلينا الجيران . وما زلت انتظرك وانتظرك حتى أسفر الصبح وإذا أنت تقبلين مترفة وتدخلين متلصصة وتندسين في مضجعمك حريصة على ألا أحس مقدمك كما كنت حريصة على ألا أحس انسلاكك من البيت . فإلى أين ذهبت ؟ وماذا كنت تصنعين ؟ وقد سمعت سكينة حديث أمها مرفوعة الرأس أول الأمر ولكنها لم تلبث أن انخفض رأسها فجأة ، كأنها عجزت الأعصاب والعضلات أن تمسكه فانكب نحو الأرض انكباً . ولبثت الفتاة صامتة لا تقول شيئاً

جامدة لا تأتي حركة . وقد أعادت أمها عليها المسألة مرة ومرة ، فلم تظفر منها برجع الحديث . هنالك تنمرت أمونة ، وظهر في وجهها شيء من الجدة ، لم يلبث أن استحال إلى غضب منكر عنيف . وقالت لا بلتها في صوت مكظوم : سنبثيني إلى أين ذهبت وماذا كنت تصنعين ؟ ثم انحرفت بنصفها الأعلى إلى يمين وتناولت عوداً يابساً من سعف النخل كانت تصنعه في تقليب الخبز وإنضاجه ، ثم استقبلت الفتاة ملوحة بهذا العود اليابس ، وهي تقول لها في صوتها المكظوم : سنبثيني أين ذهبت وماذا كنت تصنعين ؟

ولم تقل الفتاة شيئاً ، ولكن العود أخذ يقع بين كتفها في عنف شديد وثبت له الفتاة كأنما دفعها إلى الثوب لولب في الأرض ، أوجذبها إلى الوقوف سبب في السقف . على أن وقوفها لم يطل ، فقد أخذ العود يصيب من جسمها ما شاءت المصادفة الغاضبة ، وإذا الفتاة تبحو وقد جمعت يديها إلى وجهها وهي تتلوى من الألم ، تدافع شبيهاً يريد أن ينطلق ويكاد أن ينفجر عنه حلقها . ثم يستأثر الغضب بأمونة ، فإذا هي لم تبق امرأة ، وإنما استحالت إلى جنينة ثائرة ، وقد ألقت العود من يدها ووثبت في سرعة وخفة ، فكبت الفتاة على وجهها وجمعت شعر البائسة بين يديها ، وجعلت تجذب الفتاة من شعرها في غير رفق وتدفع بقدميها وجهها في غير نظام . وقد انفجر صوت الفتاة عن صيحة منكرة ، فتلقي أمونة نفسها على ابنتها وتضبط بيدها على فم الفتاة وتنبيهها في صوتها المكظوم دائماً بأنه الموت إذا لم تكظم صوتها ، ولم تضبط نفسها ، ولم تنبيهها في هدوء وصدق إلى أين ذهبت ، وماذا صنعت ، حين انسلت من البيت في ظلمة الليل .

وقد ضاق صدر الفتاة لثقل ما حملت من جسم أمها ، ولهذا الضغط المتصل على فمها ، فاستيقنت أو كادت تستيقن أنه الموت ، ولكنها جاهدت جهاداً عنيفاً حتى تخلصت من ثقل أمها واستوت جالسة ، وظهر في وجهها هدوء حازم عنيد ودفعت يد أمها عن فمها وقالت في صوت مكظوم كصوت أمها ولكنه ينم عن التحدى والعناد : تريد أن تعلمي إلى أين ذهبت وماذا كنت أصنع حين انسلت من البيت في ظلمة الليل ؟ فاعلمي إذن أنني لقيت زوج عمتي غير بعيد من مزرعته ، وأقمت معه ما أقمت ثم رجعت حين كاد الصبح أن يسفر . أعلنت الآن ما كنت تجهلين ؟ أراضية أنت بما عملت ؟

وجئت أمونة شيئاً ثم قالت مستخزية : ومتى لقي الفتيات أزواج عماتهن في

جنى الليل إلى الرقبة حتى شئت في وضع النهار . قالت لعمري لقد في وضع
الرب . وأنه في ظلمة الليل ، ذلك شأنه وشأنى ، وما أت وذلك إله لا يعيب
من قريب ولا بعيد . هناك استألف العود تزيقه لحسم الفتاة ، ولكن لفتاة
قلت لأمرى صوت كلفت كلفه . ستكمن بك عى أو ستغيب بالخبر .
قالت أميرة وقد سقط العود من يدها : الحيرة ! يا لعمري ! يا لعمري !
علاها عى سعيها وحملت فتحت غير حاضرة بالحبيب . وضعت الفتاة في مكان
واجهة ساهمة كأنها قطعة من الممر ، عى . لم تلت أن فرقت بين أجفني ، فأبلى
على وجهها دمع غزير .

ون اتقارنى حب لاسمى لاسمى . قل ما بوصف به أنه صابق الكاتب ورأى
عنه الطريق ، وبصره في الوقوف حين كان يؤثر المذنب في كنهه ، وأبصره
بالاسم . ادخل كين يصل الأتة حاور الموضوع الذى يعرجه . ويقول فيه
والقارى لا يكبره ما كنهه من أن هذه الفتاة قد غفلت . وهرت عيها
لها . ولست من تفتق لعمري ، واعترفت لعمري آخر الأمر وبعد مدتها
غداً . لم تفتق لعمري ، ولقد كان بينهما وبين زوج عمتها . ثم لغس .
الامر لا يكتفى بهذا ، وإنما يجب أن يعرف كيف نشأت هذه صله مذكورة
بنات . السابعة عشرة من عمرها ، ورجل قد جاور الشباب ، وهو زوج عمتها .
لولا أنى رفق القارى ، ولا أحب أن تشق عليه ولا أن أردده خائماً حين يجب
لاستطلاع ، لمست في الحديث كما دأبه ، وثابت الانحراف إلى أشعة هذه الفتاة
بعيفة لأن الحيرة بها غرض . واكن لا بد من أن يس منه يد . من حق الكاتب
أن يذهب ، شأن من لم يذهب في كنهه ، ولكن من حق القارى أيضاً
أن يفهم في وضع وجلاء ما يقام إليه . كمن من مقالات وتقدير . وقد
عرف القارى أن قد كن تقسم أخ شمع صبر فرد آية لريمة من قرآن
لرمه من خوف ورأسه من وحشة . فقد بلغنى أن يعرف القارى لأن .
كانت لقاسم أخت فائمة لعب ، خلعت عقول كثير من الشباب حين وأما
خلف ، وابست لها الدنيا ، واستقامت لها الأمور ، ثم تولت عنها الدنيا ، كما
تتولى عن كثير من الناس ، وصاب جسمها ذبول ، ولم ينجها دواء حين
دخلت في الكهولة ودنت من الشيخوخة . وقد كانت حليقة أن تعسر إلى
نفس كبؤس أحب الصياد أو أخيا الضير لولا أنها صادفت الخاح محمود وكان

وحللا تقيم في طرف من أطراف المدينة ، فيه نية من قوة وفصل من شباب ويمثل
 قمر ريط من الأرض يستغني في أسسها يقول . وقد لعبت لأيام بالحاج مخور
 كما لعبت ثلاث لمره ، ثم أحس حاله إلى شيء من الاستقامة ، فصنع الهدوء
 وتكلف التقوى وحافظ على نصرت . ثم سعى إلى الحج وماد وعليه زى من وقار
 ومسحة من ثناء ، فأتخذ هذه المرأة له روحا واستقر في حياة مطمئنة لا يظهر
 أحد منها شيء . وكان غيرة كس تقوى من إرادته ، وكان ميله إلى اللهو
 كان أقوى من صبره إلى التقوى ، وكان ذو أمرأة من شيوخوخة وبدو
 الشيخوخة من أمرأة قد حول نفسه عن غناعه وأرسل إلى الخيانة والطمع ، فكان
 يمشى في المدينة رائح الخرف ، يدر عمامة مبيضا وشعلا ، ويتنصر بصره إلى حد
 ويعد بصره إلى هناك ، وكان كل شيء في الساب وجهه واصفراب بصره يدل على أن
 في نفسه نموحا إلى الشر وزود إلى ما لا يستحب من الأمر . وكان قاسيا على
 حتى أمرأته يرمقه في ارداء ويتحدث عنه في استخفاف ، ولا يحد إليه يد بلعونة
 ولا يظهر إشفاف عليه مما كان يمينه من فقر والبؤس والقاء . ولكنه رأى
 ابنة هذا الرجل فتاة كعبا تستقبل الخيانة في قوة وجلد وفي ثؤس وشقاء أيضا .
 فلم يرق لبؤسها ولم يرحم شقاءها وإنما اشتغى حملها وطمع في محاسنها ، وانغى
 إليها الوسوس . وما كثر وسائل الإغراء ليدن يمينه في الشقاء ، وقد رأى هذه
 الفتاة الجميلة البائسة تنظر ذات يوم نظرة فيها كثير حسد من الأمل إلى
 رجل من هؤلاء الباعة الذين كانوا يطوفون في المدن والقرى يحملون هذه
 السفافات التي تطلع إلى نفوس الناس من أهل المدن والقرى يحملون حقيقتهم
 بهم . هذا السمع الذي يجمع في الأفواه ويسميه أهل القرى « لبانا » ، ويسميه
 المرفون من أهل المدن « لاد » . ويحملون حقيقتهم أخرى فيها صنوف من الخمر
 وضروب من الخواتم والأساور قد اتخذت من المعدن الرخيص . ونساء الريف
 يحسن هذه السفافات ، يتخذن من الخمر عقودا ، ويزن أيديهن ومرافقهن
 هذه الخواتم والأساور ، ويتحملن بمصغ البان يدرته في أفواههن ويحدثن في
 مصغه بين حين وحين صوتا يفتن به الرجال المكتملين والشباب النشئين . وقد
 رأى الحاج محمود تلك الفتاة البائسة ذات الجمال البارع وقد تعلقت نفسها بشيء من
 هذه السفافات بين يدي رجل من هؤلاء الباعة ، قد أطف به النساء والفتيات
 من أهل المدينة يأخذن منه سخفه الرخيص ويدفعن إليه تقدهن القليل .

بسكينة تغظر رشتهاى ولكنها لا تستطيع أن تأخذ شيئاً ؛ لا ، لا تستطيع أن تدفع شيئاً . فرق الحاج محمود هذه الفتاة أو مال فله إلى هذه الفتاة ، فاشترى من سقط المتاع هذا شيئاً قليلاً أدى له ثمناً ضئيلاً وملاً قلب الفتاة به فرحاً وأفعم به سمها سروراً ، وفاضت وجوهاً بهجة زادته حسناً إلى حسن وروعة إلى روعة . ومنذ ذلك اليوم وقع في قلب الحاج محمود لهذه الفتاة الغافلة حب أثيم . ومنذ ذلك اليوم جعل الحاج محمود يسعى بالخير بين حين وحين إلى هذه الأسرة المائسة : بدأ بالحديث الرفق ، وثنى بالمعونة اليسيرة ، واختص الفتاة لعطف كاد يتصل لولا أن الحاج محمود كان يحفظ ويتحفظ ويخشى الريبة . وكان قاسم وأمره يتلقيان هذا الود الحديدي تردد بين ما يحمل إليهما من خير وما يثير في نفسيهما من بعض الشك ، ولكن الحاجة كانت أقوى من الحيلة . والشيء الذي ليس فيه شك هو أن الفتاة قد طمأن إلى هذا الرجل ووثقت به . وتعلقت نفسيهما بما كان يطرأ به بين حين وحين من هذه الطيبات المتواضعة . وكثرت التردد على دار عمتهما ، ثم اتصلت المودة بينهما وبين هذا الرجل الذي كانت تسميه صها .

وهنا يحتاج القارئ ، فيما أطل إلى أن أمضى به في هذا الحديث البغيض إلى غاية ، فهو يستطيع أن يبلغها وحده ، وحسبه قد أطل الانتظار لقاسم هذا الذي ذهب إلى السوق وفي يده أو في جيبه قروش العمدة . فلينظر إليه إن شاء الله من السوق قد امتلأت يداه بالخير وظهر على وجهه الشاحب جوار كئيب ، وأقبل يسعى إلى بيته الحقيق متباطئاً كثير الخطو ، وفي نفسه شيء من رضا ؛ فيضطعم امرأته وابنته ما لم تتعودا أن تصابا منه إلا نادراً حين يكرم النهر أو حين يتصدق الموسرون . ومهما يمانع فقر الناس ، ومهما يشغل عليهم القوس ، ومهما يمسى إليهم الضيق ، فإن في فطرتهم شيئاً من كرامة يحملهم على أن يجدوا حين يأكلون مما كسبت أيديهم لذة لا يجدونها حين يأكلون مما يساق إليهم دون أن يكسوه أو يحناؤوا فيه . فقد كان قاسم في تلك الساعة يشعر بشيء من هذه الكرامة ، ويريد أن يعتد بنفسه ، لولا أنه كان أشد بؤساً وتضاؤلاً وإذعاناً لعله من هذا الاعتداد . وهو على ذلك كان يسعى متباطئاً كثير الخطو ، ولم يكن يسوءه أن يلحظه الجيران كما دنا من بيته ، وأن يروا ما يحمل من طيبات السوق ، وأن يقولوا في أنفسهم : لقد حسن صيد قاسم منذ اليوم ، وسينضم مع

امرأته وابنته طعام لذيذ . يقول بعضهم ذلك لنفسه مع كثير من الرقيق
والإشفاق ، ويقول بعضهم ذلك لنفسه مع كثير من الحسد والغيف . وري قاسم
هذا كله في لحظ العيون واضطراب الوجود . ويكاد قسم يجد في نفسه الرقة
من رقيق الرقيق وحسد الحسود . ولكنه يبيع البيت ويدفع الباب لدقيق
سئيل ويخطو وقد حمل الدم كعائد إلى وجهه ، وجعلت عيناه تيرقان
وشفتاه تصرخان ، وهم صوته الخوف أن يصيح هلهل يخطر ، وهمت بد
لتهالكته أن تضعا بين يدي روحه ما حمل إليها من معد ، ونم أن يدعه
في حضن خزن . ولكنه يخطو ويخطو ، فإذا امرأة تستوف دموعها غداراً وهي
حاملة هامة ، وإذا فسة تدجب ، وتدفع شبيهاً لا تحب أن يسمع . وإذا
قسم واحم أول الأمر ، ثم سأل بعد ذلك ، ثم مكرراً للمسألة . وإذا امرأته
ترد عليه في صوت مختنق متقطع بكلمات تقع من قلبه البائس موقع الجمر
: إذا بدت تسترخبان ، وإذا هذا الخبير الذي كان يحمله حبيباً به ، حريصاً عليه :
سقط إلى الأرض في غير طعام ، وإذا عيناها تنفضان ، وإذا شفتاه تلتقيان
متدان ، وإذا هو يسعى إلى حضيره ذاك الماني فيجلس عليه متبالكا ، ثم منه
وقد نهكه ما ضرب جسمه النحس وقبضه العايل الضائل من جهد ، وإذا امرأته
سمع صوتاً حاداً ياتي من بعيد ، من بعيد جداً ، وهو يقول : لو رقة أنا
مكانها غلاماً لم تعرض هذ الخزي ، ثم يعيد : لهذا الخزي . ثم يتقطع لضرب
حيثاً ثم يعود شد حنوتاً ، وعينه بعدا ، وهو يقول : ما ينبغي للعقراء أن
لدوا أصوات . ثم يقطع صوته ولا تسمعه امرأته سائر النهار ليس رعى وليس
تفتان ، وبما هو شيء بين ذلك . وقد همت حين تقدم النهار أن تنظر
إلى هذا الطعام وتحاول تهيشه ، ولكنها تنظر إليه ثم تعرض عنه ، وتظل
في مكانها هامة جامدة ، تنهل دموعها حين تجود عيناها بالدموع ، وتقطع
دموعها حين تجسد عيناها عن البكاء . والفتاة ملقاة في مكانها لا هي ناخبة
ولا بالميتة ، وإنما تأخذها رعدة بين حين وحين ثم يشتمل عليها الحمول والحمود
ولم ير الجيران في ذلك اليوم أمونة تخرج لالتماس الحطب ، ولم ير الجيران في
ذلك اليوم دخاناً يخرج من ذلك البيت ، ولم يشم الجيران في ذلك اليوم
رائحة الطعام الذي تنضجه النار ، وقد كانوا مع ذلك يتوقعون هذ كله
حين رأوا قاسماً يروح إلى داره وقد امتلأت يداها بالخير .

وسعت الشمس إلى مغربها متباطئة ، وأقلمت ظلمة الليل فنشرت رديتها السود
على كل شيء ، وحتم الليل على المدينة ثقيلًا مرهقًا ، فاضطر الناس إلى مصاجعهم
وفرض الهدوء والصمت على كل شيء ، وانتثرت في السماء نقط ضئيلة من النور ،
ومض من فراش قاسم شخص ضئيل يوشك أن يكون شبحًا ، فانسحل من البيت
يلتفت إلى أحد ولم يلتفت إليه أحد ، وعمس نفسه في ظلمة الليل وجعل
بعضي فيها متباطئًا وإن أراد الاسراع ، متثاقلاً وإن كان في نفسه خفيفاً . مضى
مامه لا يرفع رأسه إلى السماء ، ولا يلتفت إلى يمين ولا إلى شمال ، قد نفذت
ظلمة الليل إلى نفسه فصبح صميره حمة قاتمة ليس لها حظ من صفاء ، وقد
نفذ سكون الليل إلى قلبه فلم يتردد فيه صدى ، ولم تخطر له الآية الكريمة :
« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، ولم
يشعر في الوقت نفسه بشيء من خوف لأنه قد استحال كله خوفاً .

وقد تحاور المسجد في طريقه إلى النهر ، وأقبل أمامه من الشرق ضوء الفجر
ضئلاً يمتد طويلاً وينبسط عرضاً ، وأقبل وراءه من المسجد صوت المؤذن
ضئلاً يمتد طويلاً وينبسط عرضاً ، وامتلاً الجو من حوله ضياء يوقظ الأشياء
وغناء يوقظ الأحياء ويدعو الناس إلى الصلاة . ولكن قاسم لم يرضياء ولم
يسمع غناء ، قد ظلمت عيناه وسدت أذناه ، ومضى أمامه كأنه السهم الكلبل
القائر تدفعه قوة كئيبة فاترة ، وجعل بعضي مامه وعصى مترقفاً ، حتى أحس أنه
يخطو في فراغ ، ثم أحس برداً يأخذه من جميع أقطاره ، ثم لم يحس شيئاً ، ولم
يحسه شيء ، وإنما مضى إلى الغيب كما تمضي في كل لحظة أشياء كثيرة إلى الغيب .
وما من شك في أن الشمس قد أشرقت بعد ذلك بمور ربها ، وفي أن المدينة
امتلات حياة ونشاطاً ، وفي أن الناس اضطربوا في أعمالهم بما يضطرب في
قلوبهم من نزعات الخير والشر ، وفي أن أمونة وابنتها قد انتظرتا أن يعود إليهما
قاسم كما تعودتا أن تنتظرا كلما سعى إلى الهر من آخر الليل . ولكنهما
أطالتا الانتظار ، ولم تظفرا منه بشيء .

وقد يحب القارئ أن يعرف كيف عث بهما الأمل ، وكيف لطش بهما
اليأس ، وكيف لعبت بهما صروف الأيام . ولكن القارئ ليس في حاجة إلى
أن أقص عليه هذه الخطوب ، فأيسر شيء عليه أن ينظر إلى هذه الحياة الصاخبة
من حوله فيسرى فيها « أمونات » و « مكينات » كثيرات لا يحصين بالمثلث

ولا بالآلوف ، وإنما يحصن بمئات الآلوف وقد يحصن بالملايين ، تطلع الشمس عليهم في كل يوم مشرفة نور ربها ، ولكنها لا تحمل إيمان رضا ولا غبطة ولا أملا في الرضا أو غبطة ، ويقبل الليل عليهم مغتماً قائم الغمة يزدان هذا القمر في أنواره المختلفة ، ويزدان سقط النور هذه التي تنتثر في السماء ولكنه لا يحمل إيمان راحة ، ولا أملا في الراحة وإنما يدفعهم إلى نوم ثقيل مبص كره يشقن فيه أحلام نفيسة تصور ما يشقن به في النهار من حياة تعب لا تحفل الشمس بهم حين تطلع ولا تحفل ليل بهم حين يميل . ومتى حصل الليل والنهار يؤس لئسرين ولعيم الناعمين ! ولكن لغريب أن الأحياء من الناس الذين أتيحت لهم قلوب تشعر ، وعقول تفكر ، ونفوس تميز بين الخير والشر ، ولعيم كان حليفاً أن يلقهم إلى جحيم المؤس ، هؤلاء الناس يمحسون حياتهم كما يمضي الليل والنهار إلى غايتهما ، لا يحفلون بأموال ولا بنكبات ولا نقاسم ، شغلهم أنفسهم عن كل شيء وعن كل إنسان .

طه صبيح

الاتداب والوصاية والاستعمار

لعل الحركة الاستعمارية الحديثة ، التي ثورت في النظام السياسي لعالم لذي تعيش فيه اليوم ، أبلغ التأثير ، هي أحق الدهرات السياسية بأن تنعم النظر فيها ، وإن ندرسها دراسة عميقة . فليس في ميدان السياسة العالمية اليوم حقيقة تظهر أو أبرز من ظاهرة الاستعمار ، التي بات من نتائجها أن قسمت الأرض إلى ثلاثة أقسام . «لاد مالكة» ، ولاد مملوكة» ، ولاد «مستقلة» ليست بمالكة ولا مملوكة . وربما ضيف إليها نوع رابع ، ليس بمالك ولا مملوك ولكنه في حالة وسط . وهو على الأرجح من الأمثلة اقليلة التي يمكن أن يقال فيها : «شر الأمور الوسط» .

معنى الاستعمار

وحذر بنا . ونحن في سبيل دراسة هذه الظاهرة دراسة دقيقة — أن يبدأ بتعريفها ، وتحديد معناها . ولقد يحظر لأحدنا أن يبدأ درسه لمعنى الاستعمار بمراجعة المعاجم أو كتب اللغة أو دوائر المعارف . ولكن الباحث في هذه الأسفار أن يؤوب حتى يحى حيز . فإن في لسان العرب مثلاً عشر صفحات في مادة «عمر» ، ولم يرد فيها حتى كلمة الاستعمار ودائرة المعروف لبريطانية حالية من مادة إمبريالزم ، كإداة مستقلة ومن أية مادة أخرى في هذا المعنى . وقد اشتقت الكلمة العربية في شيء من التفاؤل من مادة «العمر» و«ال عمران» . ولم يدر بجلد الواضع لهذه الكلمة أن سيحور هذا العمران الزعوم إلى شر أنواع التخريب والتدمير .

ويذهب أن من العبث أن نرجع إلى سفار اللغة في تعريف معنى الاستعمار ؛ لأن هذا لفظ اصطلاحى بحث ، وإن لم يكن من الألفاظ التي أصبح معناها مقررًا محددًا لدى جميع الكتاب . وقد استخدم هذا اللفظ لبعض الكتاب في

معنى يختلف عما أراده الآخر . وعلى سبيل المثال : سوق هنا مثلاً مقتبساً من أحد الكتاب المتعصبين للاستعمار والمستعمرين . ولا بد لي أن أورد هنا النص باللغة الأصلية — لقائده الذين يعرفون الإنجليزية من القراء — قبل أن أحاول ترجمته للعربية :

« Imperialism is Nationalism transfigured by a light from the aspirations of universal humanity ». (١)

ومن الممكن أن نحاول ترجمته إلى العربية فيما يلي :

« الحركة الاستعمارية هي الحركة الوطنية تحوت صورتها بتأثير ضياء من أماني البشرية العالمية ... »

وهي الرء . من أن هذه العبارة ليست واضحة المعنى تماماً . فإن من الممكن أن يستخلص منها لقارئ بعض المعاني التي تدور محمداً فلاسة الاستعمار ، الذين أخذوا على ما تقوم تفسير مظاهره وتعبير سياسته أمام الناس .

وإذا أراد قارئ أن يطالع إشارة أخرى إلى الاستعمار من كاتب فرنسي لنق رشيق فلي سوق إليه العبارة الآتية المقتبسة من كتاب مسكيو المشهور « روح القوانين » :

« Si j'avais à soutenir le droit que nous avons eu de rendre les nègres esclaves, voici ce que je dirais :

Les peuples d'Europe ayant exterminé ceux de l'Amérique, ils ont dû mettre en esclavage ceux de l'Afrique, pour s'en servir à défricher tant de terres.

...Ceux dont il s'agit sont noirs depuis les pieds jusqu'à la tête; et ils ont le nez si écrasé, qu'il est presque impossible de les plaindre.

On ne peut se mettre dans l'idée que Dieu, qui est un être très sage, ait mis une âme, surtout une âme bonne, dans un corps tout noir ».

De l'Esprit des Lois, Livre XV, Chap. V.

(١) ص ١٣ من كتاب الأستاذ كرامب Cramb ، وعنوانه :
Origin and Destiny of Imperial Britain.

« إذا طُلب مني أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الرنوح عبداً ، فأني أقول : إن شعوب أوربا ، بعد أن قتت سكان أمريكا الأصليين ، لم تبدأ من أن تستعبد شعوب إفريقيا لكي تستخدمها في استغلال كل هذه لأقطار القسيحة . ولشعوب المذكورة ما هي إلا جهات سوداء ، ثمرة من شخص التمدد إلى قمة الرأس . وأنقها أفليس فطساً شنيعاً ، بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن نرى لها . ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى ، وهو ذو الحكمة السامية ، قد وضع روحاً - وهي لأعصر روحاً نبية - في داخل جسم حالك السواد ... »

وفي وسعنا أن نذكر أمثلة أخرى لتعريف الاستعمار . وللسكن القاري صيغ هذه الأمثلة مختلفة اختلاف نزعات استكتاب ، ومياهم إلى تمجيده وتعليقه ، أو للسحرية منه . وهي لذلك قليلة الفائدة من الوجهة العلمية الخالصة . ومن المفيد أن نذكر عبارة منتسكيو هذه دون أن نشير إلى أنها ليست مبنية على مجرد السخرية . فإن الإشارة إلى أن الشعوب السوداء والحرى لأروح لها قد كانت مظهراً من مظاهر الاستعمار الأوربي الحديث في أوائل عهده . ورجال الدين أنفسهم لم يتورعوا عن مثل هذه النزعات . وقد كان قادة الدين في مراحل الاستعمار الأولى بأمريكا الشمالية ، يسيرون إلى الهنود الحر بأنهم من سالة الشيطان . وكانوا يأمرهم بالقضاء عليهم بمختلف الوسائل . وكان من هذه الوسائل أن تنشر بينهم الأمراض الحديدة التي ليس للأمريكيين الأصليين تلك المنعة منها التي اكتسبتها شعوب العالم القديم . ومن أهمها مرض الحصبة ، فكانوا يوصون بأن يمسكون الهنود الأمريكيون من الاستيلاء على لأغطية (البطاطين) التي كان يتغلب بها المرضى لمصابون بالحصبة . وكانوا يرون أن هذا الإجراء مما يتفق تماماً مع الدين .

وصفة القول أننا في حاجة لأن نعرف لفظ الاستعمار تعريفاً سهلاً واضحاً ، تيسيراً لدراستنا هذه ؛ فالاستعمار المقصود هنا هو العمل - أو مجموعة الأعمال - التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة - أو جماعة منظمة من الناس - على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم ، أو على سكان تلك الأرض ، أو على الأرض والسكان في آن واحد - وهذا التعريف كاف - فما يجيل لي -

لأن يشمل جميع أنواع الاستثمار ، قديمه وحديثه . وهو تعريف أولي ، ولكن ليس من السهل أن تأتي بتعريف واضح وموجز لظاهرة بعيدة عن البساطة والسهولة . ولا بد لك ، لكي تظهر ما اشتمل عليه هذا التعريف من المعاني ، أن تنمعه ببعض ملاحظات تفسره وتبرز منه بعض النواحي التي لا تبدو واضحة لأول وهلة وضوحاً كافياً .

١ - فالأعمال المشار إليها قد يكون منها استحداث القوة الحربية ، وهذا هو ما يحدث غالباً . وقد تحدث السيطرة على أرض بشرائها ، كما اشترت الولايات المتحدة تسكاً من روسيا ، أو تحدث بمزج من استخدام القوة والشراء ، كما اشترت جزر المالدين من إسبانيا . وقد تحدث السيطرة برضا الدولة المحتلة ، كما حصلت بريطانيا على جزيرة قبرص من الدولة العثمانية ، في مقابل خدمات خاصة .

٢ - وعبرة السيطرة أو بسط النفوذ ، تقيده ليس من الضروري أن يكون الاستثمار سافراً بحيث تتسلط الدولة على جميع مرافق البلاد ، بل يكفي أن يكون لها نفوذ سياسي ، تنفرد به دون سائر الدول ، وتقيده بحرية البلاد التي يسطر عليها ذلك النفوذ . وعلى سبيل المثال يذكر أن إيطاليا كان لها نفوذ سياسي على ليبيا لغاية شهر أبريل سنة ١٩٣٩ ثم تسلمت عليها ، بعد ذلك تسلطاً تاماً ، فانقلب الحال من استثمار خفيف إلى استثمار ثقيل .

٣ - والنص على الدولة أو جماعة منظمة من الناس ، أريد به أن يشمل لاستثمار تلك الشركات التي تألفت في المصور الحديثة ، مثل شركة الهند الشرقية ، وشركة إفريقية الشرقية ، وقامت بأعمال استثمارية عنيفة وتسلطت على مرافق البلاد الأجنبية دون أن يكون للدولة شأن في ذلك سوى الإذن بتأليف الشركة .

٤ - والإشارة إلى أن التساط قد يقع على الأرض فقط ، فهذا هو ما يحدث في بلاد خالية من السكان ، أو في حكم الخالية من السكان ، والمستعمرات اليونانية القديمة خير مثال لهذا النوع . ومن الأمثلة الحديثة استيلاء البريطانيين على جزيرة سانت هيلانة مثلاً . وربما أمكننا بشئ من التحايز أن نعد استيلاء الأوربيين على أمريكا الشمالية من هذا النوع ، على الرغم من وجود عدد قليل من السكان الأصليين .

أما أن السيطرة قد تقع على السكان دون الأرض ، فذلك يكون بترك الأرض ومرافقها لسكانها الأصليين ، فلا تفتصب منهم ولا يكفون الجلاء عنها . ولا يوضح هذه الناحية نذكر مثالا وهو شرق إفريقيا (مستعمرة كينيا مثلا) حيث يتسلط المستعمرون على الأرض والسكان . وأما غرب إفريقيا ، فقد سمح للسكان الأصليين بالاحتفاظ بأرضهم . والسبب في ذلك أن أرض شرق إفريقيا المرتفعة تصلح لسكنى الأوربيين ، وأرض إفريقيا الغربية منخفضة شديدة الحرارة لا تلائم سكنى المستعمرين .

٥ - وقد يبدو للقارئ أن يتساءل . هل يدخل في هذا التعريف المعوز الاقتصادي أو الثقافي ؟ وهل من الاستعمار مثلا أن تنشئ دولة أو رعاياها المعاهد العلمية ، أو أن يمشوا شركات اقتصادية ؟ وهذا مرفد تختلف فيه الآراء . وقد تبلغ المعرفة الوطنية ببعض الناس حد التطرف ، فيتوهمون أن قيام بلجيكا مثلا بإنشاء شركة الترام أو شركة هليوبوليس ، أو دخول رأس المال الأجنبي في أية صورة من الصور ، هو صرب من الاستعمار ، حتى لو أدى إلى استخدام آلاف من الأيدي العاملة الوطنية . والصواب في هذا وفي أمثاله أن المشروعات الثقافية والاقتصادية ليست من الاستعمار في شيء ، ما لم تكن سببا أو نتيجة لنفوذ سياسي . وقد استخدم رأس المال الأجنبي في إنشاء أسكك الحديدية في الولايات المتحدة وفي غيرها من الأقطار الأمريكية ، ومع ذلك لم يترتب عليه أي نفوذ سياسي ، كما أنه لم يكن نتيجة لأي تسلط سياسي أجنبي . وفرنسا كثيرا ما تنشئ المعاهد الثقافية في بعض البلاد الأمريكية دون أن يكون لهذا أي مظهر من مظهر الاستعمار . أما إذا أرادت فرنسا أن تجعل من وجود بعثات علمية أو دينية ذريعة لتدفع بها لبسط سيطرتها السياسية في قطر من الأقطار ، أو لاحتلاله احتلالا عسكريا ، فهذا بالطبع عمل استعماري ، ومثله كمثل الخير الذي يراد به شر . فالبعثات العلمية والمشروعات الاقتصادية ليست في ذاتها عملا استعماريًا ، ولكن التدخل في شؤون القطر والتسلط على حكومته ، هو العمل الاستعماري . ومن الواجب أن نفرق بين ظاهرة الاستعمار ، وبين الدرائع التي يتدفع بها لقيام بعمل استعماري . وسيرى القارئ فيما يلي أن دول الاستعمار لن تعوزها الدرائع ، للقيام بأعمالها الاستعمارية . بل إنها كثيرا ما تخلق هذه الدرائع وتوحيدها من العدم .

الاستعمار القديم والحديث

من الواضح أن الاستعمار في حدود التعريف الذي شرحناه ، ليس بالشئ الجديد . وسواء أكان الغرض من الاستعمار احتلال قطار حديدية خالية و شبه خالية من السكان ، أو كان الغرض منه توسيع رقعة الدولة بالاستيلاء على أقطار عامرة بالسكان ، فإننا نجد أمثلة لهذه الموعين في العهود البشرية القديمة . فقد أسس الفونيتيون مستعمرات ضخمة في البحر الأبيض المتوسط ، و نشأ اليونان مستعمرات عدة في سواحل الأناضول والبحر الأسود ومضيق البسفور ، وفي صقلية وعلى سواحل فرنسا وألمانيا . وهي تشبه في كثير من الوجوه استعمار البريانيين للأمريكا الشمالية : الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وزيلندة الجديدة .

وقد شهد العالم القديم إنشاء دول ضخمة مثل امراطورية بابلي و إيران وآشور ، ومثل الدولة الرومانية العظيمة . وفي العصور الوسطى قامت الدولة العربية واتسعت رقعتها حتى شملت شطراً كبيراً من العالم القديم . كما أنشأ المغول دولاً عدة في شرق آسيا وغربها ، بل لقد بلغ نفوذهم قلب القارة الأوربية نفسها .

وهناك فروق جوهرية بين ضروب الاستعمار القديم والحديث . وسنرى فيما يلي أن الفراز القديم ليس مقصوراً على العصور التاريخية القديمة والوسطى ، بل إن هذا الطراز ينطبق أيضاً في العصور الحديثة على الدولة الضخمة القصيرة العمر التي نسبها نابليون بونابرت . وسنحاول فيما يلي إظهار تلك الفروق الأساسية بين الطرازين القديم والحديث .

١ - لم يكن الاستعمار في العهود القديمة عملاً تقوم به الدول ذات الحضارة المتقدمة وحده ، بل كثيراً ما كان المستعمرون قبائل أو جماعات أقرب إلى الوحشية ، ولكن لهم من القوة الحربية والنظام ما مكنهم من السيطرة على أقاليم سكانها ذوو حضارة متدنية . أما لدول الاستعمارية اليوم فإنها بوجه عام دول قد صربت في الحضارة بسبهم ، وقد وجهت أعمالها الاستعمارية نحو بلاد في حالة ضعف سياسي ، وتخلف اقتصادي وثقافي . وليس في العالم اليوم شعوب

وحشية ينشئ من غاراتها الاستعمارية كما حدث من غارات المغول على دولة الصين ولدولة الرومانية ، وعلى لدولة امريسة والمدون لاسعوى اليوم مقصور على الاقطار المتعددة ، لى اغت الشاؤ الاسى فى التطور اسىاسى والمالى والحربى .

٢ - إن التوسع الاستعمارى الحديث قد شمل العالم كله ، ولم تعد المسافات الشاسعة ، ولا المحيطات الواسعة عائقاً يحول دون امتداد محال الاستعمار إلى قلب القدرات ، وإلى الأقطار الواقعة وراء البحار . ولم يبق ركن من سطح الأرض فى مأمن من أن تناله يد الاستعمار . والفصل فى هذا يرجع إلى كشف عن جميع الأقطار المجهولة ، وإلى سهولة لاسفل وسرعته بواسطة المحترقات الحديثة .

٣ - هذا وقد ترتب على هذا التوسع فى الميدان الاستعمارى ، أن أصبحت الدول الحديثة عبارة عن أقطار مبعثرة فى أركان الأرض ، لا كتلة مدمجة ، كما كانت الدول القديمة ؛ فأصبحنا نرى أن دولة مثل البرتغال تسيطر على مساحات واسعة فى إفريقيا الشرقية والغربية ، وعلى مساحات أقل منها فى الهند وفى جزر الهند الشرقية . ومثل هذا يقال عن هولندة ، التى تسيطر على مساحات عظيمة فى آسيا وأمريكا . وهذه الظاهرة أكثر وضوحاً بالطبع فى الدول الاستعمارية الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا .

أما الإمبراطوريات القديمة فكانت تسيطر على مساحة كبيرة من سطح الأرض ، ولكنها تشتمل على أجزاء متجاورة متلاصقة . والدولة الرومانية نفسها ، على الرغم من اشتغالها على إقليم موزعة فى ثلاث قارات ، فانها كانت كلها مركزة حول البحر الأبيض المتوسط . والدولة الوحيدة فى عصرنا هذا التى تشبه لإمبراطوريات القديمة هى الدولة الروسية ، التى كان انتشارها دائماً بواسطة التوسع البرى .

٤ - ويلحق بهذه الظاهرة - تقارب وتماور الأقطار - أن العناصر الجنسية التى كانت تتألف منها الدول القديمة كانت أكثر تجانساً وتشابهاً . ولذلك أمكن على مدى الزمن أن يحدث بينها نوع من الاتحاد والاندماج . فالدولة الرومانية على الرغم من اشتغالها على عناصر من الاسبان والحوال (أجداد الفرنسيين) واليونان والعرب والبربر ، فانها كانت أكثر انسجاماً فى تكوينها

من نية دولة استعمارية لعرفها اليوم . وهذه الشعوب كلها في نظر علم الأحناس تنتمي إلى سلالات بشرية ليس بينها اختلاف كبير . أما الإمبراطورية الحديثة فأنها تشتمل على جميع الأحناس والألوان في جميع مراتب الحضارة المختلفة .

٥ - ولعل أهم الفروق بين الاستعمار القديم والحديث ، هو أن النوسع القديم كان من عمل الحاكم الأعلى لدولة ، سواء أكان ملكاً أم سلطاناً أم هلاً أم قيصرأ . وذلك من أجل زيادة مملكته ورعيته وتوسيع نطاق دولته ، فبعو ذلك شأنه وشأن أسرته ، وشأن العائلة الحاكمة التي تؤازره وتؤيده .

وكانت الشعوب التي تدخل تحت حكم العاهل الجديد تنضم بهذه الطريقة إلى مجموعة شعوب الإمبراطورية ، وتشاطرها حظها من الشقاء أو السعادة والبطاء والتخوض ؛ فتفلسف إذا كان الحكم صالحاً ، وتتلطم من مفاسده وشروبه . ولم تكن هناك تلك الروح القومية التي تجعل الناس يحسون أنهم تابعون لسلطان أجنبي .

دولة الرومانية أسستها روما . ولكنها لم تلت أن اشترك في أعمالها شعوب كثيرة غير سكان روما وإيطاليا . ولقد تولى حكم الدولة الرومانية قياصرة من أصل إسباني في بعض العهود ، دون أن يبدو للناس أن في هذا الإجراء شذوذاً . وكذلك الدولة لعربية قد بسطت سلطانها على المشرق والمغرب . فكان للمغرب في بداية عهدها بعض المزايا على سائر الشعوب ؛ ولكن لم تلت سائر العناصر أن اشتركت في الحكم ، وفي نشر لثقافة العربية ، وفي جميع نواحي النشاط المختلفة .

أما الاستعمار الحديث فإنه ليس من صنع ملك يريد أن يستكثر من الرعية ، بل الاستعمار اليوم من عمل شعوب نفسها . فصاحب الشأن هو الشعب البريطاني أو الشعب الفرنسي أو الشعب الهولندي ؛ ولذلك كثيراً ما نسمع الواحد من أبناء تلك الشعوب يتحدث عن مستعمراته وممتلكاته في شيء من الزهو والخيلاء . ومن الظاهرات الغربية في الاستعمار الحديث أنه ليس من الضروري أن تقوم به الدولة بنفسها ، بل كثيراً ما تولى الأفراد - في صورة شركة - جميع أعمال الاستعمار ، كما ذكرنا من قبل ؛ فهم يعدون البعثات العسكرية والسفن والأسلحة اللازمة . ومع أن الغرض الاسمي لتأليف الشركة هو "تجارة" ، فإن أعمالها لا تقتصر على التجارة ، بل تتناول الفتح والغزو والحكم ، وانزع

الأراضي من سكانها ، وتوزيعها على الجنود والإنصار ، وحماية "القبائل" ،
والفصل في القضايا . نرى إن الشركة كانت دولة حائمة مستعمرة لكل معنى
الحكم وكل مظاهر الاستثمار .

وقد تناول الاستثمار بواسطة الشركات قطاراً عظيماً الأهمية في القرن
السابع عشر ، منها الهند ، وجنوب إفريقية وجزر الهند الشرقية . وفي القرن
التاسع عشر أُنشئت شركات عدة لاستثمار القارة الإفريقية ، وقد تم فعلاً
تسلط جماعات أوروبية على مساحات واسعة من تلك القارة في الربع الأخير من
القرن التاسع عشر . ونضرب على سبيل المثال الشركة التي أنشأها سسل رودس ،
وستولت على مساحة تزيد على ألف كيلومتر مربع . وشركة إفريقية الشرقية
البريطانية ، التي لها « الفضل » في لاستيلاء على شرق إفريقية وأوغنده . وحتى
الملك ليوبولد نفسه لم يرد أن تتولى بلجيكا استثمار الكنجو ، بل أنشأ لذلك
هيئة مستقلة سماها « الاتحاد الدولي للاستكشاف ونشر الحضارة في الكنجو »

« Alliance Internationale pour l'exploration et la civilisation
du Congo ».

كان قيام الشركات بهذه المشاريع الاستثمارية ، بدلاً من أن تضطلع به
به الدولة نفسها ، عملاً ملائماً للحكومات كل الاملاءة . فقد استطاعت أن تترك
الأفراد يرتكبون ما يشاءون من الفظائع من أجل الفتح والاستيلاء ، ومهما
تقترفوا من الإثم والوحشية ، فهم على كل حال أشخاص غير مسئولين .
وتستطيع الحكومة في النهاية أن تقضى بحل الشركة — بعد تمام الفتح
والاستيلاء على المستعمرة — وتتولى إدارتها بنفسها بعد أن تمنح الشركة
تعميماً كريماً في مقابل ما أنفقت من الجهد والمال . وهكذا تنجى الدولة في
صورة المُنقذ المخلص للشعب الإفريقي من مغالب شركة التي ممحت هي بإنشائها ،
وبذلك لها غير قليل من المنة والإرشاد .

وهكذا يرى أن من أهم ما يمتاز به الحركة الاستعمارية الجديدة أن الدولة
لا تنهض بأعمال الاستثمار وحدها ، بل قد يسبقها أو يشاركها أفراد من الرعية
ومنهم لديمقراطي يجعل الشعب هو المرجع الأول في سياسة الدولة ، ولذلك
لا بد للدولة أن تحصل على تأييد شعبي في سياستها الاستعمارية . ولا بد لها من
تربية العقيدة الاستعمارية لدى جميع أفراد الشعب بقدر الإمكان .

أسباب الاستعمار

من ثم مراب الاستعمار الحديث أنه كتب ، وفلاسة يدافعون عنه ويشرحون أغراضه ورميه ، أما غيرة المناجون من قدماء ، فقلما رأوا ما يدعو لتبرير سياستهم وشرح الأسباب التي تدعوهم إلى التوسع والتسلط على قطار جديدة . اللهم ، لا إحد استناب أحوا لاقيلة كان فيها بعض الالتجاء إلى ذكر مبررات للغزو ، مثل الحروب الصليبية والدينية ، أما فيما عدا ذلك ، فقد كان العامل العظيم يرى من حق أن يغزو ويستولي ، استجابة لباعث لاصحة به في تفسيره وتبريره ، أما دعاة الاستعمار اليوم فلهم مذاهب وقوال كثيرة :

١ - من الجائز أننا إذا فتحنا ضماير الاستعماريين اليوم ، لم نجد سببا أو دوافع حقيقية تدعوهم إلى انتهاج الخطط الاستعمارية ؛ وإنما هو مجرد غريزة الاستيلاء وشهوة السيطرة ، تحرك الدول اليوم كما كانت تحرك الملوك القدماء . وهناك عدد من الكتاب قد ذكروا مبررات للاستعمار لا تختلف كثيرا عما يذكره أهل قديم مثل جنكيزخان ، لو أنه أتيح له أن يفسر أو يبرر سياسته الاستعمارية . فيقول الورد كرون مثلا : « إن هندية محور عظمتنا ، ومقياس مجدنا وإحفاقنا . ولئن فقدنا الهدد ليكون هذا إيدانا بغروب شمسنا » . ويقول الكاتب الفرنسي لرواوليو : « إن فرنسا لا بد لها من أن تكون دولة إفريقية عظيمة ، وإلا فصرعان ماتعدو دولة أوربية من لدرجة الثانية . ولن يكون لها في العالم شأن أعظم كثيرا مما لدولة مثل اليونان ورومانيا . »

فأصحاب هذا المذهب يرون أن الدولة لن يكون لها شأن أخطر إلا بالتوسع والاستعمار . ومثل هذا المذهب هو الذي اعتنقه النازيون بعد ذلك وابتكروا له كلمة جديدة فقالوا إن شعبهم لا بد له من شيء اسمه Lebensraum أي مجال حيوي ، يشتمل على بلاده وبلاذ غيره . وذهب الغلاة منهم إلى أن هذا المجال الحيوي ذو مرونة عظيمة بحيث يجوز أن يشمل العالم كله . « اليوم لنا ألمانيا . وغدا العالم كله ! » .

٢ - المذهب الاستعماري الثاني - وله بعض الارتباط بهذا المذهب الأول - ينادي بأن الدولة صاحبة الشأن لها « رسالة عالمية مقدسة » لا بد لها أن

تنشرها وتنشأ بين الشعوب ، ألا وهي رسالة المدنية والحضارة ، رسالة تقصى عنها
أن تبدل وتضحى لرفع مستوى الشعوب والأمم . وليس الفتح والغزو غاية بل
وسيلة لإعلاء البشرية ولسمو بها إلى آفاق العزة والكرامة والحرية .

وقد وصف أصحاب هذا المذهب تلك الرسالة التي تؤذيها الشعوب الأوربية
بأنها « عبء الجنس الأبيض » *The White Man's Burden* وهو عبء
ثقيل قادم ، ولكنه محبوب إلى تلك النفوس الاستعمارية ، التي جمعت عندها
رفع شأن بني الإنسان في كل مكان . . .

ونحن الذين نشاهد أعمال الاستعماريين عن كثب ، قد لسحر من هذه
الأقوال ونرها صراً من الهديان أو من الخدع ؛ ولكن هناك من غير شك
أشخاص يدلون بهذه الأقوال عن عقيدة وإيمان ، ويتبعهم عدد غير قليل من
الناس في كل دولة استعمارية . وقد يكون عدد هؤلاء الناس كبيراً في بعض
البلاد صاحبة المستعمرات ، فتضطر إلى أن تلطف من حدة سياستها الاستعمارية .

٣ — بعد هذا الطراز الاستعماري ، الذي ينشد ما يتوهمه المثل الأعلى ،
يجيء طراز آخر من نوع لا شك أنه شرير ، وهو المذهب الذي ينادى بضرورة
الاستيلاء على أقطار جديدة لسكنى رعاياه وإقامتهم ، مع أن في تلك الأقطار
سكانها الأصليون الذين استوطنوها منذ قرون عدة . إن الحكومات الاستعمارية
التي من هذا الطراز تنادي بأن شعبها آخذ في الازدياد ، وأنه لا بد له من أرض
جديدة يعيش فيها ، وأن جميع اعتبارات العدل والإنسانية لا قيمة لها أمام هذه
الحاجة الملحة في نظرم .

ومن الغريب أن كثيراً من السطاء القليلي العلم والتفكير ، في بلاد عدة ،
قد اتخذوا بهذه الدعاية وتوهموا أن مثل هذا التوسع أمر لا مفر منه ، وأن
الدول التي تنشده لها العذر كله أو بعضها . وقد كثرت التضليل في هذا الموضوع
حتى بات من الصعب على الناس أن يدركوا ما انطوت عليه تلك السياسة من
الكذب والرياء .

وحينما نسمع الدعاة النماشستيين يتصالحون بأن الشعب الإيطالي لا بد له من
المستعمرات أفصح المجال لسكانه المتزايدين ، يتوهم بعضنا — بل كثير منا —
أنهم على صواب في زعمهم . ولكن يظهر بهتان هذه الدعاية يجب علينا
أن نذكر :

أولاً — أن هناك شعوباً أخرى قد دقت بها بلادها ، فوجدوا في العدة الحديد ميداناً للمهاجرة والاستقرار . ذلك ما فعله الشعب الايرلندي ، والشعوب الاسكندنافية ، وشعوب النرويج ، وسوربا ، بل الشعب الالمانى نفسه . فقد استطاعت الملايين من أبناء هذه الشعوب النزوح إلى القارة الأمريكية وغيرها حيث يعيشون اليوم في جمهوريات الجديدة ويحسون فيها بمصر من رعاياها .

ثانياً — أن الدعاية الدخيلة قد اشتهت في طاب المستعمرات في الوقت الذي أخذ فيه نمو السكان يتناقص في إيطاليا نفسها بدرجة واضحة ملموسة . فليس طلب المستعمرات إذن نتيجة لازدهار السكان في إيطاليا ، لأن الهجرة إلى أمريكا قد خففت من ذلك الزدحام تخفيفاً واضحاً . ولكن الذي تبغبه الحكومة الاستعمارية هو أن يهاجر رعاياها إلى أقطار تملكها وتسيطر عليها ، مع أنها قد لا تتسع إلا لعدد محدود جداً من المهاجرين ، كما حدث فعلاً في ليبيا وبلاد الحبشة ورتريا . فمن العصر الايطالى المهاجر إلى مختلف المستعمرات الإفريقية تألف حدة إذا قورن بالجماليات الإيطالية الهائلة في الولايات المتحدة والبرازيل والأرجنتين وغيرها من بلاد العالم الجديد .

ثالثاً — المستعمرات لسكان المزايد لم يكن في أى وقت من الاوقات سوى ضرب من التناق السياسى وستار رائف لمصانع الاستعمارية ، حتى تلمس المبررات من أى نوع كانت .

٤ — الطراز الرابع من الاستعمار هو الذى نعرفه نحن سكان مصر حبر المعرفة ، لأننا قد اضطررنا لأن نسمع صوته يتردد من حين لآخر ، ذلك هو الطرد الحربى أو الدفاعى . ونصاحب هذا المذهب يرون أنه لا بد لهم من التسلط على قطر أو عدد من الأقطار لضرورات عسكرية ، أو لأن الموقع الحربى لهذا الإقليم أو ذلك هو من الخطر ، بحيث لا بد لهم أن يضمنوا سلامته من كل عدوان وهذه الآلايم ذات الأهمية العسكرية تنقسم إلى أنواع : فمنها الأقنار المتجهة لحدود الدولة والتي ترى أنها لازمة للدفاع عن أرضها ، مثل التيرول الجنوى ، الذى اقتطعته إيطاليا من بلاد النمسا لكي تحمى أرضها وتدافع عنها من السجبة الشمالية . والأراضى القلمندية التى استولت عليها روسيا لتحسين دفاعها عن الأقاليم الشمالية الغربية .

الاتداب والوصاية والاستعمار

ومنها الجهات التي تعترض خطوط المواصلات الإمبراطورية ، مثل جبل طارق ومالطة وقناة السويس وعدن وسنغافورة ، وبنا بالنسبة للولايات المتحدة . فهدم الجهات كلها في نظر الدول الاستعمارية لا بد من بسط النفوذ عليها لتأمين سلامة المواصلات في وقت الحرب . وعلى الرغم من أن هذه المواصلات قد تعطلت تماماً في أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية ، فإن هؤلاء الاستعماريين لا يزالون متمسكين بهذه الحجة .

وأخيراً هناك فئتان لا علاقة لهما بطرق المواصلات ، ولكنها يخشى عليها إذا وقعت في أيدي معادية أن تهدد تلك المواصلات ، مثل جزيرة قبرص وبعض البلاد الواقعة على الخليج الفارسي . فهذه كلها بعيدة عن الطرق البحرية ، ولكن التسلط عليها ضروري لكي لا تقع في أيدي أخرى معادية .

٥ - الطراز الخامس والأخير من الاستعمار هو الذي طاق عليه الاستعمار الاقتصادي ، أي طلب المستعمرات وحيازتها ، لكي تكون ميداناً لكسب المال وجمعه بمختلف الطرق بواسطة شركات ربحية . وكثير من الكتاب يرى أن هذه الصيغة النفعية هي الغالبة على الحركة الاستعمارية الحديثة ، وأن رجال المال هم بوجه خاص الذين دفعوا الدول نحو التوسع الحديث ، وهم السبب الأول في ذلك التسابق والتكالب على الاستعمار الذي شهدناه في السبعين عاماً الماضية . إن هؤلاء الرجال لهم بالطبع نفوذ كبير في الدولة ، وهم لا يتورعون عن استخدام هذا النفوذ لجمع الثروة وجني الأرباح الضائلة . والمشروعات التي يمارسونها ، إما تجارية ، أي إنهم يعملون من المستعمرات ميداناً لتصريف الفائض والسلع ، أو زراعية بإنشاء مزارع واسعة لغلات الأقاليم الحارة مثل المطاط والقمطن ، أو معدنية للبحث عن الثروة المعدنية واستغلالها . هذه هي المذاهب الاستعمارية الرئيسية ، التي حاول دعاة الاستعمار أن يعبروا عنها ويشرحوها ويدعوا لها ويدافعوا عنها .

نظايف الاستعمار

حاول الكاتب الشهير نورمان إنجل أن يثبت في غير واحد من كتبه أن الاستعمار يكلف الدولة نفقات باهظة ، ولا تخفى من ورائه نفعاً يستحق الذكر ،

وأن الشعب يحون الاستعمار، مما يدفعه من الصرائف، وبما يفقده من روحه، دون أن يكون له مستعمرات أقل أثر حقيقي في تحسين حالة الشعب المدنية والأدبية. وقد ورد أرماء عدة عما تكلفه الدولة من الأساطيل الحربية ومن وسائل الدفاع المختلفة، وأثبت أن ما تنجبه من ربح مستعمراتها لا ينكفأ مع تلك النفقات. وقد تنع بورمان: يحمل كتبات كثيرين في رأيه هذا. ولما حج أن القامض يحكم الدول الاستعمارية لا يحاولون أن يجعلوا من الاستعمار مشروعاً اقتصادياً يجب أن تنق إرادته بفتناته، لأن هناك مظانع استعمارية أخرى، غير مجرد الربح المادي. وهذا هو ما يدعوننا إلى أن نطن أن الاستثمار شهوة في النفوس تدفع الحكومات إلى اتباع السياسة الاستعمارية سواء أكانت تلك السياسة مؤدية إلى مكسب أو حسارة مادية أو ذبية.

الاستعمار يفسد الحياة الدولية

كان لبعض الدول في الميدان الاستعماري مزية السبق، لأنها دخلت الميدان قبل سواها، ومن أجل ذلك ترى دولة مثل بريطانيا لها مستعمرات عظيمة. ونرى هولندا تمتد حذر الهند الشرقية كلها تقريباً. ونرى بريطانيا قد استطاعت أن تتسلط على الهند وبقطر أخرى، قبل أن يتم تكوين ألمانيا وإيطاليا. ثم جاءت الحركة الاستعمارية الحديثة في القرن التاسع عشر، فاستولت بريطانيا وفرنسا على نصيب الأسد من القارة الإفريقية، ودخلت ألمانيا وإيطاليا الميدان متأخرتين فلم تفورا إلا بصيب قليل نوعاً بالنسبة لألمانيا ونصيب تافه بالنسبة لإيطاليا.

واشتد التنافس الاستعماري في العصور الحديثة اشتداداً هائلاً، وأخذت الدول يكد بعضها لبعض، وتتدافس في بناء الأساطيل واتخاذ الأهمية بالحرب ولئن حاول المؤرخون أن يجدوا أسباباً مختلفة للحرب العالمية الأولى والثانية، فإن من المستحيل أن ننسى أن من أهم تلك الأسباب التدفيس الشديد في الميدان الاستعماري، وحرص كل دولة كبيرة على أن تنال ما تدعوه رغبتها من التوسع والتملك. فقد جعلت لسياسة الاستعمارية شهوة التملك مراً منوفاً، كأنه حق من الحقوق المقررة. وفتباحث الدول الاستعمارية في سبل تحقيق

شبهوا أن ترتكب الزور والإثم ، وتحت بالآثام ، وتحتون اليهود ؛ حتى انحطت الأخلاق الدولية إلى الدرك الأسفل ، وسرى السم في علاقات الدولية . فلم تعد الدول تتورع عن ارتكاب العدوان وعن الفقر في الكذب والرياء . وصفوة القول أن السكالب على الاستعمار والمستعمرات ، إن لم يكن السلب المباشر في الحرب ، فإنه على الأقل هو السلب في فساد العلاقات الدولية ، وفقدان الشعور الإنساني ؛ وبذلك كان على الأقل سلباً غير مباشر في هذه الحروب العالمية وفي المكبات الهائلة التي أزيلت بها بجميع الشعوب . وقد أخذت الدول الكبيرة صاحبة المستعمرات بعد ذلك تدافع عن قسبتها ، وتزعم أنها ليس لها مظالم استعمارية ولا تسعى وراء مغنم . وعند ما انهزم الأعداء في الحرب العالمية الأولى والثانية ، تاركين أرضاً ودرأ كانت في حوزتهم ، رأت الدول المنتصرة ألا تظم تلك الأقطار والديار « ضماً » على الطريقة الاستعمارية القديمة ، وقررت أن تجعل منها بلاداً تحت الانتداب في المرة الأولى ، وتحت الوصاية في المرة الثانية .

وسنحاول في المقال التالي أن نوضح الخصائص الرئيسية لهذه النظمين .

محمد هرويه محمد

في أفق السياسة العالمية

بين تركيا وروسيا

ما فتئت روسيا طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تتجرش بتركيا وتقم عليها وقوفها عند المضايق وعلى منفذ البحر الأسود تسد في وجهها طريق الوصول إلى مياه البحر المتوسط الدافئة ، وما رالت تستعدى عليها الشعوب السلافية التي كانت خاضعة لسلطان تركيا وتناصرها سرّاً وعلانية ، حتى توالى على تركيا الثورات والحروب وتعاقبت عليها الهزائم ، وأخذت الولايات المسيحية تنفصل عنها واحدة تلو الأخرى ، وتداعى البنيان حتى أوشك أن ينهار كله وتصبح تركيا أثراً لمدعين ، لولا بقية من حيوية الجندي التركي الباسل ، ولولا ديب الخلاف بين الدول الكبرى بسبب التنافس على أملاك الدولة . ولقد نشأ من ضعف تركيا ونقائصها على هذه الحال اليائسة زماناً ما عُرف في التاريخ بالسلالة الشرقية و « الرجل المريض » .

ولو قدر للطامعين في ميراث الرجل المريض أن يتفقوا فيما بينهم على توزيع ذلك الميراث وتحديد مصير المضايق والتسليطية ما تواتوا لجنة واحدة في لإجهاد على ذلك المريض ليقسموا فيما بينهم تركته . وقد سبق في نهاية القرن الثامن عشر أن آتست روسيا ضعفاً حربياً من بولندة وهي جارتها من الناحية الغربية ورأت فيها تحاذلاً شبيهاً بما كان في تركيا ، فلم تتردد في الاتفاق مع حليفاتها روسيا والنمسا على تقطيع أوصال بولندة وتجزئتها مرة وأخرى وثالثة حتى أتت عليها جميعاً ، وانمحت بولندة من خريطة أوروبا السياسية .

ولم يكن هناك ما يمنع من أن يكون هذا مصير تركيا أيضاً في القرن التاسع عشر لولا رحمة من الله أدركت الرجل المريض ؛ فقد ظل الورثة مختلفين بشأنه حتى قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا ، فأيقن الورثة أن تركيا قد حان حينها ، وأن آخرة الرجل المريض قد دنت ، وأنه لا حرج

من تقسيم التركة واعتبار المريض كونه لا محالة قد مات . ولم يطل اختلاف الورثة بشأن التركة ، فقد كانت رضى الحرب تدور طحونا ، وكان عشرات لآلاف من المحاربين يموتون فى كل يوم ، حتى لقد بدا أن الحرب قد لا تبقى على شئ يستحق أن يورث بعد الحرب ، وأن من صالح الحلفاء أن يتناسوا أحقادهم وأن يتساهلوا فى تقسيم التركة حتى يفرغوا لأنفسهم ويثبتوا جميعاً لقتال العدو المشترك حتى يتغلبوا عليه . ولما كان إعلان معاهدات التقسيم ، والحرب لم تزل قائمة والرجل المريض لم يزل حياً يرزق ، مما يحافى بسط قواعد الحياء ، فقد ساط الحلفاء مفاوضاتهم بالكتمان وجعلوا اتفاقاتهم سرية حتى لا يظهر عليها أحد إلا بعد كسب الحرب .

وكانت روسيا أولى الدول التى خشى الحلفاء أن يساهلها السم قبل غيرها ، فزادوا أن يقدموا لها طعاماً شهياً يستهويها ويجذبها نحو الحلفاء إلى نهاية الحرب ، ففقدوا معها أولى معاهدات التقسيم السرية فى لندن سنة ١٩١٥ ومقتضاها اتفقت كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا على أن تكون القسطنطينية والمصايق وما يجاورها من أراض من نصيب روسيا بعد الحرب ، وبذلك تتحقق



لروسيا غير مانيتها السياسية . وفي سبيل كسب الحرب ضحت كل من بريطانيا وفرنسا بما بذلتا من الجهود الدأية في أثناء لقرن تاسع عشر مع الدب الروسى من التوغل جنوباً نحو البحر المتوسط .

وجاءت لمعاهدة الثاية في مايو سنة ١٩١٦ حين انتهت الحلفاء الى خاس الشرق من التركية ، دفعوا بمقتضى المعاهدة التى عرفت بسى المديوبين الانليرى والفرنسى على التوالى سيكس بيكو Sykes-Picot الى أن تاحد روسيا معهم بلاد رمنية ، و أن تكون بلاد مشرق تحت نفوذ فرنسا ، و فلسطين و عراق تحت نفوذ بريطانيا . وكانت تقاات لتقسيم بمعاهدة مع إيطاليا نالت بها جزر الدودكانير و زمير و جزءاً كبيراً من الساحل الغربى للأصول ، و باتفاق مع الشريف حسين أمير مكة على إعلان الثورة ضد الأتراك و تكون دولة عربية تضم بلاد العرب و جزءاً أخرى دجلة فى لطاق معاهدة سيكس بيكو .

وبذلك لم يبق للرجل المريض مجال حيوى يعيش فيه حتى يلفظ نفسه الأخير سوى رفة محدودة فوق هضاب الأصول إلى كرم الحلفاء إلا أن يحفظوها له لتكون فيه مقبرة حسه و مثواه الأخير .

ولكن عناية الله كانت تلحظ الرجل ، فأدركته الرحمة الإلهية على يد أقرب الوارثين إليه دراً و لد أعدائه خصومة فى الوقت نفسه وهى روسيا . وفى مارس سنة ١٩١٧ والحرب لا تزال فى عنفوانها قامت الثورة الشفوية ، فانسحبت القوت الروسية من الحرب ، و أعلن الثوار أنهم يؤمنون بالتعاون و المساواة بين الشعوب ، ويستنكرون اغتصاب الأراضى التى ليست لهم ، و فرض لقرارات الحربية ، ولا يقرون المعاهدات السرية و يترءون منها ومن شروطها . وكانت نتيجة ذلك أنهم نزلوا عما وعدوا به بمقتضى معاهدة لندن السرية سنة ١٩١٥

ولما كسب الحلفاء الحرب فى سنة ١٩١٨ وسارت مواكب النصر فى طريقها الى القسطنطينية لم تكن روسيا فى الموك و لم يسمح لها القدر أن ترفع رايها على معقل الأتراك و حصى الإسلام فى ذلك الوقت ، فقد تألفت لجنة دولية لحراسة المضائق و حلال القسطنطينية . وتلفت الحلفاء بمينا و شمل لا يبحثون عن دولة تصلح للانتداب على هذه المنطقة العظيمة الخطر . فأتت فرنسا أن يكون الانتداب لانتدبا ، وتوحشت لانتدبا الشر من ببات فرنسا ، وكاد الأمر يستقر على الولايات المتحدة لو لم تجنح أمريكا فى ذلك الوقت إلى سياسة

العزلة الدولية وسدت سياسة ولسون ومعه مشاق المعاهدة . الاتصافات . وعلى ذلك لم يكن هناك مفر من بقاء الاحتلال العسكري والإشراف الدولي على القسطنطينية والمضايق .

وكانت معاهدة سيفر ، المشنومة في أغسطس سنة ١٩٢٠ وفيها قرر الرجل المريض الوصية التي أعدها له ، فقد استقل الحجار وانفصلت الولايات العربية ، وأخذ الإغريق ترقيا وحزر الأرحيل ، وأخذت إيطاليا جزر الدوديكانيز وجزءاً من آسيا الصغرى ، واستقلت أرمنية وكردستان ، وتساقت إيطاليا وایونان على أزمير وغربي الأناضول فاحتلتها اليونان بمساعدة الحلفاء ، وظلت اللجنة الدولية التي تمثل الحلفاء تتحكم في القسطنطينية والمضايق كما تألفت لجنة دولية أخرى للتصرف في الشؤون المالية .

وبينا الرجل المريض يعالج سكرات الموت وشهادة الوفاة التي سجلت في سيفر تتناقلها ، يبدى الحكومات لموافقة عليها ، إذا بروح جديدة تنبعث من جسم الرجل المريض الميت فتتمصق قائداً فذاً من صباط الجيش التركي ويسل من غرفة الموت ماضياً في طريقه إلى مصاب الأناضول حيث قرر الحلفاء أن تكون مقبرة الجنس التركي . ومن هذه الهصب دوى صوت الثورة الكمالية في يوم من صيف سنة ١٩١٩ فكأنما نفخ في الصور ، وكأنه يوم الشور ، فإذا الحياة تدب في أجسام الموتى وإذا الهزعة والجوع والعوز تتلاشى أشباحها أمام إرادة ممة قد صممت أن تحيا مستقلة عزيزة لحاسب لاسطان لأحبي عليها وإن تألبت عليها جميع القوى الغاشمة .

عند ذلك تلاقى ثورة الكمالية في تركيا والثورة الماشفية في روسيا ، وإن لم يقر لترك مبادئ لشيوعية . فكنتما لهيئتين كانت بعنا جديداً لأمة مغشوبة خلقها خلقاً جديداً ، وكنتهما قصت عى عناصر الرجعية والاستبداد واستعدت لكفاح الأحدى الذى كان يرمى جاهداً لو استنطاق القضاء عى الثورتين . وكان نزول روسيا عن معاهدة لندن لمرية فى سنة ١٩١٥ قد امت الطمأنينة فى نفوس الأترك ككالبين فتقدرات مساعى الدولتين ، وسرطان ما اعترفت روسيا بحكومة نقرة لخدمة ، وحل محل العدواة القديمة بين الدولتين عهد صداقة وإخاء توطدت أركانه مقدم معاهدة الصداقة بينهما فى سنة ١٩٢١ إذ تفق الحليفان على تسوية مسائل الحدود الشرقية بينهما ليفرغا لمواجهة

القوت الأخرى التي كانت تناوئها من الغرب ، فاحتفظت تركيا قارص
وردها ورثين حتى حدود الشمالية الشرقية ، كما ستردت روسيا بالقوة
وصمت جورجيا ورمينية إلى جمهوريات السوفيت .

ولما من الكاليون على حدودهم من ناحية الشرق - سدوا ضرباتهم نحو
البحر ، فأنحى الفرنسيون من شرق لانسول ، وآثر انجليان لا يرحوا بانقهم
في حرب جديدة ، وفي الإغريق ولا يصير لهم سوى بريطانيا . وكانت الدول
المتحالفة قد سرحت جيوشها بعد عقد الصلح ، وكانت اشعوب قد سئمت الحرب
واستنكرت محاربة الأتراك وهم في عقر دارهم . لذلك لم يلق الإغريق من بريطانيا
إلا معاونة بحرية لا تكاد تذكر إلى جانب الروح القوية المتدفقة التي كانت تسيطر
على الكاليين وطلت تقودهم من نصر إلى نصر حتى دحروا الإغريق في معركة
سقاريا الشهيرة وقذفوا بهم إلى البحر ، فأنجلوا عن أنزيمر ولانسول من غير
رحمة بعد أن شعروا بالمدن والساكن وكل ما صادفهم في محدرهم
إلى البحر .

بعد ذلك التفت السكاليون إلى القسطنطينية والمضائق ، وكادوا يهجمون
القوات البريطانية لمراقبة بها بعد انسحاب الفرنسيين والجليان ولم يمارع
الحلفاء إلى مواجعة الحقائق ومفاوضة الكاليين في الصلح . وكان حل من
الأتراك أن يمزقوا شهادة الوفاة التي خطتها يد الحلفاء ضد تركيا في « سيفر »
وأن يعاموا للعالم ميلاد تركيا الجديدة . فقر الرئي على عقد مؤتمر الصلح في
يولية سنة ١٩٢٣ في « لوزن » البلد المحايد ، لا في باريس ولا في لندن .

وفي هذا المؤتمر لم يعل الحلفاء شروطهم كما ملوها على ألمانيا والنمسا في فرساي
وكما عتادوا أن يملوها على تركيا من قديم . فقد أخذ عصمت باشا ممثل تركيا
الجديدة مكانه في المؤتمر مواجها لورد كيررون ممثل إنجلترا ، وجعل يعرض مطالب
تركيا ويرد على اللورد حجة بحجة حتى كسب منه الصلح . ومن العجيب أن
يكون « شبين » المولود الجديد في هذا المؤتمر هو « شيشيرين » Chicherin ممثل
حكومة السوفييت وهي وإن لم تكن ترافعا في ذلك الوقت بدول الحلفاء صلات
سياسية أو اقتصادية قد دعيت لتبدي رأيها في مناقشة مشكلة المضائق ، فكان
مناظرة قوى نصير لتركيا وكان هو محامها الأول ضد الحلفاء عامة وصد بريطانيا
بصفة خاصة .

بين تركيا وروسيا

وكادت بريطانيا التي ظلت طوال القرن الماضي تسهل عن استقلال تركيا وسلامة كيانتها ضد روسيا، وتنادى في سبيل هذه الغاية بضرورة التمسك بحق السلطان في إغلاق المضائق أمام جميع السفن الحربية منعاً لروسيا من التسلل بأساطيلها إلى البحر المتوسط — قد جاءت إلى مؤتمر لوزان تدعو الدول إلى إعلان حرية البحار وحرية الملاحة داخل المضائق، وأنطاب على تركيا عدم تحصينها ونزع سلاحها لتكون منطقة بحرية للجميع. وظاهر أن هذه النظرية الجديدة لم تكن في صالح تركيا ولا روسيا. فحيدة المضائق تحرم على تركيا تسليحها وتعرضها لهجوم لأعداء، كما تيسر هذه الحيدة لبريطانيا وحلفائها اختراق المضائق بأساطيلهم الحربية في أي وقت يشاءون، وبذلك تظل روسيا بدأ مهددة بالعدوان.

لذلك ناضلت روسيا بقوة لدحض النظرية الجديدة ولكنها لم تفلح. ولم يسمع تركيا إزاء ما كسبته في لوزان من استرداد ذرته وتراقيا ومنطقة المضائق وعدم تقييدها بشروط حربية كالتي قيدت بها ألمانيا — لم يسمعها أن تسترسل في معارضة إنجلترا، فوافقت على سياسة الحيدة التي رادوها للمضائق بعد أن عترفوا بحقها في تأمين نفسها بتحصين القسطنطينية وجعلها قاعدة بحرية بها حامية حربية قوتها ١٢,٠٠٠ جندي. وبقيت هذه الحالة قائمة أكثر من اثنتي عشرة سنة استطاعت تركيا في ثباتها أن تفرغ لتنفيذ برنامج الإصلاح الكالي الذي خلق من تركيا دولة فتية موطدة الأركان عزيزة الحاسب ومن الأتراك شعباً جديداً ناهضاً سرعان ما استرعى العالم بهيبته وحيويته.

ولم تنس تركيا لروسيا مؤازرتها لها في أيام محنتها، كما فعلت روسيا تذكر لكل خير صداقة تركيا والصامح إلى إيران والافغان في معاهدات ودية مع حكومة السوفييت في الوقت الذي كانت فيه حكومات الغرب نعمت بمجرد التنويه بالبلشفيه جريعه لا تغمر وتآمر على قلب نظم الحكم يعاقب عليه بالنفي والتشريد.

ولما فرغت كل من تركيا وروسيا من تثبيت قواعدهما الثورية في بلادها، وبانت ثمرات الإصلاحات الداخلية الشاملة في البلدين، كانت آثار النظر الفاشية والنازية قد ظهرت واضحة لكل ذي عينين، وبدأ الشعوب أن الموافيق والمبادئ

التي أغلقتها عصبة الأمم. لم تغني قليلاً عن الحرب المتوقفة وأيقن ستالين أن بلاده مستهدفة لعدوان ألمانيا وحلفاءها. ولم يكن من ناحية أخرى الغرب من ناحية الإصرار في الشرق، وقد تعمقت الحرب على الصين واغتصبت منه منشوريا في سنة ١٩٣١. متحذرة من ذلك عصبة الأمم. وكان ذلك يقين كمال دور تركيا معرضة لخطر داهٍ من ناحية موسكو وألمانيا، وأن مصلحة البلدين تركيا وروسيا تقضي عليهما بالظروح من العزلة الدولية التي ورضاها على نفسيهما. حتى لقد بلغ الأمر بكمال أتاتورك أن يهجر بلاده نهائياً ويأخذ عاصمته أنقرة، وحتى لقد كادت لأول تعبير لدولتين سيويتين، وأخيراً بذات كت الدولتين سياسة العزلة.

أما روسيا فقد ظفرت في سنة ١٩٣٤ بمكان دائم، مجاز العزلة، ثم دخلت مع كل من فرنسا وتشيكوسلوفاكيا في معاهدة، ورسو جميعاً يخشون عدوان ألمانيا على أراضيهم. وبدأ ستالين مشروع السنوات خمس مرة بعد مرة، حتى شهد العالم وهو مشدوه مبهوت إحدى معجزات القرن العشرين الاقتصادية حين رأى روسيا تتحول إلى بلاد صناعية تنتج، بمخارج إليه البلاد حربية واقتصادية إلى جانب نهضة زراعية اجتماعية وثقافية أصبحت مضرب الأمثل في مداها وكفايتها، فكأنما كان ذلك كله في سرعته سحر ساحر لا محمود أشراً!

وما تركيا فواصلت نهضةها الصناعية والثقافية أيضاً، وتجهزت في سياستها الخارجية خطة مبتكرة ما لبثت أن رفعتها إلى مكان الزعامة بين دول البلقان والشرق الأوسط. وقد بذت تركيا خفيها هذه بأن عقدت معاهدة صداقة مع الإغريق، ثم أقامت دول البلقان دونه لا فائدة ترجى لهم من الاستناد إلى دولة من الدول الكبرى وأن فضجهم السياسي وحرصهم على عدم الارتلاق في منحدر المنافسات الدولية يحتمل عليهم أن يعتمدوا على أنفسهم أولاً، وأن يتحدوا جميعاً ليكونوا صفواً واحداً أمام كل عدوان. وعلى أساس هذه الخطة تكون اتحاد البلقان سنة ١٩٣٤، ولم تشذ سوى ألمانيا وكانت في سياستها تابعة لإيطاليا، وبلغاريا وكانت لها مطامع ترمي إلى تحقيقها من وراء عدم التمسك بالحالة القائمة.

ثم التفتت تركيا إلى الشرق الأوسط فوثقت علاقاتها مع إيران الجديدة وجعلت تسعى بالصلح بين أعضاء الأسره الشرقيه للإسلامية حتى تم تكوين

من تركيا وروسيا

ميثاق سعد باد في سنة ١٩٣٧ بين تركيا والعراق وإيران وأفغانستان على
الأسس نفسها التي قام عليها ميثاق البلقان .

ولما شرعت إيطاليا تتحدى العصبة وتعتدي دلتاً على ثيوبيا وتبعتها ألمانيا
باحتلال إقليم الرين وتخصيصه وإعلان الخدمة الإلزامية مخالفة بذلك لنصوص
معاهدة فرساي ١٩١٩ و لوكارنو ولم تقو العصبة على رد عدوان إيطاليا أو كبح
"زعمات الجبهة في ألمانيا" — انتهزت تركيا الفرصة لتعديل معاهدة لوزان
واسترداد كامل حقها في تخصيص المصيق وتسليحها حتى لا يتعرض أمنها وسلامتها
لبعث دولة مجهة كإيطاليا مثلاً . وكانت العلاقات بين روسيا وتركيا لم تزل ودية ،
وبدأت روسيا تركيا في طلبها هذا لتكون حارسة لها على البوغاز فتمنع تسرب
سفنيل الأعداء إليها . وكان من صالح التخلُّق كذلك أن يكون "صديقاً" لها في
بحر المتوسط مسلحين ومدَّ من هجمات العدو المشترك .

وفي ذلك عقد مؤتمر مونترو سنة ١٩٣٦ بين تركيا وبريطانيا وفرنسا
واليابان وروسيا وبقي دول البلقان ، وقرروا إلغاء القيود الدولية التي وضعت
في مؤتمر لوزان بشأن الرقابة على المضائق ، ونص فيه على حق تركيا في تسليحها
وتخصيصها كما تريد . ومع أنه قد نص في المعاهدة على أن دول البحر الأسود لها
حق مرور أسلحتها في المضائق — ومن هذه الدول روسيا طبعاً — فإن المعاهدة
أبقت حق التصريح بالمرور ومنعه بيد تركيا نهائياً استعمله كما تشاء سواء في السلم
أو في الحرب ، وهذا ما يضايق روسيا ويتقاض مضجعا الآن .

ولما انفجر الجو الدولي في أوروبا وشكت أن تندلع شرارة الحرب العالمية
الثانية كانت العلاقات بين روسيا وتركيا قد بدأت تتوتر ، فقد ارتأبت روسيا من
سياسة تركيا حين وثقت الروابط بينها وبين إيران وتزعمت اتحاد سعد اباد في
حين كانت روسيا تطمح أن تبسط نفوذها على الأقاليم الإيرانية المخاضة جمهوريات
السوفييت ، وترنو ببعثها إلى حقول البترول في الشرق الأوسط ، لتدحر
موارد لها من بترول القوقاز . وكذلك ساءها من تركيا أنها تزعمت دول البلقان
وكادت تخلق اتحاداً سلافياً إذا كان الغرض المباشر منه منع إيطاليا من العدوان
فلا شك فيه أنه سيقوى على مر الزمن ويقف حجر عثرة في طريق روسيا نحو
الجموب . ومنذ نشأت هذه الرابة بين الدولتين سارت كل منهما على النهج الذي
اختفضته لنفسها ، فلم نعد نلاحظ في خططهما ذلك التناسق الذي كان يبدو جلياً في

الماضي . فبينما كانت تركيا ترتبط بمعاهدة الصداقة وتبادل المساعدة مع بريطانيا في سنة ١٩٣٦ كانت روسيا لم تزال حائرة مترددة بين ألمانيا وبريطانيا ، وكانت بريطانيا تعرض عليها الدخول في الحرب على حين كانت ألمانيا لا تريد منها سوى الترام الحيدة ، وعلى ذلك آثرت التعقد مع ألمانيا .

ثم انشبت الحرب في سبتمبر سنة ١٩٣٩ وعلت تركيا حيدتها وخذت تحيط نفسها بما يؤكد هذه الحيدة ، فعقدت مع روسيا معاهدة عدم الاعتداء ، كما عقدت مع إنجلترا وفرنسا معاهدة تقضى بمساعدتها إذا هاجمتها دولة أوربية . ولم رجعت كفة ألمانيا في أوائل الحرب عقدت معها تركيا سنة ١٩٤٠ معاهدة صداقة وتبادلتا . ثم ما كان يلزمهم ، فخذت تركيا أعدداً ومهمات حربية وأعدتها به معدن الكروم الذي كانت ألمانيا في ميسر الحاجة إليه في ذلك الوقت . وحاولت روسيا وقتئذ أن تقنع تركيا بفتح البوارج لاساطيلها ، فُرسلت دعوة إلى رئيس الوزارة التركية لزيارة موسكو ، ولكن تركيا تمسكت بتمهدها لدولية ولم تستمع لنداء صديقتها القديمة .

ثم تطورت الحرب وانتقلت حطاه إلى الشرق ، ومضت ألمانيا تخضع حكومات البلقان واحدة بعد أخرى ، وحيل للناس أن تركيا لا بد داخله الحرب إلى جانب الحلفاء تنفيذاً لميثاق البلقان . ولكن دخول تركيا الحرب في ذلك الوقت لم يكن في صالح الحلفاء ؛ فقد كانوا في حاجة قصوى إلى السلاح ولم تكن تركيا في حالة تمكنها من مقاومة الألمان طويلاً ، ولو أنها دخلت الحرب لاستطاع الألمان بسهولة أن يحدوها عمراً إلى آسيا ويهدوا قناة السويس وحاجب المعجم في آن واحد .

لذلك قصت تركيا على حيدتها وكانت في موقفها كالفائمة على الحمار ، وقد كانت ترى بعينها مصارع الشعوب التي دسها النازية بأقدامها الحديدية فتحتفل وترتفع . ثم دخلت الحرب في ثم أنوارها في صيف سنة ١٩٤١ إذ هاجم الألمان روسيا وأصبح من صالح الحلفاء أن يهدوا طريقاً للاتصال بها حتى يمدوها بما تحتاج إليه في كفاحها من سلاح وغذاء ، وكان طريق المضائق إلى البحر الأسود هو أقرب السبل إلى روسيا ، حاولوا إقناع تركيا بفتح الدردنيل والبسفور لهم ، فابت تركيا عليهم ذلك كما أبت على روسيا حينما كانت محايفة لألمانيا . واضطر الحلفاء إلى الاتصال بروسيا ، إما عن طريق خليج المعجم أو إيران

والقوقاز ، وإما عن طريق البحر المتجمد من الشمال ، وكلا الطريقين وخاصة الثاني منهما طويل مخوف بالأخطار . ثم اشند الصنف الألماني على روسيا ، وكانت ألمانيا تصل إلى آثار القوقاز وبطوم ، وكان مما ينقذ روسيا أن تدخل تركيا الحرب فتدد الجيوش الأيمن للجيش الألماني الذي كان يستند إلى البحر الأسود ، ولكن عندما حاول الحلفاء ، فتناع تركيا بالخروج من حيدتها ، ونقبت كذلك إلى أن لاحت في الجو بوادر النصر للحلفاء ، وبد الرؤساء مجتمعون في مؤتمرات موسكو والقاهرة وطهران في أواخر سنة ١٩٤٣ ودعى لرئيس إينوبو إلى التحدث معهم في القاهرة ، وحيدت فملت تركيا أن تمنع تصدير معدن الكروم إلى ألمانيا ، ولكنها لم تعلن الحرب إلى جانب الحلفاء إلا في النهاية ، ليتسنى لها أن تشارك مع سائر الأمم المحاربة في مؤتمر سان فرانسكو .

ونقمت روسيا على تركيا موقفها الحاد في أنان محنتها الكبرى ، فانقلبت الصداقة قديمة بينهما إلى عداوة أعادت إلى الذاكرة ما كان بين الدولتين في العهد العيصري من جفاء ومرارة وعداء مستحكم . لذلك لم يكن مستغربا أن مذر روسيا تركيا في مارس سنة ١٩٤٥ برغبتها في إعادة النظر في معاهدة منقرو وأن تتوتر العلاقات بين الحكومتين بدرجة استرعت اهتمام الدول . وتقضى المادة ٢٨ من معاهدة منقرو بأن مدة المعاهدة عشرون سنة ، ولكن المادة ٢٩ تحجر للدول أن تطلب تعديل موادها في كل خمس سنوات من تاريخ سريانها ، وعلى ذلك تكون المعاهدة قابلة للتعديل في سنة ١٩٤٦ وقد انقضت عليها فترتان .

ويسدو أنه لن تستطيع تركيا أو أية دولة أخرى بعد أن خرجت روسيا من الحرب ، وهي أقوى دولة حربية في أوربا ، بل لعاما في العالم — أن تحرمها حق المرور في المضائق بأساطيلها دون أن تستدن في ذلك تركيا . فلم بعد روسيا تحشى مهاجمة الدول كما كانت في الماضي . بل هي على العكس يهجمها الآن أن تفتح نواب المضائق لتتصل بسياسة البحر الأبيض المتوسط الذي رهنت الحرب لأخيرة على أنه المركز الرئيسي لنشاط الحزب العالمي . وقد بدت روسيا تطلب بضمها في قواعده الاستراتيجية ، فأخذت مكانها إلى جانب المحترق وفرنسا وأمريكا في منطقة طمحة الدولية ، وجمعت تطلبا بالوصاية على طرابلس ، ويقولون

إنما لطالب عقد في مجلس إدارة قنائه السويس كما كانت تريد إيطاليا الناشئة ،
وقد عُدَّ حربية في منطقة المصايق نفسها .

وإن ترضى روسيا أن تستعيد تركيا مكانها في "المقان" ، فستعمل روسيا على
أن تكون لها الرعاية بين الشعوب السلافية ، ليكون مقدمها بينها كعدم الولايات
المتحدة من جامعة الجمهوريات الأمريكية ، بفارق واحد هو أن جمهوريات أمريكا
تتمتع باستقلالها وسيادتها السامتين ، أما حكومت البلدان فتريدها روسيا
وفق نظامها وعلى هواها .

وتبقى تركيا الآن تُشد العنت من جانب روسيا ، فهي تهددها من ناحية
البلقان ، وقد نشرت تفويضها على حكوماتها جميعاً وخاصة بلغاريا التي لا تزال
تخلم « بأدرنة » ، وتهدها كذلك من ناحية إيران . فن حدود تركيا من جهة
الشرق تتأخم ذريعتان ، وإذا سمحت روسيا في فصل هذا الإقليم من جسم
إيران فستكون روسيا سيدة حاناً بين تركيا وإيران ، فلا يبقى بين الدولتين
ذلك الاتصال الوثيق الذي ساعد على تليف ميثاق سعد اباد ، وستبدل روسيا
جهدها لمنع تجديد هذا الميثاق ووصله بالجامعة العربية حتى لا تسترد تركيا
زعامةها القديمة .

وهناك حورحيا ورمينية وكلاهما من جمهوريات السوفييت ، وهما تطالبان
تركيا بإعادة فارس وزدهان ورتيقان . وكانت روسيا في سنة ١٩٢١ قد رصيت
بإضفاء هذه الأقاليم إلى تركيا بعد سنقضاء أهلها . على أن هذه الأقاليم كانت تحت
يد تركيا قبل سنة ١٨٧٨ حين استولت عليها روسيا ، فاحتفاظ تركيا بها الآن
لا يمدو أن يكون استرداداً لمصبتها . والأترك مضمعون على الدواع عن حقوقهم
وعن أرض الوطن شبراً فشراباً . وإذا أضرت روسيا على اقتطاع هذه الأقاليم
وتعديل معاهد ممترو وفق مصاحبتها وعلى غير ما ترضى به تركيا ، فلن يفي
وقت طويل حتى تظهر في أفق السياسة العالمية « مسألة شرقية » جديدة تختلف
من أحلام الدول وتناضل فيها تركيا وتقف منها كما وقفت في سنة ١٩١٩
لا كما كان يقف الرجل المريض في الماضي . وسترى روسيا حينئذ أنها أمام
صخرة قُذِّت من عزمات ليمانورك العظيم .

في ردهة الرقص

منظرة المرأى ، مصففة الشعر
لدى أعين تجل ، لدى أوجه غر
أزاهير حمر في أضاميم من نور
وكشفن عن أعلى المتون إلى الخصر
وكن بما أظهرن في روتق مغر
أساور من ماس ، قلائد من در
كما شامت الأزياء من يدع العصر
تسبين القدود الفارعات إلى الشعر
تضوع منهن السرى من العطر
عليهن من بيض وسود ومن حر
بنات خيال ما خطرن على فكرى
فولى ظلام الليل من طلعة الفجر
تسئل بين البيض والسمر والشقر
بتكوينها المرموق في ممتها النظر
وصحب من الفتيان كالأنجم الزهر
ودارت على الأقداح آية الحر
وأسى المدامى لا لصحو ولا سكر
كما طل أزهاراً نثيت من القطر
على نكتة بالآريحية تستدري

تهادى حسان الحى (١) في ردهة القصر
يفضن شباباً في فتون وبهجة
كان الشفاء الجون (٢) بين صفيحها (٣)
وأهدأ أهدن الترائب والطللى
وأبرزن أكتافاً وعريين أيدياً
على البشعر البض الغضير تألقت
خوار حشيش السكاسيات مواش
محسن أعضاء تنهى أنسجامها
لذان كأماس الربيع متى سرت
رياش (٤) من الديباج بقت شياتها (٥)
تأقن في زيناتهم عرائساً
فأشرفن والأنوار في كل جانب
وظلت عيون القوم فيهن رثعاً
فجررت الغيد الذبول مدلة
أرائك حول المسائدات شغلا
على حلقات الشراب دارت مسقاتهم
فلامست الأقداح ثم ترشقت
على السمع أنداء الحديث تساقطت
من نخب مستملحات زيفها

(١) الحى : الجماعة . — (٢) اللون حم : اللون وهو الأحمر الخالص .

(٣) تصفيح : جمع صفيحة وهي بكرة جده لوجه . — (٤) ارش : اللباس للآخر .

(٥) القد هنا : الألوان .

ونحن ترجيع بناغم حرسه
 تساق في موجاته مترسلاً
 زخارف وشي تمكت في عضوه
 كماحي ، غفلناه اضمحل ، اذابه
 وقن يرافسن الرجال اجابة
 بلين على مهل ويشدد معجلاً
 بش حنيناً أو يشفق هادراً
 بجلجل ممراحاً وينساب رائقاً
 وسمنهم قاماتهن برقة
 وما سمعها حتى توشه بشوة
 وما اتحد الصنوان حتى تدافعا
 نور بها واضد بالصدر لاند
 وتقدر حياء ثم ندر نارة
 يرى الحذر اوصى بين عاد ورائع
 عجت لعمري يستت حلاف
 بدورون مثنى والخطا تتبع الخطا
 يجولون جولاً يبتدى حيث ينتهى
 فين دوران يستقيم ويلتوى
 وصنوين جداً فاستقلا بحيز
 وشيكاً وهلاً بمضيان ، سرهما
 وبيننا بها يرتد عجلاف ، يفتنى
 ويفصلها عنه فتنائ وتدنى
 تدور حوالبه فيرعى مدارها
 يعلق إحدى راحتها بكفه
 وما انتقلت الاستدارت جباثكا (٢)

مشاعرنا ، مارن اياه تستفري
 ارق من المثنى وأندي من الزهر
 مهارة ذى عزف ، براعة ذى زهر
 على صخب يعلو ويهبط في يهر
 إلى نغم لا يستقر على نهر
 ويبتم في أنس ويصدق في دعر
 فيشكو ويرجو أو يهيج فيستفري
 لنا منه في حاله دنيا من الشعر
 وكل تلنى صنوه طافح البشر
 من الفرح الطاغى بمفطرة الشعر
 فطوراً بها يجري وطوراً به تجري (١)
 وكف إلى كف وكف إلى الظهر
 تسايه الهيفاء بالكر والفر
 فهذا على طور وهذا على طور
 نظام يسود الرافسين بلا أمر
 تشايح ايتفاع الممازف والنقر
 روح مع الانعام كرا على كرا
 إلى جولان يستدير على حذر
 توقف منه الرافسون عن السير
 طليق على قيد ، يسير على سير
 بها داهياً نحو الأيام والبشر
 فنشر إلى ضم وضم إلى نشر
 فكيف اغتدت يفتدو وأنى برى تسرى
 ويطلقها تفتن في رقصة بكر
 شرasher (٣) ذيل من حراثرها الخضر

(١) هنا على ما يراه غير الرافس . - (٢) الجباثك : طرائق الرمل .

(٣) شرasher الذيل : ذابذه وما انتفصر منه .

نفسُ بساقِها الدلاذلَ إن وُنت
من صنوهم الساعى إليها مراقصاً
وصفقُ إعجاباً وشارك راقصاً
رؤى حركاتِ الراقصين كثيرة
ومهماتٍ لستَ تبلغُ كنهها
أقبى على ود؟ أو وعداً؟ أدعوة؟
ومن لفتاتٍ تستبيك رشاقةً
سحرُ تبدى المبهماتِ من المنى
عموضُ كأطوار الملاح محير
دالم تجيدُ عما أسرَّتْ وأهمت
وياربُ إعجابٍ لديك ملكته
سرورك ساعٌ ينقصُ بانتصائها
تملُ فأيُّ المحاسنِ وابتهج
حليطُ كلثفُ الفصوصِ شخوصه
شخوص تناءى في مجال وتلتقى
وما آتته الأنعام حتى تفرقوا

عن القتل حتى تسحب الذيل في كبر
فكانا كبيت الشعر شطراً إلى شطر
من الحفل من ينفى المزد من الحبر
فنهى على سرٍ ومنها على جهر
ومن بسمات ينطوين على سرٍ
أم أن أبتسام الخود لوزن من المكر؟
ومن نظرات لا راجدة ولا هزر
وتأبى عليك المفضيات إلى الحزر
فأنت بقيه من غوامضها الكثير
بليت بحال من مكايدها وعمر
ذكر فيه من خللٍ ومن حجب
ولا تسقنها غير مشرح الصدر
حيالك ما يرفيك من حزن الدهر
أفاء عليها الواردات من السحر
على بارع الألحان من حيث لا تدري
وعادوا وعادت آية الكأس والسم

على الخياط

[بغداد]

من كتاب همس الصحراء

قصة معبد

إذا قلت الحال رحت صوقي

وإن قلت اليقين أطلت همي

أبر العلاء المعري

من يوم شهر يوليو وكأني حرارة الطقس قد مدت في ساعات هذا اليوم الضائف الحار فوجدت كأنه الأبد لا يشعر بانتهاء. تخرجت إلى تلك الصحراء القريبة التي أحس فيها وحدها الحرية، واتي أعود منها دائماً، وقد همت هذا الكائن الذي قرؤه في الكتب حول معنى الحرية ولا أحسه في حياة تبدأ بها قيوداً، وتنتهي قيوداً. وما كدت أسير في الصحراء وأستشق هوائها الحار حتى نعت في نفسي على دفئه نشاطاً لم يكن لأي شيء، سواد أن يبعثه، وإذا هذا النشاط يغريني بالسير، وإذا أنا مطمئنة إلى هذا الأمان في الصحراء، وكأني واثقة في مهما قصيت فيها من الزمن فسأعود قبل أن ينتهي هذا اليوم الطويل ولا يعرف سحر الصحراء إلا من سار فيها راغماً في هذا اسير لذي لا يوصل إلى غاية، ولا يصد به قطع الطريق. فلعل أجمل ما في الصحراء هو هذا الشعور المضمّن بالصياح. إنه شعور عجيب يجمع بين تقيصين، وليس أبلغ في لذيثير في النفس من اجتماع المتناقضين.

وعن بعد للاح في بناء لم تكن رغبة من قبل. فقلت في نفسي: لعل انجبت اتجاهاً جديداً. ولم أسترسل في هذا التفكير، فقد كان شيء غامض يسرع بحطاي نحو هذا البناء، فأسرعت حتى سكنت عدو عدواً، والبناء تظهر لي معالمه وتقترب، فأعجب لهذه القبة الشاذة من بينها في هذه الصحراء، ترى ومن يعمرها؟ هي أثر قديم ثم أن هذا يسكنها سحده ويحدثني فأرى صاحب هذه العزبة الجبارة الذي يساهل صاحب هذا الحظ السميد الذي يعيش فيها؟

توى لا فرد نفسه ها. أوسط هذا النصف الواسع "عابد شرا أيدة مختار"، ثم
 صبح أفرادهم. واستقروا، لا ولكن أنفسهم كثيرة شمة، ولا يمكن أن
 تكون لهم. به معبد قدمه فيما يوح. وعدوت وعدوت، وإذا بناء فم
 ليس في المدينة ما مثله، وبديته. إنه يذكرني بالمعبد التاريخي القديمة، فإن
 شئت في حجارته وجمته يوحى بالخلود والابد. ولكن أمره عجيب فهو حديد
 ولا شك، ولكنه مهمل بهلاً فاحشاً، وقد سبق من حديثه فيما يظهر إلا معالم
 لولا وضوحها لكانت قننها كافية لخلقها. وكنت كما اقتربت حسنت وحشة
 ورهة كاتتا كفياليتين يرحمى أو ثمانى حيث لا لولا حب لاستطلاع. وإذا
 ناقد كدت أصل إلى سوار المعبد الخارجية ورى شيخاً لفتنى إليه مفاهره.
 فقد كان يجلس على لأرض، وفي يده عود قصير يداعب به الرمال في هدوء
 وتأمل طويلين حالمين. وما كاد بحس خطواتى حتى رفع جفنيه في تشاقل. ولم يكبد
 نظره يرتفع إلى أكثر من ساقى حتى عاد إلى رماله يداعبها كأن نسمة من نسائم
 الصحراء مرت على وجهه الأسمر الدقيق. فوقفت ههنا تأمل هذا الشيخ في ملايحه
 البيضاء الناصعة، وجليته القضية التي توحى بالهيبة والوقار، ووجهه الوسيم
 الشب الذي لا تكاد نصح فيه أثراً إلا يسيراً لا تتجاعد. وكان لهذه المحبة البيضاء
 على الوجه الأسمر الشب لسحر جميل. وقد ملئت أنفه الدقيق وجبهته العريضة،
 وسألت نفسي: ماذا تكون خلاق رجل هذه ملايحه ثم ابتسمت في نفسي من
 مثل هذه الأفكار تالوح لي في هذا الموقف. وأفقت، وإذا انتظاري قد ضل،
 بدأت أحس شيئاً من الارتباك، فلو لا هذه الخطوط القصيرة التي كان يرسمها
 الشيخ في بطنه، لم يكن من الصعب أن أظن أن هذا الذي أمامي تمثل دوق
 الصفة، قد ألقى في الصحراء إلقاء. ترى ماذا يمكن أن أقول له. وإذا
 صوت من بعيد، فنظرت فإذا طائفة من الشبان تدخل هذا المعبد الفخم،
 وتختفي وراء الأسوار الحديدية التي أحاطت به. وقبل أن أفكر في شيء كنت
 عندوهم لأسألهم عن أمر هذا المعبد، ولكنهم تواروا داخله قبل أن أقطع
 نصف المسافة التي تفصل هذا الشيخ عن الأسوار. فعدت مرة أخرى، ولم لم
 أجد هذا الشيخ قد تحرك فقد صبرى فقلت: «يا سيدي» وكأنا كان صوتي
 يخرج من جوف الأرض لا من حلقى. وما كدت أطق بهذه الكلمة حتى رفع
 إلى بصره في تشاقل، فإذا عينان حادتان تبددان إلى نفسي، فأحس كأنها عارية

خجلة تكاد تتلاشى من حجبها في هذا الغمام درات متناثرة ، وإذا صوت وفور
 بقى يقول : « وماذا أتى بك يا بنتى إلى هنا ؟ » . قلت : سيدى وما هنا هذه !
 ولماذا تنظر إلى هكذا ؟ وأحسن الرجل أتى خائفة تحاول إخفاء خوفى في التلطف
 على معرفة ما لم أكن أعرف . قال : « ما هذا يا بنتى فهذا المعبد . وأنا نظرتى
 فأغفريها لى ، إني لم أرفع البصر عن الرمال منذ عوام ، ولم أر إلا لونها الأصفر
 الأبيض حتى كدت لا أميز الألوان . قلت : وكيف تعيش ؟ قال : « إني أعرف
 بعض سيدة هذا المعبد فهم يقومون بخدمتى ، ولكنى لا أرفع بصرى إليهم
 لأنى لا أريد أن أراهم . ولولا أنى لا أملك البعد عن هذا المعبد ما أطق العيش
 هنا فى جوار هؤلاء . عودى يا بنتى من حيث أتيت فإن فى صوتك إخلاصاً ،
 وفى ملاحظك سداحة يقتلها هذا الجو الخائق . قلت : ولكن ماذا يضطرك
 إلى هذا يا سيدى . وأمامك المدينة واسعة ولن تعدم من الأصدقاء فيها من يسر
 لك عملاً تعيش منه قرر العين فلا تحتاج إلى هؤلاء الذين لا يطيق أن ترفع فى
 وجوههم بصرك ؟ . فانسهم الشيخ انتسامة عابرة من جهلى وقال : « إني لا أطيق
 الإقامة فى المدن والبيوت . عودى يا بنتى . لم أقل لك إن فيك إخلاصاً
 وسداحة ؟ » .

وعاد يداعب رماله فى حركة إن تكن أسرع من حركاته الأولى فإنها لا تزال
 لطيفة حاملة . وخفت ألا يحينى فقلت : سيدى ساعود فى الحال ، ولكن ن
 رجاء . قال ولم يرفع بصره : « حتى أنت ! » قلت : وماذا ؟ قال : لا تعملين إلا
 بشئ . قلت : رجائى أن تقص على قصة هذا المعبد ، ووكد لك أنى لن أسألك
 شيئاً ، ولن أستفسرك عن شيء ، قص على من أمره ما شئت ، واحذف من خبره
 ما ترى ، ولكن لا تدعنى ذهب وفى نفس ظمأ إلى معرفة أمر هذا المعبد
 فأعود إليه وأنت لا تريد أن أعود . قال : كلا يا بنتى ليتك تعودين ، وقد
 نمدت الحال ؛ بل ليتك جئت إلى هنا منذ عوام إذن لتلقيتك بالترحاب ،
 ولدخلت المعبد فلا تبرحين . ولكن . . . ثم رفع بصره إلى السماء ، وتهد
 تنهيدة مكتومة حائرة ولم يقل أكثر من « يارب » ثم صمت . وشع نداؤه
 حاراً فى الصحراء وفى جوار المعبد إحساساً بخشية الله لا يمكن أن يوصف
 إنه غيبة عن هذا العالم يتصل الروح فيها بشيء غامض قوى فتغمر النفس سعادة
 ويسرى فيها من وفقت على أصوات منكرة تنمت من هذا المعبد ففزعت

وهمت بأن أعده هاربة ، وقد حارب روحوشاً مستطلقاً في نرى ، لولا أن الشيخ قال لا تنزعني يا بنتي منهم يربون آياتهم في الصلاة ، اجلسي على هذه الصحرة فساقص عليك قصتهم ، وإنها لحقيرة مؤلمة ، ولكنهم لا يقدرُونَ لا على هذا . إسترجحي يا بنتي فلقد سرت طويلاً واهترت أعصابك هزات عسيفة لم تتعوديها ، إنني قد علاني المشيب منها وأنا في شرح الشباب . قلت في نفسي إن أمره لأخطر مما قد دار في خلدي . هذا الصوت النقي الوقور ، وهذه اللحية البيضاء وهذا الوجه الشاب ، ثم هذه الجلسة التي لا يفيق منها ويكاد يقضى حياته فيها . إن أمره لأعجب من أمر المعبد . قلت : سيدي أتمدني حديثك أنت ولنترك أمر المعبد ومن فيه ، فقد تضاهل شأنه بعد ما سمعت من أصوات صدقته المنكرة ؟ قال : إن قصتنا لواحدة .

منذ عوام طويلة جاء إلى هذه الصحراء نفر من شبان المدينة عرفوا الحياة يقيناً ، فزادهم يقينهم بها إيماناً ، وتطلعوا إلى خير ما يتطلع إليه إنسان ، فزادهم تطلعهم حماسة وإخلاصاً ، وجمعوا أن خير ما ينفعون فيه عمارهم هو التفرغ لعبادة من خلقهم مستعنيين على التقرب إليه لا بالصلاة والتسبيح حسب ، ولكن بالسعي أيضاً وراء المعرفة ، والبحث عن الحقيقة . وفي السعي وراء المعرفة تسبيح ، وفي البحث عن الحقيقة صلاة . وقالوا : إننا لنفرع لعبادتنا يجب أن نبعد عن المدينة وما فيها من هوى وريب ومطامع وغراض ، ونقيم هنا في هذه الصحراء لا تزور المدينة إلا مضطرين وساعين . تحتك بالناس لمعرفة طاعتهم ، ونعامل الناس بالقدر اليسير لدى محتاج إليه لمعاشته ، وبالقدر الذي يملكه علينا حبنا لمعرفة الإنسان هذا المجهول الذي تعب العلماء والباحثين ممد حلقوا . وفيما عدا ذلك فقامنا في هذه الصحراء يعين بعضنا بعضاً ، على ما يدرس ويقوى صوت جدينا أصوات إخوانه فيما ترتفع به من تسبيح بحمد الله . وقليلًا قليلًا قويت جمعتهم ، وبهرت فكريتهم بعض أهل المدينة ، فمهم من انضم إليهم بروحه ونفسه ، ومنهم من وجد في فكريتهم مجالاً للخلود لذكره ، فقال لهم تبني لكم معبداً . وراق لهم هذا العرض ونقموا فضل هؤلاء المخلصين وتفاءلوا به . وقالوا : هكذا يحسن الله علينا ليسحبنا على السير وما يدنا . وتنافس الناس في المدينة لإقامة هذا المعبد هؤلاء المؤمنون ، منهم من دفع من ماله لا يستغنى إلا المشاركة بما يملك في تحقيق فكريتهم الحسنة ، ومنهم من رأى في ذلك فرصة للعبادة

والظهور . والإنسان قد فُتِرَ من المصير والتفاخر . وشيئا فشيئا شبد هذا المعبود
المحج . لوريقه يا فتى يوم كمن سؤده ! لقد كان آية من آيات اسما ، كان عليه
ضوء من السماء كأي السحب قد انشعبت من فوقه وحده فأنارته وقد حجت
المور عن سائر ما حوله . كان يؤاؤده مصيئه لأمعه في رمل هذه الصحراء الباهتة .
ودخل الشبان معده . وعكس كل منهم حتى ما كان يعكف عليه من قل .
ولست أذكر من أمرى شيئا إلا أني كنت أقيم في هذه الصحراء ، وفي ذا كرتي
خيالات مفرقة . وصور قدس عن معبد سكسها حيناً وخرجت منها لا أدري
كيف ولا متى . فرؤى هدا وحجر . ودخلوني معهم وكرموني وأحوني ،
فحببتهم جميعاً حتى أني لم أصدق أن أقيم في غرفة تعينها من غرف المعبد ،
ورحوتهم لا يكون في مكان معين فيه ، وأن يأذنوا لي زيارة من أشاء منهم .
خيتاني التي جيت عندي حتى لا استقر في المعبد وفرحوا لهذا وزدادوا
بي تعلقاً ، وفي خدمتي تقديراً ، وعاشرهم رمنا .

لوسمعت يا فتى ناشيدهم التي كانوا يستحجون سائرهم لكل مطلع شمس
ومغربها ! كانت أصواتهم تخرج نغم يمكن أن يسمعه الإنسان . أصوات آدمية
بلغت من لطافة أقصى مبلغ ، ومن الحلاوة ما لا يمكن أن تصل إليه آلة منها
تكن . وأن ريتهم يتصاعد من هذه بقعة اللازوردية في طريقته إلى السماء ، فيجس
سامعه ومنشده أنهما قد رفعا من فوق هذا الأرض وقد أصبحا شيئاً آخر
غير أهلها ، شيئاً قريباً من عالم الملائكة بروائه وحلاله . حتى إذا خرج الصوت
من القبة وتجاوبت أصداؤه في قبة السماء ، ثم أخذت أنغامه تغيب فأسعة
لغيرها إلى الصوت حنائاً ، وفتح محلاوته آفاقاً وآفاقاً ، من الحمال والجلال
والروعة ، وإذا الأنبياء ندو زرادت من أطراف الصحراء تدخل المعبد وتخرج
منه مخلقة مع الصوت في آفاق السماء مرددة لحن التسبيح خجلة أول الأمر من
أصواتها ثم متشعبة بعد حين ، مغمضة أصواتها لحظيفة القصيرة في هذه الأنغام
المليئة الطويلة . إن الأصوات الوحشية التي سمعتها الآن ، والتي فزعتك
هذا الفزع الذي أشققت عليك منه ، لا يزال أصحابها يريدون من سامعها أن
يكشف لهم عن مثل هذه الآدق ، ونسوا أو تناسوا أنهم لا يتطلعون إليها ولا
يحسون من الحنين إليها شيئاً ، بل إن صورها أصبحت لا تدور بخيالهم الذي
على رياء وزيفاً وما رب تفسد عليهم الحياة نفسها .

ومكثت ... زمنية ، فأمدنيت خدمه وأحبته أكثر من إخوانه . لقد كان أدفهم تصوراً لفكرة هذا المعبد ، وأشدحم تحمساً لها ، وإن حبينه إلى الوصول إلى الكمال في أمر هذا المعبد كان أقوى من حنين إخوانه ، لسعة خياله واتقاد حسه ، وإمكان روحه أن يخلق فوق ما تشغل به النفس عادة من أمر هذه الحياة . وكان كثير التأمل شامل النظرة ، فالتسع صدره لما لم تتسع له صدور الآخرين وقوى جلده وصبره على ما لم يقو عليه جلد الآخرين وصبرهم . وكنت أراه من حين إلى حين ينتحى مكاناً في المعبد يطيل فيه التمسك فاعاونه ، وإذا هو يقضى إلى بدخيلة نفسه في سذاجة الرجل العظيم ، ودقة القلب الكبير . وكان إخوانه يحسون هذا الجو الذي شع عليهم في المعبد ، وهو مشبع بالحبة والخلوص للتعمد ، فلم يغاروا من حي له وإنما فرحوا به ، ولم يشغلوا أنفسهم بأمر إقصائه غنى ، أو بحسبان ما يمكن أن يطرأ على علاقتنا من تغيير بفعل الزمن أو الظروف أو الناس ، وإنما شاركوني في حي له ، فحبههم هو وفسح لهم الطريق إلى قلبي . وكثيراً ما حدثني عنهم يحاول أن يكشف لي ما ظن أنني لم أكن أعرف من محاسنهم . وفي يوم أرادوا أن يكون لهم رئيس ينظم أمر جماعتهم ، وأعمالهم وبحوثهم ، فلم يجدوا خيراً مما اصطفت فبايعوه فرحين به . وارتفعت أصواتهم بالدعاء والشكر على ما وفقوا له في أمرهم فكانت في أحلى نعم وأرقه وأصفاه . ونظرت حولي في أرجاء المعبد فتمتمت عيناى بجمال الفن وروائه : فهذه تماثيل صنعوها وقد وضعوا كلا منها على قاعدة تظهر أدق ما في فنيهم من آيات . ودخلت أشعة الشمس من فة المعبد الزرقاء الصافية ، من تلك الفتحة الصغيرة في القمة ، فتلاعت بهذه الزرقاء ولقت على التماثيل ألواناً وأشعة ، فزادت فتنها وكل حمالها . وهذا خدم عاكف في ركنه يقر ويكتب ، وهذا آخر يفكر ويتأمل ويطيل التفكير وتعمق التأمل ، وهذا ثالث ينحت ويصور ، وتلك جماعة تتناقش وتحدث ، وأخرى تصلى وتتعبد

وكانوا قد أفردوا جزءاً من المعبد يستقبلون فيه شمس المدينة الحدد الذين يريدون أن يتعرفوا أمرهم ، فزهم من كان يقرأ معهم ويتعبد فتحلو له لإقامه وبمكت معهم وقد عاهدهم وعاهد نفسه أن يظل منهم مدى الحياة . ومنهم من كان يرى في حياة العزلة تلك مشقة لا قبل لمثله بها فيرجع إلى المدينة شاكراً حامداً وفي نفسه منهم أطيب ذكرى وأخلص حب . وسدنة المعبد يرهبون به

إذا قرر المكوث معهم ويودعونه أسفين عزوين إذا قرر الرجوع إلى المدينة . وهو إذ مكث في المعبد صبح من سدلته يقوم على خدمته كهؤلاء الذين سبقوه يعمل في إخلاص ونشاط كل ما من شأنه أن يحمل المعبد وييسر الحياة اللبية لمربيه ، يتعاون معهم في ذلك حسب سنه ومواقبه . حتى إذا نما هذا الوافد الجديد واكمل بذل يصيف هو أيضاً من جهده إلى جهودهم ما يخفق فكرة عبادة الخالق صلاة وعلماً .

وكان منظر هؤلاء الوافدين المدد طريقاً بديلاً ، يتدكوا ويتحسسون جدران المعبد ، كما يتحسس الربي الخفيف قطعة من الحرير ، كأنما في النفس وحده لغة فائقة . وكانوا يتظلمون إلى كبارهم ، كما يتظلم الطفل إلى أبيه في إيجاب وحب ورغبة شديدة عمية في أن يلقاه ، فهم يسرون وراءهم يسألون في إلحاح عن كل ما يحظر لهم ، والآباء يتحدثون عليهم ويفتحون ما أغلق دونه وبينهم ما فيه غيب . فإذا أتى من الوفود الجديدة من يسأل سؤالاً كانوا هم سألوه من قبل ضحكوا منه ضحكة لئيمة ، كأنما يرون فيه أنفسهم من حديد

وحب صاحبي هؤلاء المدد وري فيهم حجراً سسيا في ماء المعبد إن حياة الانسان لتقصيرة ، وفكرة المعبد بديلة زلية . ترى من يقوم بها إذا قدمت السن من بدءوا غير هؤلاء الشبان . ومن حين ما تخدم به فكرة المعبد أن تكون الخطوة الجديدة فيه خيراً من السابقة ، وأن يكون الذين سيلون لأمر فيه خيراً ممن يلونه الآن . وتحمس صاحبي تحمسه لكل فكرة صائبة يوح له ، وقال هؤلاء المدد : إننا نريد أن نعدكم لنكونوا خيراً منا . وملاً لغرور الطموح المحجب نفوسهم المشتعلة الشبه فقالوا : وإنه ليرجو أن نكون كذلك . قل . إن معبدنا هذا واحد من آلاف المعابد المتقدمة في صحارى العالم الشاسع لواسع . ومن الخير لهذا المعبد أن يعرف القاصون أمره ، لا ميدور في معبد حسب كما يعرفون الآن ، ولكن ما يدور أيضاً في تلك المعابد الأخرى حتى يقتفوا على حسن الوسائل التي نتحقق بها فكرة المعبد "مظيمة" . إن من المعابد الأخرى القديم ، وإن منها ما قدم من في التحارب قروناً ، فيذهب كل منكم إلى معبد من تلك المعابد وسيرحب به هله دون شك ، فيمكث فيه زمناً ، ثم ليعد إلينا وقد عرف ما لم يكن له أن يعرف لو قام هما طوال عمره مهملًا خالص . لقد زرت هذه المعابد مرراً وقت حبس في غيرها ، ولسكن الزمان يسير ، والسكالك لا يدرك في جيل ،

فلتذهبوا إليها ولتقيموا فيها ، ولتحسنوا الدرس والزيادة في الدرس ، لعل فيكم
الخير لمستقبل هذا المعبد المقدس . وتحمس الشباب لعلوم أفكار الرحلة في
ذاتها ، وأكبر أستاذة أكثر مما كان يكبره بعد أن ظن أنه قد أنهى حياته في إجلاله
وأكباره . وودع أهل المعبد إخوانه الصغار الراحلين ، وفي نفوسهم حسرة
على فراقهم ، وفي تكبيرهم رضا عما سيكون منهم حين يعودون .

ومنذ ذلك اليوم الذي تولى فيه صاحبي أمر المعبد وأخذ يعني بحضرة
ومستقبله أحسست في نفسي متنا ورضا ، وادخلت إلى أن الحياة في هذا المعبد
ستسير كل يوم نحو غايتها ، وستعبد عنها الغيرة كل دلت دابة فيمعم سديته أمتع
لذات الحياة ، لذات السعي إلى نية لا تدر لك ، فلا يمكن السأم أن يتطوّر إلى حبيبه
ولا يمكن كسل النجاح أن يمت نفوسهم إذ ما وصلت بهم سيسعون لنما
ومستقبل حياتهم في هذا السعي وهم رصون متحمسون ، بل وهم محققون كل من
يريد أن يحبه أو يغربه أن يستندوا على عاتق دني وصولاً وأيسر سعيًا
وبما كنت أحس السنين كد ، فكرب فيهم كمت حس القلق إذا
ما فكرت في نفسي : ما مقامي هذا من مشي ومتي ذهبي إلى ياتي لا أعرف
شيئاً عن نفسي ولا أدري من حياتي لا حيلات صور مشقة زامسه . ولو
ترك إلى نفسي حياً لانتسح الوقت لأن أعرف من شأنها شيئاً . ولكي موكل
دائمًا بأمر ، مشغول بفكر . وأحسست يوماً وأنا حول حول معبد رغبة في أن
أعمن في هذه الصحراء . لقد كانت الصحراء قديم كل يوم ، فما أحسست حماتها
إنراء ولا لسجرتها فتنة . ولكي في ذلك اليوم أحسست إغراءه وفتنتها ،
واستنفت بعد مشقة أن أقوم إحساسي فلا تيه في مجاهله . فما عدت إلى
صحي إذا هم قلقون مضطربون يتحدثون في أمر جاءهم من المدينة ، فهذا حاكمها
أرسل إلى رئيسهم يريد أن يشخص إليه . وعاد منهم من المدينة من عاد ، فقد
كانوا يخرجون إليها إما للدرس وإما للعاش ، فقلوا أن أهل المدينة في أشد
حالات الاضطراب ، فقد قام عليها حاكم متكبر حبار يريد أن يخضع فيه كل شيء
لأمره . فما قاوموه تعسف وقبل فدعوا مرغمين ، وفي صدورهم براكين من
الغضب ، وفي نفوسهم فيض من ألم الدلة ودن المسكنة . وظل الحاكم مأمراً نحو
ذلك لا يستطيع أحد إلا موافقته على ما يفعل ويقول . وترامت إليه حصار
المعبد وما يعم به هله من حرية ورامة ، فمر عليه أن ياون حر وأكرم

لا يخصه لسلطانه ، ورسلى إلى رئيس المعبدين ليعير إليه . ولا يعرف المدينة الآن ماذا سيكون من أمرهم مع هذا الطاغية ، واصفرت بؤسهم أشد اضطراب . ولأول مرة أحسست أنى غريب عنهم ، وأنى لا أحس ما يحسون ، ولا فكر فيما يفكرون ، ترى ماذا جعلهم يضطربون ؟ ولأول مرة أيضاً أحسست الندم لأنى قاومت إغراء الصحراء وقتلتها . ونظملت إلى صاحبي فإنما هو الوحيد الذى لم يضطرب ، وإذا هو يتحدث إليهم بما أصبحت أفهمه وإن ظلت عني بعض معانيه . إنه أخذ يعيد الدنيا ثانية إلى قلوبهم ، وإذا هم يفتقون من حديثه قويا متحمسين . وتحاولت الحاسة في نفوسهم فقويت وازدادت قليلا قليلا حتى ملأت قلوبهم . إنهم لن يفرطوا في رئيسهم ، ولن يذهب إلى الحاكم لأنه دعاه . إن حاكم المدينة لو طرق بابهم ما أجابوه . وما لهم وما يتناحرون من أجله هناك ! إنهم زاهدون في السلطان ، راغبون عن المال ، حسبهم من عيشهم هذه الحياة التي يحيونها مفعمة بلذة القرب من الله سبحانه وتعالى يتعدون ويدرسون فيحسون حجب الكون تنكشف لهم حجاباً حجاباً ، وفي كل كشف لغة تظني وسعادة تفرح .

ولكن الحاكم لم يصبر على هذا الشؤن له ، وإذا جنده يقتحمون المعبد ومخرجون الرئيس بالقوة . ولا تسأل يا بنتى عن الملح الذى اعتدى تلك الجماعة المؤتلفة المتحابة . وكانت غضبتهم غضبة قوية دوت بها الصحراء كلها . إنهم لن يرتضوا غير رئيسهم ، ولا يدن يرد لهم . وسعى إليه من سعى في عزله وجفاه من جفاه . وهذا الزمن من ثورة النفوس ، وإذا الشدة كعادتها تكشف عن حقيقة النفس ، وسرعان ما كشفت عن تلك النفوس التي سماها الخو حولها ، فغارت فيه وهي ليست منه . فلما فضبت الكأس ظهرت رواسيها التي كانت تعوم فيها . إن هؤلاء القلة الذين كانوا النواة الأولى لم يحسنوا اختيار إخوانهم ، فضموا إليهم بعض من فقه فكرة المعبد وبعض من لم يفقهها أصلاً . بل لقد ضموا بعض من يهرد بناء المعبد ، ولكنه عاش غريباً فيه يسائر أهله وهو لا يحس أنه منهم . كل ما في الأمر أنه وجد في المعبد أملاً ودعة لم يتوافرها له خارجه ، وظن أن سيكون لهذا المعبد شأن دينوى سريع ، فإذا عليه لو شارك في هذا الشأن منذ الآن فيكسب بمر الزمن . لقد كانوا أمرف بطبيعة الحياة والانسان من هؤلاء المثاليين المؤمنين الأولين .

وكان أمر الوفاة بين هؤلاء هؤلاء ، منهم من آمن مع
الأولين فافتتح بوحية نذريهم ، ومنهم من عاد بعد قليل فآمن بوحية نذري هؤلاء
العماليين ، وسوا ثورتهم العظيمة ؛ فآمن كثير من كليل بأن يسمى عظم الأتشياء
وأجله شدة في الحياة . فمأسدة متعدد فلتد غفلوا أو تغفلوا عما بينهم من
اختلاف ، وكنت أصوات العماليين تضع في أصوات الخاصين وعصمتها وهم من
من قوتهم ، فقلت لغاتهم تخرج حارة قوية مع أن عددا ليس بقليل منهم
كانت ترتيله لا تجاوز الشفاء خجلا وخوفاً .

ولكن الحجة ناحت لهؤلاء العماليين أنكم ، وأولئك تعزو أصواتهم الحجة ،
ومر الزمان فاذ أصواتهم تعلو في الترتيل ، وهذا أصواتهم تعكس صمو هذا ، من
الساكن لفرقاق . وقال فذهب به كان يجب عن رئيسه أن يقيم الحماكم فلا يزال ولا
بعده . وقال آخر إن للحاكم سلطان على كل شيء وسلطته هي راجع إلى
ما تعارض ، وإلا ضاعت هيبة السنان في كل زمن ومكان . ولكن من
تؤمنين الأولين من يقول إنه ليس لك . كم أن يتدخل في أمراء ، إنما لا تعرض
ولا لسلطانه ، فنحن قوم جعلنا بيننا وبين ملل ولسان أمداً واسعاً .
والله الذي يتينا من المدينة إن هو إلا قرابين أهدى إلينا لا بدعته الخكم من
منه ولا يتكلف في سبيل إيصاله إلينا شيئاً . ولكن صوت هؤلاء .
وإن يكن كله إخلاصاً فقد نذ فيه غير قليل من فتور خيبة الأمل ولا شعور
نفس حولهم فلم ، يكونوا يتفكرون إلا أن ترى سمعة في مثل هذه المواقف
واحداً تراه أول الأمر ولا تحيد عنه إلى النهاية .

وغضب سدة المعبد الخلفين وتلاميذهم ما شاءوا ، ولكنهم عرفوا آخر
الأمر ما حاولوا نسيانه ، وهو أن الحاكم لذاته لا تومه إلا جملة من حكماء
الملك . أما فقد تككوا وظهرت لهم لعناصر الغربة عنهم التي أميش .
وعدوا سيرتهم الأولى ، وقد فترت حماسهم ونظر بعضهم إلى بعض تعزير لربة
والشك ، كل منهم يثار في صاحبه ما لا يظهر . لقد كانت التجربة دسيه ثم
رسل الحاكم وأمره حاولوا أول الأمر مة ومته ، ثم أذعنوا وولوا عليهم من
ارتضاء الحاكم حتى لا تنفذ في المعبد إلا وأمره . لقد تب هذا الرئيس
الجديد أول نفرة في حصن المعبد المقدس ؛ فقد جعل لحاكم فيه أمراً لم ينته بل
أزداد على مر الأيام .

ومنذ ذلك يابى الفصل أمر المعبد بالحكم القائم اتصالاً فسد عليه كل
أمره . فالتين كارا من أبعثه يقضون النهار في البحث والتسبيح لله ، والليل
في التهجد والتفكير والسمل ، أصبحوا يقضون اليوم في المدينة باحثين عن
الأسباب التي توصاهم إلى رضا السنان وعطفه ، ولياهم في التفكير في وسائل
هذا التقرب وكيفيته . هذ صحا خيالهم ولم يهيم بالذمة ما ، لم يفكروا في جنت
عدن ، ولم يتدبروا ما يمكن أن يصلوا إليه من سلطان ، وما يمكن أن ينعموا
به من مال . وصيحت صلاة المؤمنين المتابعين منهم تجمد على جدران المعبد
البارسا ، الباردة قبل أن تنزل في طريقها إلى السماء . وبذلك أصبحت الحياة في
المعبد جحما لا يطاق . وأمر الرئيس الجديد ، ونهى وأساءه بعضهم ، وتخاصه
الآخرون ، فقترب ويمد ، وفسد ما شاء له الإفساد .

ويشء لله ، جلت حكمته أن تعارض ، أن يعود في تلك الآونة شأن المعبد
المسروون في صحارى الدالم ، وفي قلوبهم حماسة لشباب المؤمنين ، وفي عقولهم علم
ومل واسع عريض ، فإذا المعبد حوله سوار لم تكن أيم كانوا فيه . فنشرت
تقرسيهم من تلك قصبان الحديدية ، وما ترمز إليه من معنى السيطرة والسيادة ،
بل من معنى القيد والبل . ولكنتهم جاوزوا الأسوار ، وإذا وجوه إخوانهم
وجرمهم توحى بنفرة شد وخوف قوى . إنهم لم يوجب بهم أحد ولم يش
مقدمهم إنسان ، وتقدموا للعمل فلم يشجعهم أحد ، بل أحسوا رغبة خفية في
التخلص منهم . ولما عرفوا حقيقة الأمر وجوا حيناً ، وأهفوا من وجوههم
مرفقين : فربق زار معابد الصحراء زيارة عابرة لم تذكر في نفسه نارا بل أخذت
ما شاء له سادته الأولون في معبد الصحراء هذا ، لذلك آثر أن ينحويح من
رآه في المعبد يقوم بالأمر ، وقد سبغ غايه سلوكه هذامسحة فلسفية استمد منها
بعض ما يدان به عن نفسه أمام إخوانه . واستمر يصعد في سلم المدة وهو آمن
مطمئن يفسر انتقاد إخوانه حسداً ، ويرى تائب ضميره رجعية ، وإذا هو
وحش كبتك الوحوش التي سمعت أصواتها ، وارتفع صوته يقوى أصواتها
فازدادت غلظة وسكراً . وأما الفريق الآخر فقد آثر الاتزواء في المعبد
بعيداً يخفت من صلاته ويُداری من تسبيحه وقد انصرف عن كل أمر
في المعبد ، لا يكاد يدري مما يدور فيه شيئاً ، وهو غارق في الدعاء لله أن
تنجلى المحنة وأن تعود للمعبد حياته الأولى . ولما ضلت بهذا الفريق الأعوام

ثبت منه من ثمت ، وتغير منه من تغير ، بل فر منه من المعبد من قو
وهكذا فقد المعبد الروح الذي يحدث عليه ، وصبحت عقول سديته
وقلوبهم حارحة عنه وإن ثلت أحسامهم فيه . ولم ترق العيش معهم ، فخرحت
إلى هذه الصحراء أجوبها من جديد ، وعدت إليه بعد أعوام لما ترامى إلى سمعى
من أن رئيسهم القديم عاد إليه . ولكم تلمت عندما وقع لصرى على المعبد بعد
أن تركته ملوأل هذه الأعوام ! أن القبة الزرقاء أصبحت رمادية مما تراكم عليها
من تراب . إن الحدران اللامعة المساء قد تآكلت ، وتحفرت ، كأنها تحفر فيها
السوس . إن الأرض البيضاء المصمعة قد اسودت من قدام الوافدين الذين هان
عليهم أمر معبد ، هان على سديته من قبل . إن الهواء الطلق الخليل الذى كان
يعمر بالمعبد فى جلال الحرية وشموها أصبح يدخله من خلل قصبة كإنما هى
أنابيب لا تساقه إلا بمقدار . ورحت إلى صديقى أرى ما فعلت به المحبة فإذا هى
قد تركت فيه آثارها . لقد بلافها ما لا يمكن للإنسان أن يبلوه لظفر إيمه كما
هو وإخلاصه كما كان . نعم إن إخلاصه لم يسطأ . إنه ما كاد يفد بقسامه أرض
المعبد ، ويسمع صوات بعض تخلصين من صحبه حتى نسي أو تناسى ما كان
من مر السدنة ملوأل هذه الأعوام . وبدت حرارته تنير المكان ، وبدت السدنة
يلتفتون من حوله ، وبدأ ترتيبهم خافتاً ولكنه كان صامياً ، وإذا الإنجليز
تعود فرادى لتتعلق حول القبة الزرقاء تتلقى الأبناء فتردها خجلة من ترددها
الرفع ، ثم متحمسة شيئاً فشيئاً حتى يفنى صوتها فى عمق أصوات السدنة الخلقين .
ودخلت المعبد من القبة الزرقاء تريد أن تقم فيه من جديد ، ولكن صدها
مارت . إن العناكب متراكمة على جدرانه ، وإن وحوه سديته ساهمة ،
وعيونهم زائفة ، أكثرها عالق بالأرض بحسب ويزن ، ولا يتطلع إلى السماء
ليعلم مطمئناً .

وسار الزمن بالمعبد فى حالته الحديدة خطوات ، تحسبونها شبراً أو سنوات ،
وإذا الرئيس نفسه قد يئس من أمر المعبد . لقد كان السد فى أشمل من أن
يروحى دمل فى إصلاح . إن جهاد الإصلاح عسر من جهاد الإشاء ، ومقاومة
أهل المعبد أنفسهم عسر وأشق من مقاومة السدنة . إن هؤلاء الغرباء الذين
ظلوا فى المعبد وأصبح الأمر لهم إلى حد بعيد كان من الصعب إغفلهم ، ومن
الأصعب التعاون معهم . ولم يكن الرئيس قوى الثقة فأنشأه الشباب ، سد ألم

نظرت إليه ما ملأه في كدره ، وظلمه في ذاته نفسه من ذل المعبد فيهم . ولم تكن هذه ثمة شائعة الصافية من شباب الله بكافية عدداً لتعين على إصلاح حذر كذا في تقبله الحال . وهي قد ألت العلة والحد من المشاركة في أمر ، ولما جاء الرئيس كانت هي أيضاً ضعيفة الأمل في الإصلاح وعودة الحال . وحول الرئيس ما حول ثم من وسوء ، وصت هذه القلة ما كفة على نصب لم يسلم ولم تيسر كل نيس . وانصل نيس منفذين منهم ، فغيب بينهم لحرارهم ولهم الحجل القدر . ولم يعد الرئيس حياة في مثل هذا الحوfter رأيت إلى المدينة ، يشق حبيته فارقاً حراً ، ويرسم لنفسه بيت جديدة ، لست أدري من مرها شيئاً . تنفس ححر الأمر المعبد هي قد قطعت كل ما بينهما من سب

إن عمار الرجال ما عت القصة ، وإن قصرها وحده فليق أن يشع في النص معاني وتقديرات تقلب وجهة النظر إلى الحياة كلها . فإذا ما تقدمت هذه الثمار وحس نصيبها لأول مرة إحساساً قوياً أنها ستنتهي بعد حين ، وإن هذا الحين ليس مؤيلاً كما كانوا يحسونه في الشباب ، أشع هذا الإحساس في نورسهم من الأساس والمشرع ما هو كليل أن يغير مجرى الحياة . ولكن ، لما والرئيس التذير المعبد ويجرد معه الأمل في عودة الحال سيرتها الأولى وهكذا يا نتي ضلت أمور المعبد يسير من فساد إلى فساد ، ومن دس إلى دس ، حتى أصبوا غايهم خيراً شرده حقا وبدم حساً ، وأدبهم فقراً . رحلا لا يدري من أمور الدنيا إلا ما يفيد ويضعه نفعاً مادياً . إنه كبعص حيوان صجراء لم يبق من يومه إلا على حشر بهد حياته ، وإذا هذه الغفلة الطويلة والنوم العميق يستجيان إلى نقطة وذكة لا قبل لهذا الحيوان بهما . فإذا ما زال الظن عاد في يومه ويضعه نفعاً من جديد . ولا تسأل عما فسد في نفوس من المعبد ومورد ، فكما أن الروح السام يرفع من حوله إلى عليين كذلك ينزل لروح شرير من حوله من ضعاف النفوس إلى أسفل سافلين ووصلت الحال أخيراً إلى ما قد سمعت من صوت ، وما رأيت من منظر .

قلت : سيدي ولماذا ولما عليهم شرهم ؟ قلت : إنه أمر السلطان . لقد كان أهل المدينة يرسلون جيوشهم إلى أهل هذا المعبد وهم يرونها قرباً لآلهة وتقرباً إلى الله وسدته ، وكثيراً ما سفوا على أنها ليست أكثر مما يرسلون بالفعل . ولكنهم اليوم ، بعقل سوء الحال عندهم وفي المعبد نفسه ، أصبحوا يحسون أنهم يدفعون

والله ما لا يستحقون وعمون عليهم بما ليس لهم فيه حق . وسدنة المعبد لا يرفعون أصواتهم من هذا شيء . إنهم ساعون دائماً لئلا ينفذوا حتى يغفوا في يومهم ، وتصيح أصواتهم إذا ما فاقوا . وهم يرون في صحاباتها حلالاً ، وفي نكرها شعراً لعظمتهم ، وهذه أصواتهم تعلو من حديد ، إلتفتي إليها .

قلت : سيدي ولكن أليس عندك أنت أمل في عودة الحال ؟ قال : إني لا أعرف إلا ماضياً وحاضراً ، أما المستقبل فلا يكشف لي عنه إلا سدنة المعبد ، وقد مات هؤلاء من ديباي . قلت : ولكن تلك القلة من شبابها ألا تصحو يوماً ؟ قال : من يدرى ! . . نعم من يدرى !

ثم عاد يداعب رماله بعوده من حديد . وخفت أن يصمت فقلت : ولكن ليس هناك ما يمكن أن يعمل ؟ ولكنه لم يجب . ولو قد أجب لضاع صوته في تلك الصيحة المنكرة التي سدت الآفاق من سدنة المعبد ، تثير في النفس خوفاً واشتزازاً بعيدين كل البعد عن الإجلال والإعظام . قالت : سيدي ! ولكن الشيخ ظل كما هو لا يتحرك . وبقية هبت الريح قوية أول الأمر ثم غابت فاسية حتى رفعت كثيراً من رمال الصحراء إلى آفاق السماء ، وفطمت عيني حتى لا تلمع ذرات التراب ، فإذا الخوف يملغ مني مملعاً غثلاً ، فبهذه أصوات منكرة وسط السلام ، وتلك ريح غائبة تسد تقنعتني من الأرض . صحت في حوفي : سيدي أين أنت ، ولكني لم أسمع نفسي صوتاً . وازدادت المصافة قوة ، فإذا بي أندفع إن حيث لا أدري ، أندو كأنت الراح هي التي تحمى

وجاءت وحدث نفسي على أبواب المدينة وقد كاد انهار الطويل أن يتهمى وعدت إلى بيتي متعبة ، ومنظر المعبد وشيخه وحديثهما ، بل الصوت المنكر ، ملء نفسي وحيالي . وما كاد الصباح يلوح ، دنت إليهم ، كأنهم الطيعة تستريح من جهاد عاصفة أمس ، حتى سرعت إلى الصحراء أبحث عن المعبد وشيخه فلم أجدهم ثراً . وكان يحني ويتجوال حتى كنت قدماي ، وعاودت البحث معاه وصباحاً أيماً وأيماً بلغت شهراً وأعوماً حتى بقست من فرها . ترى انتلعتهما عاصفة الصحراء ثم جهنهما إلى صحراء أخرى من صحري الأرض . ولما بلغت حيرتي أشدها شككت في أمر نفسي ، فسألتهما : أرأيتما فعلاً واستمعت إلى الشيخ حقاً ؟ قالت : أما ذلك فليس في أمره شك . قلت : ولكن أين ذهبنا . قالت : أما المعبد فلا يمكن أن يكون قد رفع شيء من الريح . وأما الشيخ فقد

كان أكثر تعلقاً بالأرض ولصوقها من أحجار المعبد على ضجارتها . قلت : إذن
 أين هما ؟ قلت : في الصحراء . قلت : وما لي لا أراها ؟ قالت : إنها صحراء صامتة
 حرساء قاحلة حردة ، ولكن عليها زجر حياة وماؤها أشهى حديث ، ولا
 يحس حياتها ولا يسمع حديثها إلا من أحبها ، ونسي نفسه فيها . قلت : وهل
 أحب الصحراء مثلي أحد ؟ قالت : نسيت العاصفة وما أثارته فيك من خوف
 واضطراب ! مما فررت ؟ وعلام حرصت ؟ أعلى الصحراء ؟ قلت : لقد زالت
 العاصفة . قلت : ولكن آثارها لا تزال . وهل يزول في الوجود شيء .

سهرير القامحاري

تاريخ يعيد نفسه في شرق الأردن

يشفق الجغرافيون والمؤرخون فيما بينهم على كثير من الأشياء ، ولكنهم يختلفون على أمر واحد خطير ، يتصل بتقدير ما بين الإنسان والبيئة من علاقة ، وبتفسير حوادث التاريخ واتجاهاته الأساسية . فهل البيئة الجغرافية بمظاهرها المختلفة هي المسؤولة الأولى عن توجيه نشاط الإنسان ، وتعريف حوادث التاريخ ، وتحديد اتجاهاته ؟ أم إن الإنسان ، فرداً أو جماعة ، هو سيد الطبيعة ، والمسيطر الأول على الحوادث والتاريخ ؟ وأصحاب الجغرافيا مهما اختلفت نزعاتهم ميالون بحكم دراساتهم إلى تغليب أثر البيئة . بل يذهب بعضهم إلى إقرار ما يسمونه « بالتحكم الجغرافي » . فالجاعات البشرية في نظره مسيرة بحكم ما تعيش فيه من ظروف طبيعية ، فالإنسان مهما كدح ومهما اجتهد فإن الطبيعة هي الغالبة . ولئن كان هذا الإنسان قد استطاع أن يحوّر بعض مظاهر الطبيعة بين حين وحين ، فإن ذلك التحوير لم يخرج بها عن قواعدها الثابتة وقوانينها الحاكمة . وغاية ما هنالك أن الإنسان استطاع بذلك أن يستغل موارد الطبيعة الصالحة ، فبدا كأنه المتحكم فيها ، مع أن الأمر قد يكون غير ذلك ، فالطبيعة ذاتها كثيراً ما توحى إلى الإنسان طريق الاستغلال ، فتوجهه من حيث لا يشعر .

وما أصحاب التاريخ فينظر بينهم من يبدأ بالبيئة ، ويسلم لهم بأكثر من تأثير ثانوي . وكثرتهم تفضل ، بحكم الدراسة أيضاً ، أن تبدأ بالإنسان على أنه كائن حر التصرف ، في حدود ما تقضى به القوانين والنظم الوضعية ، أي التي تواسع عليها الناس . بل إن حوادث التاريخ في نظر كثير من هؤلاء المؤرخين إنما ترتبط ارتباطاً مباشراً بأعمال الناس ، التي توجهها في الغالب إرادة نفر قليل ثم قادة المجتمع وكتاب التاريخ .

ولكن الحق أن هذا الاختلاف بين الجغرافيين والمؤرخين لا يشملهم جميعاً ؛ وإنما هنالك فئة من أولئك وهؤلاء ترى في هذا الاختلاف لوناً من ألوان التعصب

التفكرى لأمسوخ له ، ولا نفع فيه ، بل هو يناقض ما تقضى به روح العلم الصحيح من اتساع الأفق ورحابة الفكر ، ومن الاستعداد دو ما للأخذ والعطاء وتسيب الفكر بين الإقنع والافتناع . وليس أضر على العلم والمتعلمين ، ولا شر على البحث والباحثين ، من صيق الفكر والتعصب لرأى معين أو مجموعته معينة من الآراء . ومن يدرنا ! فقد تكون الفارقة بين الإنسان والبيئة في حد ذاتها ، أم لا ؟ أمسوخ له ، بل قد يكون الفصل بينهما وهم لا وجود له في الواقع . فالإنسان عنصر ساسي من عناصر البيئة معده الأثمن ، وبدونه لا تكتمل صورتها العامة ، ولا يكون للحياة على سطح الأرض طابعها المميز من وجهة نظر الجغرافى والمؤرخ على السواء . وليس من الممكن عقلا أن نقصور تاريخاً يجرى في الطبيعة نواحيها عقلت من الإنسان ، ولا أن نتخيل أن الإنسان يستطيع أن يخلق تاريخاً أو أنه طاش في الفضاء . وإن قد يكون شيئاً أن تفصل بين الاثنين ، أو حتى أن نحول المتعاضدة بينهما ؛ فقد تكون الطبيعة هي العنصر العال في مكان ما ، وفي زمان معين ، فيجرى نشاط بشري في حدود معينة مرسومة ؛ أو قد يكون الإنسان هو العامل الأول يستغل الطبيعة حياً ، ويستجيب لها بمحض إرادته حياً آخر . ولكن الشئ المهم أن نشاط بشري . جماته إنما هو نتيجة لما يتم بين البيئة والإنسان من تفاعل ، لا يهم فيه كثيراً أن تكون الطبيعة موجبة والإنسان سالباً ، أو أن يكون الأمر عكس ذلك .

وإذا نحن نظرنا إلى تاريخ البشر هذه الفترة ، فقد يعيننا ذلك على فهم ما قد يكون هناك من حقيقة في الحجة القائلة بأن التاريخ يعيد نفسه . ذلك أن التفاعل بين البيئة والإنسان من دوماً خلت ظروفه التفصيلية فهو لا يتخلو من بعض العناصر الأساسية الدائمة . فوضعية البيئة الجغرافية من جهة ، وطبيعة النفس البشرية من جهة أخرى ، لا تتطور إلا في ببطء شديد ، ولا تتحور إلا بقدر معيّن ؛ وإن فلا بد من أن تتشابه نتائج التفاعلات بينهما من عصر إلى آخر ، في المكان الواحد والمجتمع الواحد على الأقل .

وقد ما يتناول التاريخ البشري في إقليم ما ، تتعدد الأدلة والشواهد فيه على تشابه الحوادث وتكرارها على مر العصور . وتظهر أن الشرق الأدنى أحد تلك الأقاليم التي يشول فيها التاريخ . وقد يكفي أن نبحث منه منطقة واحدة صغيرة لتبين تشابه بعض أوجه التاريخ ومورده من عصر إلى عصر . وسنختار إحدى

منافقه الداخلية ، والتي كانت بمثابة حلقة اتصال بين طرافه في الشرق والغرب وفي الشمال والجنوب ... تلك هي منطقة شرق الأردن ، التي كان تاريخها إلى حد بعيد صورة وضحة من تاريخ الاتصال بين مختلف أحرار ذلك الشرق ، وارتباطها ببعضها البعض ارتبطاً شمل نواحي الحياة التجارية والثقافية والسياسية جميعاً .

ويقع شرق الأردن في قلب القسم الشمالي من الشرق الأدنى ؛ ويحتل الحافة الشرقية لمنخفض البحر الميت ، وهي مرتفعات مؤاب الوسطى ، وما يليها جنوباً في بلاد إدوم القديمة ووادي العرابة ، وشمالاً في شعاب اليرموك وروافده التي تنتهي إلى سهل الأردن . ويبلغ بعض مرتفعات مؤاب أكثر من ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر ؛ وهي تتلقى الرياح الغربية الممطرة في الشتاء ، فتصرف مياهها في أودية عميقة شديدة الانحدار نحو البحر الميت من جهة ، وفي أودية أخرى قليلة الانحدار ، تتجه نحو بادية الشام وأطراف صحراء النفود من جهة أخرى .

وهذه المرتفعات تكسو جوانبها الخصرة والأعشاب في أشهر الشتاء والربيع ؛ وتجد في أوديتها وأحواضها التربة ، ويطيب الفرس والزرع ولو في بقاع محدودة بالنسبة لمساحة الكلية . ولذلك كانت هذه المرتفعات قاعدة حياة تمثل فيها حالت البداوة والتنقل ، وجانب التحضر والاستقرار . وقد حماها البحر الميت ومحضه ؛ فمنع عنها ما وقعت فيه أرض فلسطين من اضطرابات شغلت التاريخ لاحقاً . كما حماها البادية والفيافي من الشرق ، فتمت لها بذلك الوقاية ، وضمن لها هدوء النسبي من الغرب والشرق . ومع ذلك فقد اتصلت هذه المرتفعات ببقية الشرق الأدنى اتصالاً منتظماً عن طريق الجنوب والشمال ؛ وأصابها من ذلك الاتصال حير كثير وشر غير قليل . بل إن موقعها الجغرافي جعل منها عقدة انضمت عندها روابط الشرق ، وتعاقدت وأصره ؛ واحتكت فيها البادية بالحضر احتكاكاً لم يخل من عنف في بعض الأحيان ، ولكنه مع ذلك أنتج أطيب الثمرات .

وإلى الجنوب من مرتفعات شرق الأردن ووهاده تأتي الطرق من نواح متفرقة ؛ فيأتي طريق من الخليج الفارسي وشمال نجد وتيماء والجوف ودومة الخند ؛ ويأتي طريق آخر من اليمن والحجاز وعين صناع وجبال مدين في شمال الحجاز (وهو طريق رحلة الشتاء والصيف في الجاهلية وطريق الحج بعد ذلك) ؛ ويأتي ثالث من البحر الأحمر ورأس خليج العقبة حيث قام ميناء أيلة القديم حيث تقوم العقبة الآن ؛ ويأتي طريق رابع من مصر وشبه جزيرة سيناء أو من

ميناء غزة إلى أطراف فلسطين الجنوبية ثم وادي عربة وأرض بطرا والنبط
القدماء . أما من شمال مرتفعات شرق الأردن فينتهي طريق من العراق الأوسط
وبادية الشام إلى أيرموك وشبل مؤاب ؛ وطريق آخر من العراق الأعلى وتدمر إلى
دمشق وحمص ؛ وطريق ثالث من سوريا الشمالية وحلب وحمص إلى دمشق
وأرض حوران ثم الجنوب ؛ وطريق رابع من شمال فلسطين طار الأردن حتى
يلتقي بطريق الشام ويمتد إما جنوباً وإما شرقاً وإما صوب الشمال . وهذه الطرق
التي أسلفنا جميعاً يلاقى بعضها بعضاً ، أو تتقاطع على الأقل ، في أراضي شرق
الأردن . وقد سلكهم التجار وحداة الإبل منذ أقدم العصور ؛ وجاء هؤلاء
التجار من جميع أطراف الشرق الأدنى يحملون السلع ويجمعون في الأسواق ،
فيقبدون الفكر وأنوار الثقافة ، وبذلك تعارف الشرق وتآلف في كثير
من الأحيان . كذلك سلكت الغزوات وإسحالات نفس هذه الطرق ، التي قامت
عليها الحاميات ، وأقيمت فوق روايتها القلاع ، تشرف على الطرق وتحمي المسافرين
وتنظم اتصال البادية بالحضر ، واحتكك الرعاة والبدو بوسطاء التجارة والتجار
على نقط التبادل والأسواق .

وهكذا كان شرق الأردن موقع اتصال واحتكاك منذ القدم ، واستمر
كذلك على مر العصور . فقدت إليه السلطة المصرية من وقت إلى آخر ؛ وامتد
إليه النفوذ العراقي في كثير من الأحيان ؛ وحاول أهل الشام وأهل فلسطين
الشمالية وما وراءها أن يفرضوا سلطانهم عليه بين حين وحين ؛ بل إن أهل
جنوب بلاد العرب والحجاز توسعوا في أطرافه الجنوبية واستقر بهم المقام في
أكثر من مكان هناك . ولم يكن الأمر مقصوراً على هذه العناصر جميعاً ؛
وبما امتدت الأيدي إلى شرق الأردن من أقاصي الأرض ؛ لأنه كان عقدة الشرق
الأدنى ورباطه من الناحية العسكرية ؛ فنفذت إليه جيوش الرومان وقامت
حامياتها وعبّدت طرقها في ربوعه ؛ ثم اهتمت له بيزنطة فتدخلت في شؤون
العسكرية والسياسية إلى أبعد الحدود . ثم جاء عهد صارت فيه شؤون هذا
الأقاليم إلى أهله وسادته من أمويين وغيرهم . حتى إذا جاء العهد الصليبي فقد
الصليبيون من جديد إلى بعض قلاعهم فقاموا بها ، وكانت حامياتهم هناك شوكة
في جنب العرب والمسلمين . هذا ما جاء الاتراك العثمانيون اهتموا بأمره كطريق
للحج ومنفذ إلى الأراضي المقدسة . وأخيراً جاءت الإمبراطورية البريطانية ،

فأخذ رسلها ومبعوثوها إبان الحرب الماضية قيادتهم في فياق هذا الإقليم
الداخل . وانهى الأمر في أعقاب تلك الحرب بأن حصلت بريطانيا على حق
الانتداب على هذه المنطقة العسكرية الهامة ، التي غدت قاعدة حربية من الدرجة
الأولى ؛ وقد برزت أهميتها بل تصاعفت إبان هذه الحرب الممتدة . وأغلب الظن
أن بريطانيا ستستمسك ببعض الإشراف العسكري على أراضي هذا القطر الشقيق
حتى بعد أن يحصل على استقلاله المرتقب ؛ فيقوم احتفاظها بقواعدها البرية
والجوية هناك وإشرافها على ميناء العقبة على أساس الائتلاف والمعاهدة بينها
وبين شرق الأردن ، بدلا من أن يستند إلى نظام الانتداب أو الوصاية أو غيرها
من مظاهر الارتباط والتفويض الدول .

ولن نستطيع هنا أن نسوق أكثر من أمثلة محدودة تبرز له قيمة هذا القطر
من أقطار الشرق العربي ، وتبين لما كيف أن التاريخ قد استعاد في عهده الحديث
بعض صورته وأهميته الأساسية في بعض أعضائه القديمة . ولم يكن ذلك إلا
لأن قيمة هذا القطر كواسطة اتصال وثيقة وسيطرة على طرق الشرق الأدنى
وعلى منافذ أقطاره المحيطة كانت قيمة دائمة لا تارته ، وكانت عاملا أساسيا
لقيامه ، فأد منه واستجاب له سكان المنطقة نفسها ، كما أد منه واستغله كثير من
الطامعين في السيطرة العالمية ، ومن امتدت أيديهم إلى الشرق الأدنى في تاريخه
القديم وتاريخه الحديث على حد سواء .

وقد يكفينا في هذا الصدد أن نلحظ عناية خاصة بالموازنة بين عهد
الإمبراطورية الرومانية وعهد الإمبراطورية لبريطانية . فكما أن إمبراطوريتين
كانت لها يد أي يد في تصريف شؤون الشرق الأدنى وتوجيه تاريخه . وكما
أن إمبراطوريتين كانت لهما مصالح مادية فيما وراء ذلك لإقليم ذات المين وذات
التمالك . وكما أنهما لم تقنع أن تسكن أمر الوساطة التجارية بين الشرق والغرب إلى
الغرب وغيرهم من سكان هذا الشرق ، وإنما فرضت نفسها وسلطانها عليهم
كقوة ، وتدخلت في شؤونهم بما يضمن لتجارها الشرقية مع الهند وغيرها
سكورا آمنا ورواجا مضمونا . وإذا كان التاريخ قد استعاد بعض فصوله في
هذا الإقليم بين هذين العهدين المتباعدين من ذلك لم يكن لجرد المصادفة أو
محض الاتفاق ، وإنما هو قد ترتب على اجتماع عدد من الظروف والعوامل
الطبيعية والبشرية الواحدة أو المندمجة في الحالتين .

ولا كمن قبل أن نصل إلى الإمبراطورية الرومانية يسقى ن ن تشير إلى من سبق الرومان في شرق الأردن ، وفي جانب كبير منه عى الأقل . وللك الأباط و النبط الذين ازدهرت حضارتهم خلال ستة قرون ، كان عظمتها ازدهارا ذك القرن الذى يتوسطه مولد المسيح عليه السلام . وكانت قاعدة ملكهم فى سلاص و بطرا التى تقع على الحافة الشرقية لوادى العرباة ، واتى لا تزال نرها بقية منحوتة فى الصخور الرملية ، نوردية لون ، وهى التى نزلت فى أصحابها الآية الكريمة «وَتَنْصِبُونَ مِنْ الْجِدْلِ يُونُثًا فَارِهِينَ» وكانت بطرا هذه عند ملتقى عدد من طرق التجارة التى أشرنا إليها من قبل ؛ فسكنت سوقاً همة فاد أصحابها من لتجارة والوساطة التجارية فى الشرق ، وأصلهم من اتصالهم بالعلماء نخرجى خير كثير ، تمثل فى تلك الحياة الثقافية والفنية الراقية التى متارت بها مدينتهم العتيقة ، حيث انعكست فى معابدها وهياكلها لمنحوتة والمشيقة . وثرات الفن لآشورى وفن المصرى البطلمى ، والنن الإغريق ، بل حيث تأثرت الحياة لعامة بضروب مختلفة من المدنية المدنية والنظام الاجتماعى ، وبألوان متباينة من الثقافة العقابية ولعكر الدينى ، بعضها سائى خالص توارثه السط عن أسلافهم من الساميين القدماء فى بادية بلاد العرب تقع بها ، وبعضها سامى غير خالص أخذوه عن الآشوريين فى الشمال وعن السثيين والحيثيين فى أقصى الجنوب وفى مستعمرة عين صالح فى شمال الحجار ، ثم بعضها مصرى قديم أو بطلمسى مختلط ، وأخيراً بعضهم إغريقى أو إغريقى رومانى اتى عن طريق شرق البحر الأبيض المتوسط . ومع ذلك كله فإن اختلاط المدنية والعكر والثقافة لا يحور أن ينتقص شيئاً من قيمة حضارة النبط ؛ لأن الواقع أن شرق الأردن كان بحكم موقعه البقطة الوحيدة التى يمكن أن تلتقى فيها تيارات الثقافة المختلفة . وقد أثمر هذا الاختلاط ثمراته الطيبة ؛ وكانت ثقافة السط وكتبتهم على وجه الخصوص أساساً من أسس الثقافة العربية والكتابة العربية التى ظهرت فيما بعد . والثابت الآن أن الخط العربى المعروف قد تطور عن الخط النبطى القديم .

وعند ما ظهرت أسمع للإمبراطورية الرومانية فى الشرق القريب ، واقترت تلك الأطلاع بمصالحها التجارية فى الهند ، ومصالحها الأخرى فى بلاد الشرق الوسيط ، لم يقتنع أباطرة روما بأن تكون لهم قدم راسحة فى مصر وشمال البحر

تاريخ يهودية في شرق الأردن

الأردن، وإنما أدركوا أن حروبهم لمصلحة حبة كاملة تقتضي أن تمتد يدهم إلى شرق
البحر المتوسط وشمال بلاد العرب، لئلا يفسدوا على طرق القوافل ويؤمنوها
أعدائهم من حبة، وبعد أن استلبوا من هذه الحروب من الخراج الفرسى ويشرفوا
على بعض مواهبه من حبة أخرى - وخبج يدرسي كان يدرك، كما هو اليوم،
حد شرق المؤدية إلى هضبة، بلاد تروود وغنى، ومورد كثير من المعائن
وسببت - وهكذا استقر رأي تراجان بمرور روماني أن يضع يده على
منسكة لسطيف، فغزى بلادهم في عام ١٠٦ الميلادي، واستولى على عاصمتهم، ثم
تقدم إلى أمة، ووجد يده آخر الأمر إلى طرف الخليج الفارسي.

وبحلول شرق الأردن إلى ولاية رومانية، وفي كدك، وفيما يشبه ذلك،
سبعة قرون، وأبى الرومان شأنه عدية خاصة، لأنهم أدركوا قيمته عسكرياً
وسجارية، إذ كان كاملاً صيحاً. وقد وفدوا فنودته فيه وحاولوا على سيطرتهم
عنه عدة وسائل. منها أنهم أقاموا الحامية القوية في عدد من موقعه الهامة،
حيث تموا قلاع وشككت، وشيدوا الهياكل والملاعب وغيرها من الأبنية
في حراش شمال عمان، وفي فيلادلفيا، وهي تعتمد نفسها، ثم في بلاد سلاط
ونظر التي تعرف الآن بوادي موسى. ومن وسائل الرومان أيضاً أنهم مددوا
شرق الرومانية المعدة والمرصوفة رصفاً جيداً يسمح بمرور العربات الخفيفة
والثقل الجند ونقل العتاد وغير ذلك، ولا تزال بقايا تلك الطرق قائمة حتى
اليوم. ومنها أنهم جندوا الأعراب والمدو، ومجدوا منهم جيوداً مرتزة، ثم
فرضوا العمل، وأقوى في الحرب وشمال الحراسة وحملات التأييد في المدينة
من حدود الإمبراطورية غير الأعراب. ومنها أنهم شجعوا حياة الحضر المستقرة
بحسب حساب الحياة البدائية المتفلة، فحفروا الآبار وبموا الصهاريج، وشجعوا
ملكية الصغرى، فاستوطن المدو، وبموا سموت الحجر الثابتة بدلاً من بيوت
شعر متقولة، فحصل بذلك حكمهم، وساس قيادتهم. ثم منهم كدك، وقيل
ذلك، تشجيع الرومان لعناصر المدن، وألوان الثقافة البدية في أن تنوغل
في حدة الأعراب، لا سيما بعد أن اعتبرت الإمبراطورية المسلحة في القرن
الربيع، فانتشرت ديانة المسيح بين أعراب البلاد تدريجاً، وبعد ذلك بقرن،
وانتشر معها شيء من روح المسيحية بين أعراب من فلبس منكرات،
وكان راعيهم شديد كماله، ووجدوا في بلادهم رومان الفريون

وليزنطيون نشريون من بعدهم لضمان سيطرتهم على هذا القسم من بلاد العرب. ولكن الشيء الغريب — أو لعله ليس غريباً — أنها كلها قريبة جداً مما تبعته الإمبراطورية لبريطانية في الإقليم نفسه من وسائل كان القصد منها أن تؤدي إلى غاية رعى إلى مثلها الرومان منذ قرون وقرون.

ولكن الرومان لم يلبثوا أن أدركوا أنهم لن يستطيعوا أن يشاربوا على حكم البلاد كولاية رومانية، وأنه خير لهم وثقى أن يستعينوا بالبدو أنفسهم ولسانهم في حكم البلاد. وهكذا صالح الروم القبائل ورجعوا بتبوء من قصعة، عند ما جاءوا من جنوب بلاد العرب إلى خليج فارس ثم حدود لفرس حدود الروم حيث تزوا في واسط القرن الثالث الميلادي؛ كما رجب الروم بعد ذلك لظهور الفساسنة، وتأسيس ملكهم على حدود الإمبراطورية، وفي ظل حكم يزنطة الاسمي. وقد وجد الروم في إمارة الفساسنة ومملكته بعد ذلك دابة طيبة تحمي حدودهم من ناحية البادية، وناحية الفرس وعملاء الفرس في أرض الحيرة المقاتلة على الجانب الآخر من بادية الشام. وبلغ من تشجيع يزنطة لفسان أن توجت المنذر بن غسان ملكاً على العرب حول عام ٥٨٠ الميلادي... ولكن لهم أن نهضة غسان لم تكن كلها راجعة إلى الروم وتشجيعهم، وإنما هي كانت راجعة أيضاً إلى العرب أنفسهم إذ ذاك. فقد عرفوا كيف يستفيدون مما حولهم من ظروف، وتحكموا في تجارة الروم وإمبراطوريتهم الشرقية، وأفادوا من موقعهم الجغرافي إلى حد بعيد، وقاموا بمجدهم على أساس من النهوض بالحياة في مظاهرها المختلفة، لاسيما ناحية الفكر والثقافة. فكان بلاط غسان مركزاً لظهور فيه الأدب والفكر العربي قبل الإسلام؛ وكان صنوه في ذلك بلاط ملوك الحيرة اللخمينيين على حدود إمبراطورية الفرس في العراق.

فإذا ما نحن تركنا هذا العهد، وانتقلنا إلى عهدنا المعاصر، وظهور عهد الإمبراطورية البريطانية في هذا القسم من الجزيرة العربية، وجدنا صورة من التاريخ لما تم فصولها، ولما يتكامل مظهرها لنهائي، ولكنها قريبة الشبه مما حدث في عهد الرومان الغربيين والروم الشرقيين. وقد بدأ البريطانيون ينتفون إلى الشرق القريب في عقاب حملة نابليون وحاولوا أن يمدوا يدهم إليه، ولكنها كانت محاولات متردة فأتوا إلى مصر مرة ومرتين في مطلع القرن التاسع عشر، ولكنهم رذوا عنها أو ارتدوا عنها؛ لأنهم لم يكونوا فما

يظهر جادين في أمرها ، كما كان الرومان تماماً أيام وفد يوليوس قيصر إلى مصر ثم رجع عنها . ثم جاء البريطانيون إلى مصر مرة أخرى في أيام الثورة العربية ؛ ولكنهم كانوا قد استيقنوا من أمرهم وأمرها ، وآمنوا وصدقوا بقيمتها ، ففقدوا النية على أن تكون لهم هذه المرة ! وكذلك تماماً فعل الرومان أيام واقعه اكتيوم ! وفوق ذلك فقد قنع الانجليز بمصر وبقناة السويس وطريق البحر الأحمر ؛ وبقوا كذلك ثلث قرن كامل قبل أن يفكروا بطريقة جديدة في أمر طريق الهند الآخر عبر بلاد العرب الشمالية إلى رأس الخليج الفارسي . ومثل هذا حدث أيام الرومان وإن كانت الفترة بين فتح مصر وفتح بطر وتوصل إلى خليج فارس طالت إذ ذاك إلى قرن وثلاث قرن .

وحانت الفرصة مواتية لبريطانيا بأن الحرب العالمية الأولى . ولعل هذه الحرب ، وما طمعت فيه ألمانيا من الوصول إلى الهند عن طريق أملاك الإمبراطورية التركية والعراق نوع خاص ، هي التي استعجلت اهتمام بريطانيا شمال الجزيرة العربية ، وجعلت البريطانيين يسبقون الرومان في ذلك بقرن كامل ؛ مع أن الرومان ، والحق يقال ، لم يكونوا أقل من غيرهم حذقاً لشؤون السيطرة وفنونها . وقد بدأت بريطانيا سبيلها إلى التدخل العسكري في شؤون لعالم العربي بأن استعانت بالعرب أنفسهم ، واستنجدهم ضد الأتراك ، بعد أن بذلت لهم من الوعود ، وأخذت على نفسها من اليهود ما هو معروف . وقد رسلت بريطانيا عملاءها ومبعوثيها ، وبينهم لورنس الشهير ، فجدوا البدو وسلحوا الأعراب في قلب البادية ، وهاجوا مؤخرة الجيوش التركية في جنوب شرق الأردن ووسطه ؛ وكانهم بذلك قد دللوا على حصافة هيئة قياداتهم . وحسن استقرارها للظروف الجغرافية العسكرية ، عندما وضعت أصابعها على مفتاح الموقف في الشرق العربي الشمالي . ومهما قيل عن القيمة النهائية لمناوشات لورنس وأصحابه في قلب البادية ، فليس من شك في أن أقل ما فعلته أنها نقضت في عراب المدينة ، وذهبت فيهم روح الثورة والكفاح ، مما انتهى آخر الأمر إلى إذكاء ثورة العرب ، وزعزعة حكم الأتراك من الأساس

وعندما استقر الأمر لبريطانيا بالانتداب على شرق الأردن عمدت إلى تمكين سلطتها وسلطانها بوسائل كثيرة . منها أقامت الحاميات والمسكرات وتوقعت الحوية في كثير من مواقعه ، لا سيما عمتان نفسها ، التي لم تنبث أن

ترت قوتهم من حديد عند ما جعل منهم سمو الأمير عبد الله دعة الإمارة
ولا يملك من زور عمان، خليفة فيلادلفيا وورثه موقعها، إلا أن يحفظ على
جدي رنوات المدينة موقه الحصن والحامية رومانية قديمة، وأمام آثاره
”سيفل“ وادي مدرج المنعبر لرومان قديم، وكثير من الحند في يظهر
يؤدون فيه بعض ما عليهم من عبادة. فإذا انتقل الزائر إلى ربوة أخرى من
ربوت المدينة وصعد إلى سطحها لمستوى وحدانية قوة لغيران لبريطانية،
ووجد في ذلك معسكر الجيش العربي، وفي أسفله مسجد هذا الجيش هذا
دعى الزائر استطلع أن يتعرف على آثار لطريق قديمة ومعالم غامضة الأساسية،
وهي الطرق التي حددت موقع المدينة منسد بشمها لأولى؛ ولا زال الطرق
خاتمة تتبع على الانحافات، فتشخص إلى بغداد ولشده. وتأتي من فلسطين،
وتسجد نحو الجنوب إلى رأس حبيش العقبة. وقد مد برطانيون من الطرق
العسكرية مثل ما مد لرومان من قبلهم. وكثيراً ما يحفظ المسافر على شرق
الحديث آثار الطريق الروماني لمرصوف تجري في محذاته. ولم يكن الرومان في
إدراكهم قيمة شق الطرق وتعميدها إذ قد لم يفتح والواصل من حلقاتهم
بريطانيين؛ بل إنهم ربما كانوا حذق منهم إذ راعى الزمان الذي عاشوا فيه؛
وعنده بعض طرقهم لا تزال قائمة بعد أن مضى عليها ما يكاد يقارب ألف عام.
كذلك لم يصف برطانيون عند شرق الأردن؛ وإنما مدوا نفوذهم في
حدود فارس كما فعلوا إلى خليج العقبة نفسه، حيث مكنوا لإمارة شرق
الأردن من أن تحتفظ بعياء العقبة؛ لأنه مهم من وجهه نظر الأسطول
برطاني، وكذلك لأنه قاعدة الهرب للأسلحة بالمجر إلى البدو في الصحراء.
وربما كان هذا هو ”سرق“ أن برطانيا وقتت إلى جانب شرق الأردن عند ما
سبب المملكة العربية السعودية ذلك المروءة التي أنه يأم لساحل الحجاز
ومملكته السابقة.

ثم إن ريشية قد ستمت بالبدو في حراسه الطرق وتأمينها، وفي تمكين
لأمن والشرد، كما فعل رومان قديم. وهذا ما دلت على تأليف الجيش العربي
والإسكندرية على تسليحه من خربة برطانية. وتقول إن هذا الحش يسبق لأن
هـ، ثلاثة عشر ألف؛ لا يقال إنه قد بلغ ثمانية عشر ألف رجلاً، وإنه مرود
حدث للأسلحة؛ وموقعه ذلك من أسلحة برطانية من قبله.

تاريخ بحد نفسه في شرق الأردن

ريضا، مستخدمة وأدت ماضي - دلتورة مرق في شرق - وفي احتلال
سوريا و شام في شرق - وفي حراسه حدود فلسطين ضد العرب - وود من
شمال غرب - كما أنحدت - و بعضه - حشبه - ضمن في مؤتمر يوم عرج
لأوروبا - ونحن هه في حدوده كشف لنا عن ويمة موقع شرق الأردن -
لنقعد عسكريه يمكن أن نبحث مهب الحيموس ونفوت إلى مختلف زوايا
الشرق العربي الشمال في كل اتجاه .

كنا نتكلم في الأمر بريف - و لعله بدأ معي ، لأن المرغبيين كانوا
جاء من رومان من هذه ناحية - أن أدركت أن من غير الممكن ولا ايسر
أن نحكم الأمر بضرورة شرق الأردن كما نحكم الولايات و المستعمرات ؛ فالعرب ،
و من الناحية مهب انصفة حاصه ، لم يحكموا المش دلت ؛ و انهم أن تسم بحاصه
أن ما حصل عنه غير من أهل المدييه و الحده المدهم ؛ و هم لا يقبلون لضم
ولا يرضون بالحكم الخارجي المباشر - و له محمد ريشا - منذ النده في
دمع اعمده - لرومان لا لمدح و مددروس - فترك ريشا حكم البلاد
لأهل لأمير شرق الأردن و سيده الحديده ؛ و مدت إليه يد المعونه في أن
وحد لأعقاب و يجمع كلهم في هذا الوطن ماشي - الصغير ، الذي لا يرد سكا
تأملت مليون . و فوق ذلك فإن العرب من جانبهم لم يدعوا كل أمور
بريطانييه ؛ و إنما أخذوا كثيرا من أسباب نهضتهم ؛ و استطاع أمير
أن يشيع في بلاده و شعبه نهضة مادية و ذبیه و قومية عامة ؛ سبب من يزور هذه
غطر العربی . و الطريف أن هذه النهضة الحديثة تشه من وجود كثيرة ماسقة
من نهضت في عصور التاريخ الغابرة ، و أنها استعید نهضة إلى سنه بنوع خاص .
الاراضي الزراعية بدأت تتسع على حساب الغياق و القفار ، لا سيما في وادي
الأردن نفسه ، و في بعض الأودية و لبقاع المرتفعة حيث يزد المطر زيادة نسبية .
و حيث تجود لثمة في كثير من الجهات . و حية الزراعة و الاستقرار بدأت تـ
على حساب حياة البدايه و التقل و راء السكلا و المرعى ؛ و بيوت الحجر أخذت
تظهر وسط بيوت الشعر و حياء الور . و طرق التجارة بدأت تفتح و سوقه
تزوج و تعمّر و ثروة البلاد المعدنية بدأ لبحث عنها و استغلالها . و موقع ملاذ
الحفر في كقاعدة للتبادل و التجارة مع داخلية بلاد العرب أخذ يبرز من جديد ،
و يفيد من انحدت البلاد و سكانها - و النهضة الاقتصادية صفة عامة سهر آثارها

ودلائها لكل رائد، حتى لو كان سائدا لا يمي غير المنهزم. ويكفي أن نذكر
المرء في شوارع عمان أو غيرها من مدن شرق الأردن، أو حتى أن يزور
بعض نحو الأعراب ليرى بنفسه كيف أن مستوى "كسب والمعيشة في هذا
القطر الداخلي من العالم العربي لا يقل عنه في غيره من قطار بلاد العرب
في ذلك مصر (١). كذلك نهضة بلاد التعليم وشفوية تسير على منهج ينشر
تجرب كثير. وقد يكون من الحريف - والمفيد أيضاً من وجهة النظر المصرية
وعربية عامة - أن نلاحظ أن مصرية وزارة المعارف في شرق الأردن
لا تريد كثير من حملة ورعين أنفاً من الجبهات. ولكن تلك وزارة مع
بذلك المبلغ، وتشرف على تعليم، اثنين وعشرين ألفاً من التلاميذ؛ لا يمكن
أن يقال إن تعليمهم ينقص في كونه وقيمتهم عما تقدمه وزارة المعارف في مصر
والعراق مثلاً لتلاميذها. وأية ذلك، أو إحدى آياته، أن شباب شرق
الأردن، ممن لا يكلف لدولة تعليمهم أكثر مما يعادل جيوش مصريين اثنين
للتعليم في السنة، يتمون تعليمهم الثانوي في بلادهم ثم يحضرون إلى مصر
فيتبعون دراستهم في إحدى جامعاتها على خير ما يتابعه الطلاب الجامعيون
من بناء مصر. وفي ذلك مثال طيب يحسن أن تدرسه وزارة المعارف في مصر
إن كانت تريد أن تحتفظ بمكانتها من زيادة النهضة التعليمية في الشرق
العربي (٢).

(١) أمضى كاتب المقال أياماً متفلاً في شرق الأردن مدة ثلاثة شهور؛ ولمس فيها استطاع أن
يلمس هذه السجية. ولدت. ويكفي أن يذكر أن متوسط أجر عامل العادي في عمان لا يقل الآن
عما يعادل ربعين فرس في اليوم، وكان قبل الحرب عشرة قروش. وقد ساعدت الحرب على
رفع الأجر، ولكنهم نكس العامل الوحيد في ذلك؛ فارتفع الأجر في شرق الأردن بمثل
رصيداً حقيقياً في مستوى لكسب والمعيشة عامة؛ أو على الأقل هو أدنى إلى أن يمثل ذلك من
الحياة في بلد كص. وفي شوارع عمان لا يرى الرائد أكثر من ١٥ ٪ من الحفاة بالنسبة
للمجموع السكان؛ ولا يكاد يرى غير قليل من آثار سوء التغذية والفاقة بين طعام أهل المدينة.
وكذلك الحال إلى حد ما في بادية.

(٢) يبقى الحد الأكبر من مصرية تعليم في شرق الأردن على المدين أنفسهم. فلا يقل
رأب المعلم عن ستة جنيهات في الشهر بحال، ولو كان في أصغر مدرسة؛ ولا يريد كدك على
أربعة وعشرين. وفي ذلك من إصاف هذه الصائفة وتحقيق العدالة الاجتماعية شيء كثير. بل إن
ذلك ربما كان أحد أسرار نجاح تعليم في تلك البلاد رغم مواردها الحكومية المحدودة.

أردت معي يا صاحبي القاري كيف أن التاريخ يعيد نفسه في شرق الأردن؟ وكيف أن الحاضر، وما يلاسه من ماض قريب ومن مستقبل قريب أيضاً، يمكن أن يعتبر مرآة لبعض ما كان في الماضي البعيد من صور ومن فصول؟ ثم ريت معي أيضاً أن تجدد التاريخ واستعدته نفسه مرطبيعي في كل هذا شرق القريب ذي الخصارة العريقة والتاريخ الطويل؟ إن كان ذلك فعلى توافقني على أن من المفيد حيناً أن ندرس بعض تاريخنا، وأن نراجع صفحاته؛ فقد يكون في ذلك ما ينير لسبيل أمامنا في استشفاف بعض ما ينتظر أن يكون عليه المستقبل؛ وما شدد حاجتنا في هذه الأيام، وفي هذا لشرق العربي كله، إلى أن نستبين معالم هذا المستقبل، ولو من بعيد!

سليمان مديني

رحلة في برقة (١)

نسخة تاريخية

تاريخ برقة من الموصوفين في كتب "المغرب" و"الأندلس" بين جهور الأندلس،
 تاريخ من أن المصادر التاريخية شيرودوح إلى ما كان هذا الأقليم من محمد بن
 ممدية سرته في حضور "الغرة" ورجع قدم عهدا لظهور برقة في مسرح
 خوذت في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى مرور ساحل من الميلاد، حيثما
 ول جمعه من الإغريق من سكان حرره ثير من بحر إيجة في سواحل برقة،
 واستوطنوا بها، وأسسوا في سنة ٦٤٠ ق. م. مدينة فوري (شحات)، وهي
 أول المدن الخمس التي اشتهرت فيما بعد باسم "مطيليس" ذلك تدخل برقة
 ضمن نطاق نفوذ الإغريق لشرق القسطنطينية في الوقت الذي يلاحظ فيه ل
 سرائس تذهب إلى القسطنطينية المقيمين عرباً من قرطاجنة وأعدائهم تنوال
 الأحداث والغزوات التي تعمر هذا الإقليم لشرق في برقة منذ بداية تاريخها
 معروفة قبيل لمصر سنة ٥٢٥ ق. م. يتوهم حضور برقة السطانية، وما حدث في
 عهد قبيل ينكر بشكل أقوى وأوضح عند ورود الإسكندر المقدوني لمصر

(١) أرى من واجبي وأن في مسدد لكتابة لأول مرة عن هذه الرحلة أن أبدأ بتسمية
 شكرى وتقديرى لجميع من فضلوا بمساعدتي خلال مسدة إقامتي في برقة، سواء في ذلك رجال
 الحرب الذين يدرون ده الحكم هناك في وقت الحاضر، وأجوداً العرب الذين يمشون اليوم
 في من وضائيه. وأرى من الحسن يذكرني هذا عدم وائي برقة لبريغادير د. س. كيمج
 Brigadier D. C. Cumming الذي لم يأل جهداً في تسهيل مهمتي بكل الوسائل، كما أنه
 وضع تحت تصرفي حرية خاصة أتوجه بها حيثما شئت، وأرى من مرشداً من رحلته، بلان لاس
 يرفون برقة وآثارها حتى العرقة، كما أنه أرى من صف مكرم في يدي مسأله وفي دور الحكومه
 لأقام حيثما حللت. وفي لولا هذه العديده من هذا ما استطعت أن أقوم في تسعين فقط ما كان
 يصدر عن لاديم به في شهور لو أنني اعتمدت على وسائل نقل ابتدائية في بلاد وسعة الأرجاء
 الاكسها طرق الخديوية أو انو مسلات السهولة الحديثة.

وحدة في برقة

[illegible]

التعريف ببرقة

من الأمور التي تدعو للأسف جهل الشرقيين برقة جهلاً يكاد يكون تاماً؛ وأغلب الظن أن هذا الجهل يرجع إلى عاملين : الأول وقوف الإيطاليين أيام استعمارهم في وجه الأحاسيس وردائهم عن زيارة ذلك القطر . والثاني إعراض الناس أنفسهم عن هذه الزيارة لاعتقاد شائع بأن برقة ليست إلا جزءاً من الصحراء الكبريى ، ومن ذا الذي يرغب في زيارة "صحراء ؟ وربما يدهش القارئ عندما يذكر له أن غيرة لاودية ، وخنصرة جبل ، وجبل فبيغة ، وتوسع المناظر التي تأخذ عجائب الآلاف ، وبرقة الهواء وصفاته ، تتجلى في ربوع برقة ، حتى إن المرتجل أن يوحدها وهو بين حدتها ووهادها إلى أنجل ما في أوربا الجنوبية من مرتفعات وأودية وسواحل تهب الأندلس . وليس من المبالغة في شيء ما قلناه بعض كتّاب الأوربيين أن طبيعة برقة وهواها لا يختلفان عن طبيعة واسط إيطاليا وهوائها ، على حين يصرح بعض عملاء ضبقات الأرض بأن الجبل الأخضر الواقع بين خليج سرت وخليج السلوم إنما هو امتداد لجبال أوربا الجنوبية وإيطاليا على وجه أخص .

ويضاف إلى جهلنا بطبيعة برقة جهلنا بتاريخها ؛ فقد اعتاد الناس على التفكير بأن ربوع برقة خالية من شواهد عزم القديم ورخائها التجاري العظيم في العصور اليونانية الرومانية . وحقيقة الأمر أن كبار رقة ظلت معاملها مطموسة حتى دخلها الإيطاليون ، فأوفدوا لها الوفود والبعثات العامة التي أخذت في التنقيب وترميم الأبنية الأثرية المتداعية إلى آخر عهدهم بها . ومع أنهم كشفوا عن الكثير من تلك الآثار ، فلا زالت هناك فرص هائلة لبعثات عدة في المستقبل ؛ إذ لا تزال في برقة مناطق ثرية وسعة لم تمسها يد الحفارين بعد . ومهما يكن من شيء فإن برقة أصبحت الآن عامرة بالبعثات التي تستحق العناية والزيارة والبحث العلمي .

وخط آخر شائع بين الناس ، ألا وهو اعتبار برقة جزءاً من طرابلس بقدر ما هي في نظرهم جزء من الصحراء اللووية . وما هذا إلا نوع من الشطط الذي كانت تملسه الدعاية السياسية وسرور الاستعمارية القاسية التي رعت

خفف برقة طرابلس أيام الحكم الإبطي ولكن جغرافية برقة تختلف كل
لاختلاف عن جغرافية طرابلس؛ كما أن تاريخ برقة غير تاريخ طرابلس، وقدائل
برقة غير قدائل طرابلس؛ فهم أتى عمصراً في عرونتهم من غرب طرابلس؛
وأنشد نمتسكا بمداوتهم من غيرهم، وأغتهم قرب لمتجذب إلى اللغة العربية
مصطفى القديمة.

كل هذه متدهر وخصار لمسبها خلال رحلتى حتى أتى صعبه ليوم بين يدي
فأرى الكريم حتى شد ما يكون من لاخصار، حرمنا على صفحات
نكاتب لمصرى وما تحتويه من حواهر الكلام، وملا في إصدار رسالة
حرى مستقلة في هذا الموضوع الذى يجب أن يكون له مكان في مكتبته
كل قارى عربى.

إلى طبرق ثم ورنه

ركبت القطار الحربى الكبير الذى يبرح القاهرة في يوم الأحد من كل
سبوع إلى طبرق، فكانت رحلة ممتعة على ما فيها من عناء، يشاهد فيها المسافر
ذلك المسرح الخالد الذى دارت فيه رحى وقعة العالمين بالصحراء الغربية حتى
تتد آثارها من العامرية إلى مرسى مطروح وما وراءها. ففي كل مكان يشاهد
الإنسان مناطق الأسلاك الشائكة التى تحدد الجهات العامرة بالألغام، ونواوير
الدبابات العاطلة، والمدافع والعربات المحطمة، وخطوط الدقاع المنقورة في الصخر
وغير ذلك من المشاهد العديدة التى ساعدت على فوات لوقت سراعاً؛ إذ أننا
تركنا القاهرة قبيل التاسعة صباحاً ووصلنا العامرية في منتصف الثالثة بعد
الظهر، وشاهدنا ما أمكن مشاهدته في منطقة العالمين حتى أدركنا الليل، ثم
أصبح الصباح علينا فيما وراء الحدود المصرية. وقبل ظهر الاثنين وصل بنا
القطار مرتفعات طبرق الشرقية، وعلى ذلك تكون هذه المرحلة الأولى قد
استغرقت حوالى ٢٧ ساعة من القاهرة إلى طبرق بالقطار.

هنالك قابلنى مندوب الوالى، وكان ترحابه بى حاشية. فبعد أن تناولت
غذاء عربياً على مائدته قننا للطواف بالمدينة، فإذا بشوارعها تكاد تكون خاوية،
وبيوتها في حلتها مهدمة، إلا ما صلحه رجال الإدارة والحكومة لإقامتهم.

ونشرق تقع على هضبة منبسطة ، ولا يرى منه إلا شاطئ البحر المراكب
تغرقه من فعل الغارت لموية ، ويبعد من الشرف الجنوبي ، وودي من
الشرق معظم لدى غمره إلا يضايون من الشرق إلى حدود تونس ، ويبلغ
حوله نحو ثلثي كيلو متر ، أما هضبة شرقية لتي ، يحده شرقاً وهي
مسلطة حرم تشغلها خمود وجماعات عند الحرب ، وتقع المدينة والأخرى
بما بقي منها على الهضبة الشرقية . وليس لطريق من آثار قديمة تذكر سوى
أجزاء نادرة من حائط لرومان ونحزن المياه الجارية وهو كبير وعميق في
شكل مستطيل منقور في الصخور الحموية ليحتجج فيه ماء المطر للاستعمال
وقت الجفاف

بعد ركبت سيارة خيرية إلى حستان لوني الحسني ، وبحيث
سوق مدينة درية على بعد مائتي كيلو متر من الشرق ، وفي عيذه مرحلة من
الطريق تكثر على جانبيه آثار موقعة إفريقية الشنتية بين الحلقاء وحنود الحور ،
من طور مصفحة عادية ، إلى هياكل دائرات محترقة ، وغدران مربعة ،
وهي أفع قواعده مهشمة ، وغير ذلك من ذوات القتل ، ولا تنس مقابر القتل
يرها رتي من كونه وأخرى ، وتول هذه المقابر وتوسعها مقبرة العامين ،
تأخر للمسافر من تقطع إلى المرتفعات الشامية في شكل ثلاث تلال كبيرة من
الغسلان الأبيض ، وتحتلني الإمبر ، والثمانية الأمان ، وثلاثة التلالين ،
ويعرف عليها جميعاً في أعلى النقط علم أبيض كبير .

ونعم ما كنت نظري في هذا القدم لأول من رحلة هو عليه : ثم أدرك
كبير لدى غمره موسولاني في عرض البلاد ، ثم جعله مركزاً مديناً ليشهد
لاقتصادى وزراعى في رقة ، فأسس المزارع على جانبيه ، وانتهى لاستراحات
لضمان راحة المسافرين إلى مسافات تبلغ نحو عشرين كيلو متراً ، ولكنها
أصبحت خاوية على عروشها ، إذ انزع الأعراب الرحل أبوابها ونومدها ،
وحملوا ما كان بها من أثاث .

وبعد مسيرة أربع ساعات التحرف الدائم بالسيارة عن الشرق الرئيسية
شمالاً تجاه البحر ، فلما وصلنا حافة المرتفعات الداخلية ، وإذا بنا نطل على منظر
من البعد ، ثم أعبر بعض الحقل لحافة إلى سهل شديد الحرارة ، ينشئ

رحلة في برقة

تخرج شديد الرقة ، قامت عليه مدينة بيوتها مربعة الأياص ، تحيط بها
لحدائق الغناء . وقد شغف الظليان بدرية في أيامهم ، ووصفوها بجمالها بأنها
جوهرة البحر الأبيض ، ورأىها موسوليني في زمانه ، وآثار الترحيب به
خضرة في أعلى الجبل حيث نقشت في حروف كبيرة حبرة العبارة
W il Duce « ليحيى الزعيم » .

ليس في درنة مخلفات تاريخية قدمتها للمرء السبع . ولكن جمال المدينة
وحسن تسيقها ، وصفاء حماماتها ، شجرة ، وتوفير سبل الراحة في منازلها ،
وكنة حدائقها ، ونفاثة شوارعها ، وطيب هوائها ، جعلها محط رحاب السائحين
الإيطاليين في الماضي .

وقد شاهدت بها قباب لمعين ، ودرت سوقها وتكون من عدة
شوارع ضيقة متراصة مرصوفة بالحجارة ومسقوفة بالخشب كعمامة لأسواق
شرقية في أغرب مدن إفريقيا الشمالية . ونفس دار الحاكم فيها آية في
فن المعمار ، وربما كانت المدافن في محييلها راحمة إلى إعدادها لاستقبال
موسوليني .

فورينا

فورينا وسيرين أو الشحات كما يسميها عرب برقة اليوم تقع على مسافة تبعد
عن درنة كيلومتر غرب درنة على مقربة من العارق الرئيسي ، وبينها وبين
محل البحر عشرة كيلو مترات حيث يوجد مينائها بولوبيا التي تدعى الآن
رسي سوسة .

وقورينا عاصمة برقة القديمة في العصور اليونانية الرومانية ، كما أنها
مركز معاديات في تلك المدة ، وقد تعدل عظم المدن والعواصم لأثرية مثل
لأفصر وثبتا وروما إلى حد بعيد ، غير أن نصيبها من التجريب كان أدهى
شد ، نظراً لما نزلته اليهود بها في ثورتهم الكاسحة سنة ١١٥ - ١١٧ م . حين
خواسكتها ، وهدموا معابدها ومبانيها . واقد حاول الإمبراطور هادريان
ش يعيد لها مكانها الأولي ، وبادر بنائها من جديد ، ولكن جهوده
تغير شيئاً ، بد أن فورينا كانت مرآة من مرآة من الثقافة

الإغريقية^(١) تأخذ الزعم من ذلك في لندهور السريع ، وبهجرتها من بني من سكانها التسلاثل ، حتى إنك لتجدها وقد أضحت حراباً يلقيها في غضون القرن السادس الميلادي .

نشأت المدينة القديمة كما يتضح من آثارها ، على جبلين يفصل بينهما وادٍ سبق غير صديق ، تكتنفه الطريق الحديثة الوحيدة التي قامت على جانبيها قرية الشحات اليوم . ويمكن تقسيم آثار قورينا إلى مجموعات ثلاث ، الأولى مبنية على قمة الجبل الغربي حيث الأكروبول ، وثمة مشتتات قبر الملك باتوس مؤسس قورينا (٦٤٠ ق . م .) ، والسوق الكبيرة (الفوروم) التي تضارع في انبساطها ودقة بنائها أسواق روما القديمة ، ومعبد جوبيتر ، وآخر لعدة فيصرة لرومان (قيصرين) ، وعدد من القصور التي كشف عنها حديثاً ، نخص بالذكر من بينها قصر جانوس العظيم^(٢) من مؤسسات العهد الميلادي الأول ، ويمر إلى جانب دقة الفن والمعمار بمثلة مادرة من النيفيساء التي ازدانت بها أرض حجراته ، فهذه حجرة تتوسطها رأس ميدوسة ، وتلك حرة صورت في ركنها رسو آدمية تمثل الفصول الأربعة ، كلها ملقاة في ثوبها القشيب من الألوان الزاهية .

أما لمجموعة لثانية فهي على الجبل الشرقي ، وتشمل المعبد العظيم للإله ريو ، وملعب المدينة ، وبقياء كنيسة كبيرة من العصر المسيحي . غير أن الحطب من المدينة قد غفت أكثر رسومه ، ولم يبق الأثريون والخندرون إلا أن حدهم المذكوراً للكشف عن معالمه الدارسة .

(١) من بين الأسماء الخالدة التي نعتها قورينا في عالم الفأفة والأدب والعدالة . لأغلبية ما كرم على وجه تميز أرسناب (٤٣٥ - ٣٦٠ ق . م .) Arrippes تدرس في مدرسة قورينا الفلسفة ، وقلبان (٣١٠ - ٢٣٥ ق . م .) Callimachus ، الشاعر اليوناني وأرسناب (٢٧٦ - ١٩٥ ق . م .) Euprosthenes ، أو حبراق فاس محقق لرسالة أرسناب ، وكريباد (٢١٤ - ١٣٩ ق . م .) Carneades مؤسس الأكاديمية الجديدة في أثينا ، وأرسناب المسيحي سيبريوس (٣٧٥ - ٤١٦ م .) Eusebius آخر دهر في الأعلامية الحديثة .

(٢) إن حاتوس هذا كان كبير كهنة الآلهة الأول ، وبزعمه مصمم من أثينا ، فصار قورينا ورعا حبراق بن النساء بين دليل نفوة والاهمية إلى في قصره ، وبطشه أنه عاش في القرن الأول وأوائل القرن الثاني الميلادي .

والجموعة الثالثة واقعة عند مخرج الوادي حيث توجد هضبة تسمى على السهل المنخفض عند قاعدة الجبلين . وعلى تلك الهضبة بنى قدماء من مخرج معبد للإله بيسو على مقربة من مغارة سميت باسم الإله نفسه ، ومنها ينحدر المياه الجارية من بعض الجبل إلى نهر ، وكان الناس يهرعون للاستشفاء من جميع قطار العالم القديم . وإلى جانب معبد بيسو يوجد معبد رئيس وهو صغير . وفي ناحيته الجنوبية حوض السباحة و تسمى حمامة ، وفي أحد أطرافها مجموعة من التماثيل الفنية الرائعة ، يتوسطها تمثال كبير من الرخام للإسكندر المقدوني وهو نادر ، ورأس دقيقة لصنع للإله زيوس . وفي نهاية النهاية وراء المعبد عدة نية ، همها دار التمثيل (هيدروم) من "عصر روماني وهي صغيرة بعض الشيء" ولكنها من حسن الأمثلة في هذا الصدد .

ويحيط بكل هذه الآثار التي تمثل مدينة الأحياء حائط حصين كثيف طوله نحو ثلاث كيلومترات . وخارج هذا الحائط من كل النواحي ، تقع مدينة الأموات التي تفوق جميع مثيلاتها في العالم ليوناني الروماني لتقدم من حيث الكم والكيف على السواء . والظاهر من الهضبة الغربية إلى سطح الحين لشرقي يرى المئات بل الألوف من المقابر المقورة في لصخر طبقات فوق طبقات من على الجبل إلى أسفل السهل ، أكثرها قد كشف ، ولكن بعضها بدون شك لم يكشف عنه بعد . غير أن محتويات تلك القبور لم تكن إلا تنويعات الحجرية الثقيلة ، ولم يبق من النقوش الفنية على حدران سوى "سمر . ومن أطراف الغربية أن عرب تلك المنطقة وضعوا أيديهم على أسباب تلك قبور يستعملوها مزل لهم ومرا حاً تقصعناهم في الليل

وبولونيا ومرسى سوسة ، وهي كما ذكرنا مبدا قورينا ، على مسافة عشرة كيلومترات إلى الشمال الشرقي منها ، وليس فيها من الآثار سوى كيسيير من العصر المسيحي البيزنطي ، إحداهم ترجع إلى القرن الخامس الميلادي ، وتحت الحين أن تمدها الكثيرة قد أخذت من بناء ومعد وثني قدم عهداً . وبها منة حسنة من التفسيرات ذات رسوم حيوانية وإنسانية . ما الفنية فندسها للإمبراطور جستنيان حوالي عام ٥٣٥ م وجاء تاعمدتها الرخامية من بحره شهير في بروكونوسوس على شاطئ الدردنيل ، وحائتها أقل حودة من حالة الكيسة الأولى لطبقين البحر عليها . ما المدبنة الحديثة فهي أكبر بكثير من قرية

المرتفعات والتلال ، وجميعها مكسوة بالخضرة التي تريح البصر والنفس والذهن
المضني ، وكلاهما خالد لا يهدوء ، ويتخلل البدن فيهما ذلك الطواء الجبني المشمش .
غير أن منزل بالشحات ممتاز عن نظيره في ويلر بحديقة تحوى من أشجار
الفاكهة ومن الزهور أنواع شتى لا نعرفها في تلك المناطق الشمالية الباردة .
ولا نسى يوماً فضيلته مع المتصرف (أو الحاكم) بين مشايخ قبيلة عربان
الحاسة داخل الجبل الأخضر في إحدى المزارع التي كان الإيطاليون قد عمثروها
ثم هجروها أثناء الحرب (١) . فبينما نحن في طريقنا بين تلك المزارع ، لاحظت
وجود خيام منسوبة بحجوار البيوت المشيدة التي ابتدعها المستعمرون
الإيطاليون في الماضي واستولى عليها العرب في الحاضر . فلما سألت عن ذلك
قبل لي بكل سهولة إن العرب يفتشون البقاء في خيامهم ويتركون المنازل لتسعى
(أي الماشية) في الليل . وإن دل هذا الموقف العجيب على شيء فإنما يدل على
حفاظ العرب رقة بحيدة البداوة لتقدمه أكثر من إخوانهم الذين نزحوا من
حريتهم الأصلية لحضر شرقاً وغرباً وفيماً لا فتحضروا بحضارة وطنهم
الحديثة وذهبت بداوتهم هباء منثوراً .

(١) مشروع الاستعمار الزراعي الإيطالي لبرقة من الموسوعات في حثيت عليهم سقط لعام
١٩٣٩ ، لأنهم سرعوا أكثر تلك الأراضي بالصف ، وسكوا فيها شرب المستعمرات ، وسوا
هم من البيوت والمزارع . ومن على بيان الأرض صاخبة للزراعة استولى عليه المستعمرون
الإيطاليون ما بين سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٣١ :

| | |
|--------|-------------------------------------|
| ٤٣٤٤١ | هكتاراً اشترت من العرب |
| ٨٨٤٤ | تأهبة أصلاً للحكومة (وهي الدومين) |
| ٦٠٠٠ | صودرت من الثوار العرب |
| ٦٢٢٢٥ | صودرت من الزوايا السنوسية |
| ١٢٠٥١٠ | المجموع |

واستكدر الواحد يساوي حوالى دواين ونصف ، فكان جملة ما استولى عليه الإيطاليون من
الأرض في برقة بوزن أكثر من ثمانية آلاف فدان ، بنوا عليها ما بين سنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٩
من البيوت والمزارع المعدة على أحسن طرار أورنى ١٨١٥ منزل ومرعى ، يراها المسافر على
ساحل طريق ترابسية في الحس الأخضر ، وبين المنزل والمنزل نحو أربعة كيلومترات للزراعة ،
وسمى هذه المزارع على مجموعات ، لكل مجموعة في قديمها الحس شركة تعاونية لها مركز مشيد ،
يشتري منها الزرع . وجرتهم ، ويودعونها بحاصيلهم ، ويحق بناء الدمكة صالة كبرى يقيمون
في حفلاتهم ونشاطهم الاجتماعي ، وكيسة يصل فيها المصلون يوم الأحد من كل أسبوع .

وإذا كان رحتي قد حلت في أمر المدونة القديمة عند فقد مدونة ما أصبح حضري في المراسيم المدونة الحديثة المعلقة بعصيه صبح الشاي وتقديمه للزائرين، إهداء الابن الأكبر لصاحب لدر، وحسن عذبات الخبيرة، وأما موقد عليه إناء فيه ماء، وبجواره إناء آخريان وثلاثة أطباق من القش المجذول، على الواحد سكر سمر عام، وعلى الثاني شاي، وعلى الثالث رطله كبيره من عيدن المعصع الأخضر. وبدأت صناعة الشاي في حركات سريعة بحرق ومهارة، فهو يصب الماء المغلي على الشاي من إناء إلى إناء ثم يبعد صبه من حديد، وغايته من ذلك أن يركس الشاي إلى أقصى حدود التكرير، وهو يجمع السكر مع الشاي يخفضته في نفس لإناء يتدوقه في قدح من الأقداح الصغيرة التي ستدار عليها، ثم يبعد كزرة ثابتة وثابتة إلى أن تصب مرارة الشاي خلاوته ودرجة تعطيره، ذلك لأن تقاليد عربية المدونة تقضي بأن يدرك شاي على الروايات ثلاثاً: الأولى يكون فيها مر المذاق، والثانية حلواً، والثالثة يضاف إلى الشاي فيها المعصع والسكر لدرجة الإشباع. وهكذا تدور عشرات الأقداح الصغيرة دورات ثلاثاً، الواحدة تنو الأخرى تتبادل فيها نفس الأكوام على احتلاط بعضها ببعض غير كافة. فإذا ما انتهت من شرب الشاي الحلو تعذر، أصبحنا في حل لأرجيل. ولكنما قبل أن نعود أدرأنا شاهدنا بعض حجرات الممرات والاسفلتات والمخازن المنظمة التي شاهد الإصليون على مثال أحدث المزارع الأوربية، وكذلك الممر التي يجلسون فيها مياه الأمطار، والحدائق العامرة بالسكروم وأشجار النخلة والرياحين، ثم ركبنا وركب معنا شيوخ مشايخ عربان نتوديعنا في منازلنا في الشحات.

رحلة في برقة

وأخيراً وليس آخراً ذكر زيارة قرية لبيضا على مفرقة من الشحات على الطريق المؤدى غرباً إلى المرج . وسيدكر التاريخ هذه القرية لسبيين الأول
نما كانت مركز قيادة رومل ، والبيت الذي كان يدير منه دفة الهجوم الإمبريقي
قائم يسكنه اليوم السيد إدريس زعيم السنوسية . والسبب الثاني هو أن موسوايبي
عند زيارته برقة قبيل هجوم المحور على مصر جمع مشايخ عربان المنطقة في الساحة
الكبرى بتلك القرية ليخطب فيهم خطبته المشهورة في كلمة واحدة لاثاني لها ،
فصعد مدرجاً عالياً في خصيصاً هذا الغرض — وهو موجود إلى يوم
وأخرج من جيبه منديلا ولوح به لسامعيه مشيراً إليه صارخاً « مصر — ثم وضع
المنديل في أحداً كمامه وانصرف ، كأنما الاستيلاء على مصر في نظره من
السهولة بقدر استخراج ذلك المنديل من جيبه ووضع في كفه . فسبحان
مخلف الظنون !

عزيز موريال عطية

عصبة الأمم القديمة . وعصبة الأمم الجديدة

١

كان مشروع عصبة الأمم أمنية دولية جلية وردت لأول مرة ضمن النقط الشهيرة التي أعلنها الرئيس ولسون في يناير سنة ١٩١٨ لتكون دستوراً لفقد الصاح مع ألمانيا الإمبراطورية في الحرب العالمية الأولى . وقد تضمنت هذه النقط في لوقت نفسه أهم المبادئ الأساسية التي يجب أن تقوم عليها عصبة الأمم المستقلة ، وهي العمل على تحقيق الاستقلال السياسي والسيادة الإقليمية لجميع الأمم صغيرها وكبيرها ، وتسوية المسائل الاستعمارية بمراعاة مصالح الشعوب ذات الشأن ، وضمان حرية البحار ، وإلغاء الحواجز التجارية ، وخفض السلاح وغيرها . وبالرغم من أن تصريحات الرئيس ولسون لم تحقق كلها عند وضع معاهدة فرساي فإن قيام عصبة الأمم كان من ثم ما حقق من ذلك . وقد دمج دستور عصبة الأمم بالفعل في معاهدة فرساي واعتبر جزءاً منها . وكان إدماجها على هذا النحو في صلب المعاهدة التي أملت على الدول المهزومة ، وكانت تمثل يومئذ سلطان الحلفاء الظافرين فيما تضمنته من شروط فادحة ، من أعظم الأخطاء التي صدرت فيما بعد من هيئة هذه الهيئة الدولية الجديدة التي قيمت لتعمل على منع الحرب وتوليد أركان السلم ، وتحقيق العدالة الدولية بين الأمم .

وبدأت عصبة الأمم التقدم حياتها في أول يناير سنة ١٩٢٠ وهو تاريخ البدء في تنفيذ معاهدة فرساي ، واتخذت مدينة جنيف مقراً لها لكي تعمل في جو محايد بعيداً عن المؤثرات القومية . وانتظمت بها في البداية اثنتان وأربعون دولة ، منها ثمان وعشرون دولة متحالفة وأربع عشرة دولة محايدة ، وهو عدد ازداد فيما بعد إلى نحو ستين ، وذلك حينما انضمت في العصبة دول الأعداء السابقين ، وفي مقدمتهم ألمانيا ، وبعض الدول الصغرى التي حصلت على استقلالها

عصبة الأمم القديمة وعصبة الأمم الجديدة

مثل مصر والعراق . و تمهت الدول الصغرى و الأمم المغارة تصارها إلى ذلك الصرح العتيد ترحو أن يكون قيامه قائمه لهمد جديد في العرفان الدواية ، وأن نظفر على يديه بتحقيق أميها و حقوقها المسبوبة ، وأن يكون لها خير عون على مغالة منطق القوة الغاشم وكسح جناح النزعات الاستعمارية الجشعة .

ولكن عصبة الأمم ما كادت تبدأ العمل لتحقيق مهمتها الدولية العظيمة حتى أخذت بوادر الشك تبدو حول تصرفاتها واتجاهاتها ، وأخذت الآمال العظيمة التي علقت على قيامها وخطورة رسالتها ، تنخبو شيئاً فديئاً ، وأخذت الدول الصغرى والأمم المغوبة بوجه خاص تشعر بأن ما يحيط بنشاط العصبة من الأوصاف والدعاوى الخلالة ، مثل إقامة العدالة الدولية ، وتأييد حق تقرير المصير ، وإنصاف الدول المظلومة ، وأمثالها ، إن هي إلا لأماط جوفاء لاحقيقة لها والواقع أن عصبة الأمم ما لبثت أن كشفت عن جانب الضعف الحقيقي في تكوينها ؛ فهي لم تكن سوى أداة للدول الصغيرة الكبرى أتى تشكيلها ، واستأثرت بالمقاعد الدائمة في مجلسها ، والتي ألفت فيها وسيلة دولية ناجعة لتحقيق ما ربتها البعيدة المدى ، والاستقرار وراء ما يمكن أن تسبغه بصبغة بصفتها العالمية ، على خطفها من ضروب السيد والحرر . أهل استطاعت العصبة في بعض الأحيان أن تذلل بعض الأزمات الدواية الحنية ، وأن تضع حلولاً مقبولة لبعض المشاكل الإقليمية ، ولكنها لم تستطع تصرفاتها وقراراتها أن تقنع دولة من الدول الصغرى ، أو أمة من الأمم المغوبة ، بأنها تجري دائماً على مبادئ الحق والبراهة . والامر بالعكس فقد كانت تصرفات العصبة دائماً إزاء هذه الأمم الصغرى يظنهم لون واضح من التحامل والإجحاف . ويكفي أن نذكر هنا موقف العصبة إزاء الأمم العربية التي وضعت تحت الانتداب ، وما اشترفته على العراق يوم طلبت الانضمام إليها من شروط قاذحة لم نفرس على أية دولة أخرى .

وكما أخفقت عصبة الأمم في تحقيق مبادئ العدالة الدواية فكذلك خفقت في تحقيق مشروع نزع السلاح الذي كان يحاجه من أعظم أهدافها . ثم كان بعد ذلك عجزها المزلم عن دفع الاعتداء عن دول هي من صميم أعصائها ، مثل الصين والحشة والمسا وتشيكوسلوفاكيا والبايسيا ، واكتفائها بإصدار القرارات النظرية ، العقيمة في أخطر المواقف الدولية .

عصبة الأمم القديمة وعصبة الأمم الجديدة

ومما نشبت الحرب العالمية الثانية كانت عصبة جنيف جثة لا حراك بها .
وعند حاولت أن ترفع صوتها ، الخاف لآخر مرة في أواخر سنة ١٩٣٩ ، حينما
سعت الحرب العالمية لروسة . ولم يكن ثمة مجال لأن تعمل الهيئة التي عجزت
عن العمل المنظم في حق السلام والتأييد لإجمعي ، تحت قصف المدافع وفي ظل
امدرك المتضربة . وسرعان ما عادت عصبة الأمم ثراً من آثار الماضي لا يبدل
عليها اليوم سوى قصرها الضخم المهجور في قلب جنيف ، وسوى بعض آثارها
العممية في ميادين المشاة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، مما كانت تقوم به
لجانها الفنية العديدة في هذه الميادين .

٢

على أن حثفاء عصبة جنيف في عمر المعارك الملاحنة لم يحن دون بقاء الفكرة
حية قوية خلال الحرب ذاتها ، ولم يمنع الدول الديمقراطية من أن تؤكد تمسكها
مرة بعد مرة بالمبادئ التي قامت عليها 'عصبة القديمة' . وفي المؤتمر الذي عقد في
موسكو في أكتوبر سنة ١٩٤٣ ، صدرت الأمم المتحدة قراراً بوجوب إنشاء
هيئة دولية عامة تقوم على مبدأ المساواة بين جميع الأمم المحبة للسلام ،
ومصحح باب الانضمام إليها لهذه الأمم جميعها صغيرها وكبيرها ، وذلك لمحافظة على
السلام والأمن الدولي ؛ فكان هذا القرار بمثابة اعتراف بإنشاء عصبة الأمم الجديدة .
ونحن نعرف ما تلا ذلك من حفوات ، ففي أغسطس سنة ١٩٤٤ عقد مؤتمر
دمبرون أوكس وفيه وضعت الأسس الدستورية للهيئة الدولية الجديدة .
ثم بحث مشروع دمبرون أوكس في مؤتمر عالمي حافل عقد في سان فرانسيسكو
من أواخر أبريل إلى أواخر يونيو سنة ١٩٤٥ وشهدته أكثر من خمسين دولة ،
وفيه تم الاتفاق على ميثاق 'الأمم المتحدة' ، وعصبة الأمم الجديدة .

عقد ميثاق 'الأمم المتحدة' عقب انتهاء الحرب الأوربية بأسابيع قلائل ،
وفي الوقت الذي حققت فيه الأمم المتحدة نصرها الشامل على ألمانيا النازية ،
وأخذت الأمم تستقبل سمات السلم الأولى وتتطلع إلى المستقبل بقلوب مبهتجة
تحدوها الآمال العظيمة . وبالرغم مما بدا يومئذ في الميثاق من أوجه النقص ،
وبرغم مما شعرت به الدول الصغرى من انتقاص لحقوقها ومكانتها وما ساورها

عصبة الأمم القديمة وعصبة الأمم الجديدة

من جراء استئثار الدول الكبرى بالسلطان واتوجهه ، فقد عثر الميثاق دطامة عظيمة في صرح اسمه مستقبل . ولما تم انصر على اليابان بعد ذلك ، تسامع قلائل رادت النفوس أملاً واستنشاداً ، وبحث سائر الأمم بأبصارها إلى هيئة الأمم المتحدة أو عصبة الأمم الجديدة ، لمنس على جميع أطول المواقف لسائر المشكلات التي يعاني منها استقرار السلم .

ولم يكن تحضر ومثد سال أحد أن حوادث شهيرة الأخيرة من عام النصر سوف تغشى بأكدارها الكثيرة هذا لأفق مثالي ، وتصل بقاؤل شعوب سرعة إلى موجه سامة من التشاؤم ، فإحفاق أول مؤتمر نورراء خارجيه الدول الكبرى ، والتنافس الخطير على سمرار المسئلة لدرية ، ومشكلة إيران وتعميقها على يد حلفاء الأمم ، واختلاف التركي الزويي ، وغيرها من المشكلات التي تعاقبت في الأشهر الأخيرة ، سم لأفق الدول وسعدت بأحضر العواقب .

وفي من هذا ، لأفق الكدر المنقل لسحب الأرمات الدوايه ، عقدت هيئة الأمم لمتحدده جميعها العمومية الأولى في عاشر من شهر يناير بحضور ممثلين حدى وخمسين دولة . ومن غريب الاتفاق أن يكون شهر يناير هو نفس الشهر الذى صدرت فيه تصريحات الرئيس ولسون الأولى عن عصبة الأمم (١٩١٨) ، وعقدت فيه عصبة الأمم القديمة جميعها العمومية الأولى (١٩٢٠) ، وهو أيضاً من الشهر الذى ألقى فيه لرئيس رورفات نصريته الشهيرة أمام الكونجرس عن الحريات الأربع (١٩٤١) .

وانتجبت الجمعية العمومية للأمم لمتحدده الأعضاء لمؤقتين لمجلس لأمن وهو أول وأنهم الهيئات التي تقوم عليها . ونحن نعرف أن لدول الكبرى ، وهي بريطانيا وروسيا وفرنسا وأمريكا والصين ، قد احتفظ لها في ميثاق سان فرسيسكو بالكراسى الخمسة الدائمة في مجلس الأمن . وانتجبت للكراسى الستة المؤقتة البرازيل والمكسيك وبولدة وهولدة ومصر وأستراليا . وقيام مصر في مجلس الأمن لتمثل كتلة الدول العربية مكسب أدنى لاشك فيه ، وقد اختيرت مصر أيضاً للحلوس في محكمة العدل الدولية ، وهي أيضاً حدى لهيئات الملحقه بالأمم المتحدة . وكذلك مثلت الدول العربية الأخرى في مختلف اللجان التشريعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافة للأمم المتحدة . وكل ذلك حسن بلا ريب ، ولكن العبرة بالنشأ عمله . وربما كان لنا أن نقابل بمثل هذه

المكاسب الأدبية في ظروف أخرى غير التي تجوزها مصر وتجوزها بلاد الشرق الأدنى .

وقد شجعنا قبل اعتماد الجمعية العمومية للأمم المتحدة كلاماً كثيراً عن تحول السياسة البريطانية في الشرق الأدنى إلى وجهة جديدة ، واعتزامها أن تقوم بتغييرات سياسية تتفق مع الظروف الجديدة . وربما كان من علام ذلك لتغيير ما أعلنه مستر بيكس وزير الخارجية البريطانية في الجمعية العمومية من أن الحكومة البريطانية تعترف في المستقبل القريب أن تعترف لشرق الأردن دولة مستقلة ذات سيادة . ونحن نعرف بالحارب المرة ماذا يعنيه مثل هذا الاستقلال في نظر السياسة البريطانية . وكذلك صرح مستر بيكس في خطابه بأن بريطانيا تعترف أن تترك عن اندها في الكروني وحوالد وتنازلة (وهي مستعمرات ألمانيا السابقة) إلى مجلس الوصاية الدولي كدعوات الأمم المتحدة . ولكنها ستحتفظ بأندهم في فلسطين حتى تنتهي لجنة التحقيق من مهمتها . ولا حديد في مثل هذا التبرع ، لأن نظام الوصاية الذي ابتدعه دستور الأمم المتحدة هو نظام الانتداب نفسه مدعوماً مشدداً .

٣

إن عصبة الأمم لم تستطع حياة السياسة في حرمها بالحب وروح الثقة في المستقبل تكاد غيظ بين الأمم ، وعوامن الشؤون تحيم على كثير من الأمم التي كانت بالأمس القريب تحدها أعظم الآمال .

فإيران ترى كيف هي وشك الأيرانية لا تدخل لأحبي "الافر" وتركها تشعر بأنها مهددة مثل هذه المصير . وسوريا ولبنان ترى كندهما مصيرها بيت في دون رأي بين الدوليين المتخلفين ؛ وتحتفظ إحداهما بحق إبقاء جنودها في لبنان سواء لم تسعيه مصالحها الخاصة . ومصر بعد كل الذي تكلمته في سبيل الأمم المتحدة وفي سبيل بريطانيا من المعصمت المادية والأدوية الفادحة ، ترى السياسة البريطانية تنظر إلى ما بينها "عدالة وحقوقه" مشروعة في الحلاء والسودان بنفس المنزلة القديمة ، وتعتبر مسائل قالة ليجدل والمنح والميع ، وتبني عليها الدول المتحالفة أن لشارك في مؤتمر الصلح يخص بايطاليا مع ما لها من الحقوق

عصبة الأمم القديمة وعصبة الأمم الجديدة

والمصالح الجوهرية في شهوده ، ومع ما لها من حقوق تاريخية ومصلح حيوية في بعض المستعمرات الإيطالية . وهذه الأول جميعاً من أعضاء عصبة الأمم الجديدة ، والمفروض أنها ، بمقتضى نصوص ميثاق الأمم المتحدة ، يجب أن تكون بعيدة عن كل اعتداء على سيادتها واستقلالها ، وأن من حقها الواضح أن تلجأ إلى مجلس الأمن الدولي إذا ما استهدفت هذه السيادة وهذا الاستقلال لأي مساس أو اعتداء .

وبأنه لمن يواثق للأسف أن تكون المشاهد الأولى لنشاط مجلس الأمن في تسهيل حياته العملية مصنوعة بطابع الفتور والتردد ، فيما تراه الأمم ذات الشأن مسألة حياة أو موت لها . فقد رت إيران مثلاً أن تثير مسائلها أمام المجلس ، وتناولها المجلس كرها متردداً ثم تنحى عن بحثها مؤقتاً مفصلاً أن تمنع مفاوضات خاصة بحري بين الطرفين المتنازعين وهما إيران وروسيا . ولت شعري هل يستطيع المجلس إذا ما أحقت هذه المفاوضات أن يصدر قراره بوجوب سحب روسيا وبريطانيا وأمريكا لحودها من أراضي إيران المستقلة ؟ وهل تنزل الدول الثلاث عند مثل هذا القرار إذا ما صدر ؟ إن القواهر الأولى نذكر كلها على أنه ليس من المرجح أن يقدم المجلس على اتخاذ مثل هذه الخطوة الحاسمة في مسألة إيران أو غيرها من المسائل التوممية الشائكة ، وأنه يستطيع أن يفرض على إحدى الدول الكبرى التبرأ أية خطوة لا تود اتخاذها ، كان في ذلك من استجابة لمقتضيات الحق والعدالة .

وقد طرحت في نفس هذه الدورة مسائل شائكة أخرى مثل مسألة روسيا لسحب الجيود لإيجيريا من اليونان ومطالبة أوكرانيا بسحبها من رندوسيا . وتنزى سوريا ولبنان أيضاً بإثارة قضيتيها أمام مجلس الأمن إذا لم تسحب الجيود الأحبية منهما في الحال . ولكن مجلس الأمن لم يشأ أن يواجه الأمر فقط برى أو قرار عملي . فأنهت مسألة اليونان بسحب روسيا لجناتها وبقاء الاحتلال الإنجليزي . وأحيلت مسألة رندوسيا لتسوى بمفاوضات خاصة بين هولندا والبولنديين وقرر المجلس أن يقر الجيود الإيجيرية هناك لاغيار عليه . ومن المرجح أن يوقف المجلس إزاء مسألة سوريا ولبنان مثل هذا الموقف أو يكتفى باتخاذ بعض القرارات النظرية وكل هذه بودر لا تبعث على التفاؤل وهذا التناقض الواضح بين الحقائق الوقعة وبين ما نسمعه من التصريحات الرنانة في ساحة الأمم المتحدة عن حقوق الأمم وحريتها ، هو أخطر ما في الأمر .

كله، وهو أكبر بواعث القشورم وترعرع الثقة ونحن الآن نشهد تطوراً سريعاً في عقلية الأمم يعتبر بذكراً شديداً الخطورة. فقد خرج العالم داميةً ممزقاً من زرع صراح عرفه التاريخ فاست فيه الأمم أعظم المحن والكوارث، وبذلك فيه فدمج انتصحات، ولكنك خرج أبواحه بعد شهر قلائل فقط حالة لم يكن تتوقعها، معظم الأمم المحترمة والمسالمة على أسواء، وهي حالة أقل مما يمكن أن تصف به هو أنها وذن بأن الأمم الكبرى التى كتبت لها النصر، لم تعتبر بعد الحرب المؤلمة، ولم تنهها وبلاات الحرب المروعة التى فاستها مدى ستة أعوام، عن وسائلها، وزمانها القديمة، وهي التى كانت فى دتها من أهم العوامل والأمباب فى إضرام نار الحرب العالمية الثانية.

ولقد لشنا خلال أعوام الحرب الستة نسمع خلال مناصر السفن والتدمير الهائلة خيب الوعود وقدمها عن حقوق الأمم وحرقاتها، وعن لغابات الإنسانية المبيلة التى تخوض الأمم الديمقراطية من أجلها هذا الصراع العالمى، فكان عهد الحريات الأربع التى أعلنها الرئيس روزفلت أمام مجلس الكونجرس، ثم كان ميثاق الأطلسيق الذى يؤكد فى غير موضع قدس الحقوق والحريات القومية، وحق جميع الأمم الطبيعية فى استقلالها واختيار الحكومات التى تلائمها، كما يؤكد حقها فى المشاركة فى فرص الرخاء لاقتصادى. سمحاء بعد ذلك مؤتمر يالطا فى أواخر مراحل الحرب ليؤكد مرة أخرى ما جاء فى ميثاق الأطلسيق. وكانت هذه الوعود العظيمة لخلابة تمدو خلال الطمات المدهمة كأنها ريق مل ساطع تنطوى عليه سائر الأمم الصغيرة التى انحارت إلى جانب الديمقراطية، نشطرها لمحبة وتوازرها بكل ما وسعت من القوى المادية ولادية، إيماناً بما قطعت على نفسها من عهود ومواثيق مقدسة.

والآن وقد انحلت العبرة المروعة، وخرحت الأمم المتحدة ظافرة منتصرة، وعادت تنبوء مكائتها من السلطان والنقوذ، ما لدى نرى؟ نرى العهود والمواثيق وقد غدت لفاطاً عقيمة. ونرى لدول الكبرى وقد استأنفت سياستها القديمة فى دعم نفوذها على حساب الدول الصغرى. ونراها تتنافس فى إحرار مناطق النفوذ، وتتفاه فيما ينها على توزيع المغانم والأسلاب دون اكتراث لحقوق الأمم الصغرى. ورى السياسة الاستعمارية الشرهة تعود إلى سابق عهدها بل أشد. وهكذا تتضاءل الآمال العظيمة التى عقدت على تحقيق العدالة

عصبة الأمم القديمة وعصبة الأمم الجديدة.

الدولية سراعاً، ونشر الأمم الصالحة إلى استرداد حقوقها وحرياتها، لأنها حدثت ونها تغدو مرة أخرى فريسة لمشنة الظالمين المحكمين.

إن التاريخ يعيد نفسه، وإن أشد ما نحشاه هو ألا نجد في هيئة الأمم المتحدة سوى عصبة الأمم القديمة تتجشع ثوبها الحديد. وإذا كان المقدم لا يتسع لها لمقارنة التعصبيه بين دستور العصبة القديمة، وميثاق الأمم المتحدة، فإنه يكفي أن نلغز النظر هنا إلى أن ميثاق العصبة الجديدة يحتفظ في هيكله نفس لأسس القديمة. فالدول الكبرى تحتفظ لنفسها بالكراسي الدائمة في مجلس الأمن (وهو الممثل لمجلس عصبة الأمم)، ونظام الوصاية يحل محل نظام الانتداب القديم، ورعة السيطرة القديمة التي تحرص عليها الدول الكبرى لا تخفيها أعاظ المساواة الراقية في الميثاق الجديد.

وتتار العصبة الجديدة فوق ذلك أنها سوف تحتكم في أداة مادية من القوى العسكرية لتنفذ قراراتها حين يرى تنفيذها بالقوة القاهرة. وإذا كان ذلك يبدو من بعض الوجوه مرة عملية فإنه من جهة أخرى قد يغدو خطراً إذا أسئ استعمال هذه القوة، أو إذا لم تتوافر عناصر الراحة والعدالة في قرارات العصبة ومراميها.

وقد أشار رئيس الوفد السوفييتي في خطابه في الجمعية العمومية إلى أن هيئة الأمم المتحدة يجب أن تختلف عن عصبة الأمم القديمة فضلاً عن أنها يجب أن تكون أداة فعالة لحماية مصالح الشعوب المحقة لحرية، ويجب كذلك أن تشعر بأنها مبشر في حوسليم، وأن العمل المشترك فيها يتم بوسائل جديدة. أما إحياء الوسائل التي كانت تنمعهما العصبة القديمة فلا يترتب عليه سوى الضرر بهيئة الأمم المتحدة.

وفي هذه الملاحظة تمثل المسألة كلها. فإذا لم تدار هيئة الأمم المتحدة إلى تقديم الأدلة العملية على أنها قامت لتحقيق العدالة لدولية بين سائر الأمم كبيره وصغيرها، وإذا لم تشعر الأمم الصغرى بالطمأنينة في استقلالها وحرياتها في ظل هذا الصرح الدولي الجديد، فقدت الأمم المتحدة تأييد الشعوب ونقتها بسرعه، وكان مصيرها المحتوم إلى ما صارت إليه عصبة الأمم القديمة.

محمد عبد الله عثمان

أبو عبيدة

كان أبو عبيدة معمر بن المثنى ، شيخ الأدب في مدينة البصرة ، منذ
قضى شيخه أبو عمرو سبلاً ، وحلاً مكره في المسجد الجامع ، في منتصف
القرن الثاني . وقد ظل بطلاً ذلك مسكن أكثر من نصف قرن ، وظلت
شخصيته تقوية وصيته المعبود يمتدنان إلى محاسن طلاب الأدب والمتأديين في
البصرة وما وراءها . وقد تخرج عنه معظم الذين كانوا يمتدنون لأدب ويوجهون
الحياة الأدبية في ذلك عصر ، كالخفاف والدارني وعمر بن شمة وأبي عبيدة
القاسم بن سائم وأبي حاتم السجستاني وأبي نواس وأهل سبقته من الشعراء
كأبي العيناء والحسين الضحاك

وبلى جانب هذه الأستاذية التقوية لذلك الجيل ، كان ضللاً من الأصول
الكبيرة التي قام عليها الكتاب العربي ، واستمد منها أثر الفنى . ولقد بلغت
الكتب لمسية إليه نحو الفرائد والموضوعات الخفيفة . وقد بقيت لها منها
بقية نستطيع أن نضعها بها في موضعه حتى نبقى من تاريخ الأدب
وكان — فيما يبدو — من شدة الناس في الدرس ، وأكثرهم نقلاً
للاتجاهات الخفيفة في عصره ، حتى حاروا في شئهم لحظ أن يضعه بهمة
العبارة : « لم يكن في الأرض خروحي ولا جدي نعم جميع العلوم من أبي
عبيدة » . وهذه امدارة وحدها تدلنا على مكان أبي عبيدة من الحياة الأدبية
والعقلية لذلك العهد ، وعلى المنزلة التي كان يتمتع بها من تلاميذه وأهل عصره
ومع ذلك كله لم يكدر الرجل يظفر من البحث لأدنى الحديث بأكثر من
تلك الإشارات السريعة التي لا تسكاد لغنى عن العلم شيء . وقد كتب الأستاذ
أحمد أمين شيئاً عنه في كتابه « صحن الإسلام » في الفصل الذي عقده عن
« اللغة والنحو والأدب » ، وإليك جزء من فصل من باب من كتاب ، فلم
تكن « هندسة الكتاب » تذن بأكثر مما كتبت فيه عنه .

وسنحاول في هذا الفصل أن تبين بأبينة متصلا بمصره ، وبالتارات
لغالبه عليه ، وأن تشمله مثلا مستمداً من آثاره . ومهما تكن الاقدار قد
أصاب هذه الآثار مبدتها ونباتت معظمها ، ولا يحيط للمباحث الذي يلمس
مظاهر الحياة لأدبسية في القرن الثاني ، ويتبع تاريخ النثر العربي في ملابساته
المختلفة ، ويقتضى المؤلفات التي مر بها الكتاب العربي ، من محاولة لتعرف إليه
واستبصار حقائقه ، تنقص أخباره ونثار آثاره في المصادر المباشرة وغير
المباشرة . وقد بقي لنا من آثاره قلعة من كتاب « بحر القرآن » محفوظة في
مكتبة الجامعة المصرية ، إلى جانب قطعة أخرى في دار الكتب المصرية ، ثم
كتاب المتأخر ، على نظر في ذلك نرجو أن نعرض له بعد . وفوق هذا لا يكاد
كتاب من كتب الأدب العربي العامة يخلو من الرواة عنه ، والقليل لبعض آثاره ،
في المواضع المختلفة ، وإن كان أكثر هذا القليل لا يسند إلى كتاب بعينه .

لا يكاد يعرف شيئاً عن أصل أبي عبيدة وأوليته - كما هو الشأن في أكثر
هل هذه الفترة المضطربة - إلا ما نتجسه تخميناً في بعض النصوص التي تروى
عنه . ولديت في ذلك إيمان ذكرها ابن النديم ، أحدها عن علان (أو غيلان)
الشمعوني ، يقول إنه من أهل فارس ، ثمجي الأصل . والآخر ينسب إلى أبي
عبيدة نفسه إذ يقول : « حدثني أبي أن أباه كان يهودياً بباجروان » وأما فارس
فهي تلك الأقليم الذي يقع على بحر الهند أو الخليج الفارسي بين إقليم مصره
والأهواز وكرمان ، وهي إقليم إيراني عريق لعلمه من أول الأقاليم التي صدرت
عنها التركة لشعوبية واتخذت فيها منهجاً منظماً . وما بباجروان فوى مدينة قصية
على النجوم الإيرانية التركية ، والأمر فيها مختلف بين الجنس الإيراني والجنس
المحوراني . ويقول عنها باقوت : إنها « مدينة من نواحي باب الأبواب ، قرب
شروان ، عندها عين الحياة التي وجسدها الخضر عليه السلام ، وقيل هي القرية
التي استطعم موسى والخضر عليهما السلام أهلها » . وباب الأبواب (دربند)
التي تقع بباجروان في نواحيها واقعة - كما يقول باقوت عن الإصطخرى - على
بحر طبرستان ، وهو بحر الخزر أو بحر قزوين ، بباجروان إذن واقعة في تلك

أدلة لهم الحجة التي أشرف على ذلك البحر . وحدث المستوفى عنها يجعلنا نعلم
موقعها مثلاً الذي في لدقة من هـ ؛ إذ يقول : إنها القصة القديمة لإقليم موقان ،
تقريباً أربعة فراسخ شمال رزند ، وموقان هي إحدى ولايات ذريجهان ، وإذن
فهي إلى الجنوب الغربي من بحر قزوين . ويقول بقوت في وصفها : « ولاية فيها
غري ومروح كثيرة ، يحدها التركمان لرعي ، وكثير هدهد منهم » . وهكذا تنتهي
مساهمة خصوص إلى تصور المفارقات الكثيرة التي تفرق بين فارس التي
يدركها نص ابن شعوب ، وناجروان ، التي يدركها نص ابن عبيدة نفسه .
على أنه لا يعارض عبدنا بين النص ، ونص ابن عبيدة المتعلق بأصله الأول ومقامه
أحداده ، والنص الثاني يتعلق بمسألة ، حيث ولد وش نشأه الأولى ، فالجدة
منسوبة كما يقول المسألة ، إذ كان كل من النصين يعني شيئاً لا يعنيه النص الآخر .
ومما يقوي لدينا نص ابن عبيدة : أن حده كان يهودياً من يهود باجروان
ما يبدو من ذلك لإقليم كان من الأقاليم التي اتخذت الديانة اليهودية فيها
مكاناً مظهراً ، بدليل هذه الذكروت اليهودية التي تتصل به وتجوم حوله ، كما
رأينا في النص الذي وردته عن باجروان ، ومثل هذا محدد في الكلام عن
شروان ، إذ يقول بقوت : « ويقولون بالقرب منها بحيرة موسى عليه السلام
التي نسي عندهم الحوت في قوله تعالى : (قل رأيت إذ أوتينا إلى الصخرة
ففي بيت الحوت) . قالوا : « الصخرة بحيرة شروان . والبحر بحر جيلان ،
والبحيرة باجروان » . ويصرح المشارى في كلامه عن بعض المدن هناك ، يدل على
أن اليهودية كانت ماهرة في ذلك الإقليم ، كما في كلامه عن « يثا » و « حر »
في سياق الحديث عن « إقليم الديلم » .

وإذن فأبو عبيدة من أسرة يهودية خزرية الأصل ، حتى إذا كانت إحدى
ملك الغزوات التي جعل المسلمون يسمونها حتى تلك الحيات وقع حده في الأسر ،
ثم صار إلى فارس في ولاء أحد النعمانيين . وهالك لسان هذه الأسرة الصغيرة
إلى جانب مؤيديها : بني عبيد الله بن معمر التميمي ، حتى خرج منها معمر بن
المنثري . وقد ولد في أوائل القرن الثاني ، على اختلاف كبير في سنة مولده بين سنة
١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ . ثم يعترض هذه الأقوال كلها في سنة مولده نص
يذكره بقوت في ترجمة فتادة بن دعامة السدوسي ، رويته التوزي عن أبي عبيدة
بـ : « ما كنا نلحق في كل أيام السنة راكباً من ناحية بني أمية ، بنسخ على

دب فتادة، يسهه عن حسن أو سوء « . وقتادة هذا مات - كما تقول - الأصمعي في حكاية لقوت عنه - . والبصرة سنة سبع عشرة ومائة ، في أيام هشام بن عبد الملك . فإذا صح هذا الخبر ولم يكن محرراً كان عابثاً أن يجعل مولد أبي عبيدة قبل سنة ١١٠ بسنوات .

ومهما يكن من أمر ، فقد نشأ معمر بن المثنى في البصرة - ولا بدري متى كان انتقاله إليها من درس - . وقد صادفت لشاته هذه البصرة القوية التي هزت العقل الإسلامي هزة عنيفة منذ ذلك الوقت ، حين جعل الموالي يحسون شخصيتهم ، ويتوهمون ينفقروا لأنفسهم في ذلك المجتمع ، لمكانة اللائقة بهم . والحذيرة بتاريخهم ودور الذي قاموا به في التمهيد لهذه الدولة الحديضة . وكذلك أخذت تنحصر هذه الطوائف القوية العميقة وما جعل يلاصقها من ملائمت مختلفه إلى محاراة هؤلاء العرب في ثقافتهم ، ليكونوا نظراءهم ، إلى جانب استحيائهم ثقافتهم القديمة ، ثم ما تستتبعه الاستفراد في هذه السبل من محاولة اغتصاف من العرب ، ثم ما يترتب على ذلك من شعور العرب بهذه المذبذبة والمغالاة ، وما وقفه ذلك في قلوبهم من الحارص ، وما يدفعهم إليه من التحجر والتسلح بشئ الأسلحة ، وبذلك امتلأ الجو شائناً وجبوتاً ، وأحدث الحياء الأدبية والعمية تتجدد في مدينة البصرة ، منذ أول القرن الثاني ، معزهاً رائعاً ، لا في استحياء الآثار الأجنبيّة القديمة حسب ، بل في درس الأدب العربي ومنهجر الحياة العربية درساً دينياً معظماً كذلك ، لتأثير تلك الحالة التي درأها .

في مثل هذه أمتار المضطربة التي تختلف فيها العناصر ، واشتد التنافس ، وانعنت الحيوية ، يوحد نوع من الطموح الأدبي يغمر المدوس ويضع أمامه صور من مجد الأدبي متألقة فاتنة . وكذلك فعل صاحبنا معمر بن المثنى على درس واتخذ سبيله إلى العربية . وسنفسر هذا الاتجاه فيما بعد من بعض وجوهه . على ما ستبين أن نقول منذ الآن : إن لمكانة أبي عمرو بن العلاء في البصرة ولشخصيته القوية أثراً غير قليل في هذا التوجيه ، والتجديد معمر شيخه ، وحدث مكانه في حلقة ، وكانت من أكثر حلقات المسجد توفراً وأخفها بالطلاب . وقد نزل أثر أبي عمرو فيه بقي الآثار وأكثرها غلبة عنده . وقد كان أبو عمرو رجلاً واسع المعرفة إلى حد بعيد ، حتى ليذهب الجاحظ

في صفته في أقواله أنه « كان أعلم الناس بأمور العرب ، مع صحة سماع وصدق لسان » . ويصفه أبو عبيدة نفسه — كما يروي الجاحظ عنه — بقوله : « كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقرآن والشعر و أيام الدس ... وكانت كتبه التي كتبت عن العرب الفصحى قد أتت بيتاً له إلى قريب من السقف ، ثم إنه تقر فأحرقها كلها ، فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه . وكان عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية » . وهذا الوصف الذي يصف به أبو عبيدة شيخه لأول واستاذه لا كبر هو طابع علمه هو الذي ظل مخلصاً له ، فقد كان أكثر اتجاهه إلى علوم العرب والعربية والشعر و أيام الناس ، وكان مكرماً هذه الناحية وفي طاء ملتصقاً الأسباب المختلفة لتحقيقها ، فلم يكتف بالأخذ عن أبي عمرو ، بل ذهب يتتبعه على أحدث تلاميذه المطبوعين بطاعه ، وهو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب . وهو وإن كان يختلف عن استاذه أبي عمرو بأنه كان من هؤلاء الموالي الذين اتجهوا إلى درس العربية ، قد كان أعرابي الطابع ، و « كانت حلقته نجم وصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب » كما يقول بقوت . ويذكر أبو عبيدة أخذه عنه بقوله : « اختلفت إلى يونس أربعين سنة ملاك كل يوم ثلثي من حفظه »

ثم لم يكف هذا بأبي عبيدة في رضاء تلك البرعة ، فاتجه إلى الأعراب أنفسهم ، يأخذ عنهم ، ويستتم مادته بما يلقونه إليه من الأخبار ، وما يشدونه من الشعر . ولم يذكر ابن السديم ولا الفعدي ولا بقوت في رحمتهم له هذا الأخذ عن الأعراب ، ولكن ابن السديم ذكر في الفصل الذي عقده بعنوان : « أسماء فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم أسماء وشي من أخبارهم وأقسامهم » رجلاً من هؤلاء الأعراب اسمه أبو سوار الغنوي ، وفي حديثه عنه ذكر أن من أخذ عنه أبو عبيدة . وأبو سوار هذا هو الذي يذكر في الألفاظ أحياناً بهيئة الصورة : « أبو سوار » وإحدى الصورتين محرقة عن الأخرى ، والأقرب عندنا أنه أبو سوار لا أبو سوار

ونحن نستطيع أن نعرف — عدا أبي سوار هذا — كثيراً من أسماء الأعراب الذين أخذ عنهم أبو عبيدة ، من خلال الفصول التي نقاها عنه صاحب الأغانى ، فمنهم من الغنويين ، أبو يحيى ، وعبد الحميد بن عبد الواحد ، ثم أبو ررة القيسي ، وأبو حية النيزي ، وأبو محمد عصام العجلي ، ومقاتل الأحمول

ابن سنان ، وما إلى بن عامر بن عبد الله بن بشر بن عمرو ملاعب الأسنة ،^(١) عمر هؤلاء ممن يذكر في هذه القبول وفي غيرها ككتاب المقدس . وفي كتاب لافسكاد لعرف شيئاً عن أكثر هؤلاء الأعراب ، في كتابنا ملاحظته . - قول شيء - أن الأخبار التي يروونها عنهم إنما هي في الأصل الأغلب . - إننا نتقبل بقاها . ولعلنا نستطيع بالإيجاز في الدرس وتتمتع روايتهم ومقتضاها ، أن تمثل شيئاً عنهم ، وعن الأجور ، التي كانت تحرم عليهم .

وهكذا ترى بأعيانها قد حددت لهم ، منذ تلمذت في عمره ، صدم العرب من لغة وشعر وخبر ، ثم أخذ يغزل في هذا السبيل حتى استطاع أن يأخذ مكان أستاذه من بعده . ولا شك أنه كان قد استرشد على مؤلفيها ، ولا آثاره وخبره مشهورة ، في وقتنا ، تتجاوز ذلك . وفي دهب الأستاذ احمد أمين في الفصل الذي نشرناه إليه إلى أنه كان مورعاً بين ثقافات ثلاثة : يهودية وفارسية وعربية . ومفصل في هذا - كما يقول الأستاذ - أنه « فارسي الأصل ، يهودي الآباء ، يمني هؤلاء » . ويظهر أن هذا لا يكفي في ذهب إليه . وقد يكون الرجل ثقافة فارسية أو هندية أو ما إلى ذلك ، ولكنه كان ثقافتها مما كان خمر الحواريين ورائد في البصرة وإشيع فيه ، كالذي جاء في كتاب الأمن^(٢) من لسانه إليه أبو حاتم ، من كتابه بعض الحكم المنورة عن فارس ، أو ما جاء في عيون الأخبار^(٣) من حكاية عن بعض اليهود الفقيمين بالبصرة شيئاً مما يتعلق بالبطرة أو طب الخيل .

وقد عرف بهذه المناجاة ، وقد عرفه الكتاب يلمسونها عنده . وكان ينافسه على هذه المراتلة وها أبو سعيد عبد الملك بن قريش الأصمعي . وكان الأصمعي يدل بمكانته لدى أساتذته ، وتقديرته على حفظ الأخبار وحسن أدائها ، واحتلاله الأسماع بذلك ، ولهذا أفضت قيمتها في مجلس السمر ، فهو - كما يقول أبو نواس في صفتة - « مل في قميص ، ولكن غناءها في حلقات الدرس غير كبير » . فها أبو عبيدة وها أستاذ قس كل شيء ، وكان طلاب الأدب يكرهونه لأستديته هذه ، ويطلبون على حاقته ، لأنهم - على حد تعبير بعضهم - « كانوا إذ جاءوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق لدر » .

وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا لبر في سوق البعير؛ لأن الأصمعي كان حسن الإيفاء والخزفة، قليل الفائدة.

ولسنا نعلم إلى أي مدى بلغت هذه الخصومة بين الرجلين. ولكننا نستطيع القول بأن أبو عبيدة ظفر بخصمه في حلقات الدرس في البصرة أولاً، ثم ظفر به بعد ذلك لدى السلطان في بغداد. وقد جاءه هذا الظفر حقواً، وتبيأت له أسبابه دون أن يقصد إليه. وقد ذكر صاحب الأغانى طرقاً من هذه الأسباب، في حبار إسحاق بن إبراهيم الموصلی، قال:

«كان إسحاق حذو عن الأصمعي ويكثر الرواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فحماه إسحاق وثلمه وكشف الرشيد معانيه، وأخبره قلة شكره وثلمه وضعفه نفسه وأن الصديعة لا تركو عنده، ووصف له ما عبيدة معمر بن المثنى بالثقة والصدق والسمحة والعلم وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع واستعان به، ولم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعي واستقره عنده، ونفذوا إلى أبي عبيدة من أقدمه».

وهكذا أصبح لأبي عبيدة أن يدخل بغداد ويتصل بالسلطان فيها، وأن يشهد الخطبة في مجلس الخليفة وأن حاصته ورجل دولته كالفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح. وكان ذلك سنة ١٨٨ كما نص على ذلك خطيب البغدادى، في بعد مكة لإبرامكة، وفي ذكر الأستاذ أحمد أمين ما يشير إلى صلته بهم، وأنهم «كانوا يقدمونه على الأصمعي ويزاحونه به عصبية منهم». ولا يكاد يستقيم هذا مع ما يذكره الأصمعي والبغدادى من ملاسات دخوله بغداد، وإن ذلك كان من عمل الموصلی والفضل بن الربيع. ونحن نعرف بعد ما كان بين الفضل بن الربيع هذا وإبرامكة من جفوة وعداء، وهذا فصلاً عن التاريخ الذي أشرنا إليه.

ولبت أبو عبيدة في بغداد فترة من الزمن، قرئت فيها كتبه عليه، قرأها عليه علي بن المغيرة الأثرم الوراق، وتجه فيها إلى وضع كتابه مجاز القرآن. ثم لم يلبث أن عاد إلى البصرة، وكان هذا الكتاب من أول ما غنى بوضعه بعد عودته، وكان من أكثر كتبه إثارة لموجدة تلميذه، وبمنا لا خصوصيات ضده. وكان الأصمعي راس هذه الحملة التي وجهت بسبب هذا الكتاب إليه. وقد صلت بقية حياته إلى البصرة موفور النشاط في الدرس وإخراج الكتب،

وإلى حازه وراثة الأصل به ، أبو غسان رفيع بن سلمة العمدي ، الملقب بذي ماذ .
وربما كان أول من أحسن بين العلماء والمؤلفين بورتان بروي كسبه ويسجها
ويذيعها ويبرل منه مبرلة الراوية من شعره في عهد الشعر .

٢

ولعد ، فقد كان أبو عبيدة - كما رأينا - خزري الأصل ، من هذه الأقاليم
التي ضلت ميداناً للحروب المتصلة بين الإيرانيين والآراك ، وطلت مصطربة بين
هذه الجنسيتين ، وإن بقي العنصر التركي غالباً عليها ظاهراً فيها . وإذن فاقول
نفارسيته فيه تجوز كثير ، والمبالغة في استنتاج المسخ من هذه الفارسية ،
وتفسير الظواهر المختلفة بها ، مجانة للدقة . ولنا نقطع شيء إلا أنه من هذه
الأقاليم المائية ، وتلك الأجناس البعيدة التي لم تكن دخلت بعد في معترك
الأجناس في العراق . وهذه الحقيقة عندما نرها في توجيه حياته .

ولعل مما يلفت النظر ويدعو إلى التساؤل أن نجد كثيراً من رواة اللغة
والأخبار وصور الحياة العربية في هذا العصر ينتسبون إلى هذه الأديم وتلك
الأجناس ، فإلى جانب أبي عبيدة في البصرة نجد خلفاً الأحمر ، وهو ليس إيرانياً
على إطلاق القول ، إذ كان من فرغانة ، فيما وراء النهر ، على تخوم التركستان .
وفي لكوفة حماد الرواية ، وهو ليس إيرانياً كذلك ، بل هو من تلك الأقاليم
التي ينسب إليها أبو عبيدة ، إذ كان من بلاد الديلم . وفيها بن الأعرابي ، وهو
سندري الأصل ، إذ كان أبوه - فيما يقول - قوت - عبداً سندياً . وهذه
ظاهرة غريبة ولا ريب ، تكاد تؤدي بنا إلى القول بأن رواية الحياة العربية
باشعارها وأخبارها مرددة بين العرب كأي زيد والأصمعي والفضل العبي ،
وبين هذه الأجناس البعيدة كاهل الديلم وفرغانة والسند ، كما رأينا في أبي
عبيدة وخلف وحماد وابن الأعرابي . فما نؤيل هذه الظاهرة ؟

يقول الأستاذ محمد أمين عن أبي عبيدة ، في سياق الكلام عن طابع عمله ،
إن فارسيته حررته من الخشوع لمصيبة عربية . ولكن هذا إذا جاز أن
يفسر رغبته الشعوبية ، فإنه يتعارض تعارضاً كبيراً مع هذا الاستغراق الشديد
في الحياة العربية متمثلة في أشعار العرب وأخبارهم ، كما لاحظته معصروه ، وكما

فواد واضحاً حلياً في هذه البقية العاقبة من آثاره، وحتى حازله أن يقول وأن
يقبل هذا قول منه: « ما ألقى فرسدي في حادية ولا بسلا ولا عرفتها
وعرفت فارسيتها ». ولو أنه كان يدرس الحاية العربية ليستخرج منها مثلب
العرب إرضاء لفارسيتها كما قد يذهب الرعم لقد كان يكفيه في ذلك التقليل من
درس هذه الحاية، ولما اقتضى منه ذلك المذهب هذا « الاستغراق » التي
يهرنا حتماً حين يقرأ بعض الأرائق بقيت لنا منه، وفيها إلى حاب الصور
العربية التي يمكن أن توصف بأنها ردتة كثير من الصور السيلة الجيدة التي
تبعث على الفخر، والتي هي حذرة أن قوى العصبية العربية. لقد كان حق
القول أن يقال: « إن فارسيتها قامت به إلى الثقافة الفارسية ». وهذا ما لا يكاد
نجد عند أبي عبيدة، وليس بحراً غير فيل من آثاره، كما نأعرف منها
كتبه، وقيل فيها ما يحتمل الأندلس الفارسية.

ولكن عذرة الأستاذ محمد أمين مع هذا تفتح لنا السائل إلى تفسير هذه
الظاهرة التي ساءلت عنها. فإذا كانت فارسية في عبيدة مما يجرده من الموضوع
العصبية العربية، فإننا نستطيع القول أن حاضرة في عبيدة طورية مكنته من
التحرر من العصبية الفارسية والعربية العربية جميعاً. وكذلك يمكن أن يقال
هذا عن تبه لرواة الذين شربنا إياهم، كمن دوخف وابن الأعرابي. عن تبه ربت
كان لمثل هذه الجنسية أثر في التمكن لهم من هذا المذهب لدى شعوا إليه،
وهو تحرر من رقة الألف الحرة حرة، وهو الألف الذي يحيط بالعربي،
ويصد عنه شعور العجب، وهو شعور الذي يمتد من كبر الجراحت التي ن
يشه رجل لما حوله تدباً قوياً، حتى يراه حديراً بالتحليل.

دعنا نهدده أنفسنا ذات لا زال حتى ذلك الوقت عبيدة عن مذهبك
الاحساس التي كانت تضارع في السلطان، ونحسب على صفات العظمة والسمو
والناظر المستندة من المرحى تقرب والمعبد. وبذلك امتنعنا أن نتقف فليقة
لا نعبر هذه المشاعر المندمة المسطرة، وستطاع نصيبها أن يقرروا فيها
حوهم شرة حرة واسعة حرة، وأن يختاروا لأنفسهم الميدان الذي يملكون
فيه تحرر وأمانه، ويحققون فيه لأنفسهم بعض الغايات أو المكائات
الاحتماس التي تشوق إلى إليها ويمسعون إلى الظفرها. هذا هو — فيما
نحسب — مفتح ذلك السر، وبقلة البداية في تحقيق تلك الظاهرة. ولعل

أقدم من مثلي حماد الراوة ، وربما كان بشخصيته وأوليته هذه من لأسباب
القوية التي مكنت له ، فلموافته وشبه المواطنة التي رها بين حماد وحمف
وأبي عبيدة كالمعاصرة تنثر التثني وتبعث في الاقتداء .

وقد نجح حماد نجاحاً يكاد يكون منقطع الطير في عصره ، في رواية الحياة
العربية بأخبارها وأشعارها ، كما نجح إلى جانب ذلك في فتح ملك المسكاة
الاجتماعية التي تطلع الأبصار إليها . ونحن — كما يقول أبو العرج — « من أعلم
الناس أيام العرب وأخبارها وأشعارها وأسابيلها ولغاتها ، وكنت ملوك بني أمية
تقدمه وتؤثره وتستزيره ، فيند عليهم ويمدحهم ، ويسألونه عن أيام العرب
وعلمها ، ويمزلون صلته » . فلا حرم كان لشخصيته هذه وبذلك المسكاة التي
وصل إليها من فضل الأسى التي تمتع في الاقتداء ، وتعمل عملها في قسام
الطواهر المختلفة ، ولا سيما إن كان هناك نوع من السنة كالمسكاة كان يسهو وبين
أبي عبيدة مثلاً .

ويقول ابن المنائح في حكاية المذبح الذي بعث حماداً على اقتراح تلك السليل
— كما يروي أبو العرج — « أنه كان في أول أمره يتشطر ويصحب الصغار
والنصوص ، فذهب ليلة إلى رجل فخدمته ، وكان فيه جزء من شعر الأنصار ،
فقرأ حماد فاستحلاه وشغفه ، ثم طاب الأدب وأشعر وأيام الناس ولغات
العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ من العلم ما بلغ » . وهذه قصة قد
تصح وقد لا تصح . ولكن الذي لا يكاد يداخلنا فيه الريب أن حماداً كان يحس
منذ صغره أنه غريب في المجتمع الذي كان يعيش فيه ، وهو المجتمع السكوني ،
فلا هو نبطي ولا هو فارسي ولا هو عربي ، فكان لا بد له ، في طبيعة الأشياء
في مثل هذه الحالة ، أن يستكمل هذا المقص ، وأن عملاً هذا الفراغ الذي يحيط
بشاعره ، فيصطنع إحدى هذه الجنسيات التي حوله ، وكلها سواء بالسمة إليه ،
إلا أن العربية كانت ترجحها بطبيعة الحياة في ذلك الوقت ، فوالله الذين نشأ
فيهم وتربى بينهم هم بنو شيبان ، والدولة القائمة عربية في حقيقتها وفي ذوقها .
وما هؤلاء الفرس ومن إليهم ممن يضمرون الخروج على الدولة ، لا ثوار لا يمت
إليهم بصلة ، ولا يشعرون بحوجهم بأصرة . وإذن فلا بد له من أن يصطنع العربية ،
وأن يظفر من ذلك الاصطناع بما عملاً ذلك الفراغ ، فيحيي حياة عربية بدوية
عملاً حواسه بالمناظر العربية . ولعل تلك الحياة هي التي يشير إليها ابن المنائح

بالشطر وصحة العمل والك والتصور ، وإن تكون حياته المعنوية عربية أعز ،
فيملا عمله وجباله من تصور العربية ، يلتصق في هذه الأشهر ، وديا يتفقه
الأعراب من الأحبار ، ودايم له هذا وقد وجد نفسه في سبيل اتخاذ صناعة
حددة ، هي صناعة الرواية ، وقد تهيأت له سماتها ، واجتمعت لديه مادتها
بما لم تجمع لأحد قبله . وما أشد حاجة كثير من رجال هذه الدولة العربية
إلى هذه صناعة ، وذلك يستطيع أن يحقق لنفسه هذه المكاة الأدبية
والاجتماعية التي تصحح له موضعه .

هذه صورة من الحالات النفسية كما يمكن أن تصورناها للملابسات التاريخية
والأدبية لحياة الرواية . وحاجتنا إلى معرفة هذه الصورة متصلة بتعرف الحوافز
التي دفعت بأعيدة لسوك سبيله تلك التي ساكها ، وهي بعينها سبيل حماد
الراوية . فالجلال ياتقيان في هذه السبيل ، كما ياتقين في جنسية واحدة هي
الجنسية الحربية . وإذا كانا يختلفان بعد في ظروفهما ، إذ نشأ أبو عبيدة في إبان
الانقلاب العباسي ، وبين عو من التوثب على الجس العربي ، فإننا نحسب أن هذه
القدوة التي كانت تتمثل في حماد الراوية أهم في عبيدة وهو في مفترق الطرق ،
— وهي قدوة تمسك كل عناصر التأثير — كانت مما يعرض عن هذا الاختلاف ،
ويسدده في تلك السبيل ، وإن بقي بعد ذلك في بني عبيدة شيء من كبر هذه
الظروف كالتربة الشعبية ، وهي تربة وجدت من العو من شخصية ما يبرزها ،
كما نرجو أن نعرض لذلك بعد ، فقد ذكرنا هذا مرأ لا بد منه في طبيعة الأشياء .
ولكننا نبدد فبقول منذ الآن إن هذه الشعبية لا صلة لها بالفارسية ، ولكنها
— فيما نحسب — شعبية على الأصل في هذه تسمية ، وهو التسوية بين الشعوب
المختلفة التي تتكون منها الأمة الإسلامية ، فلا فصل لعربي على عجمي . ذلك هو
الأصل عندنا في شعبية بني عبيدة ، وبرحمة لدينا ما هو معروف عنه من
أنه كان جارحي المذهب ، وقد نص على ذلك الملاحظ ، كما ذكر ابن السكيت
وياقوت أنه وضع كتابا في «خوارج البحرين» . ومذهب الخوارج يتفق مع هذه
الشعبوية بمعنى التسوية ، وليس في هذا المذهب سواء ، ورأيهم في الأحق بالخلافة
أنه الأصاح له عرب دن وغير عربي صريح في الدلالة على ذلك . ولو أن شعوبته
كانت شعبية فارسية لكان الأقرب إليها والأدنى إلى الاتفاق معها ، أن يكون
شيعي المذهب ، وهو ما لا نعرف عن بني عبيدة أنه كان يقول به أو يذهب إليه .

هذا هو الأصل في اتخاذ أبي عبيدة إلى الحياة العربية، تعرف أحوالها ويدرس شعارها. وقد قبل في ذلك - كما قلنا - مستغرق فيه، مدمس كل سبيل إليه. فلم يكتف في ذلك بالسلقى عن شيوخ المصرة الذين تلقوا عن الأعراب كابن عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب، وإنما سلك سبيل هؤلاء الشيوخ، فجعل يأخذ عن الأعراب كما كانوا يفعلون.

وكان هؤلاء الأعراب سوق كبيرة رائحة في هذه الأمصار، ولا سيما البصرة بلد أبي عبيدة التي نشأ فيها، منذ نشأت الحاجة إلى درس العربية واستنباط قواعدها وتثقيف الناس بها، والاعتماد في هذا الدرس على مصادره الأولى، وهي شعر الذي يرويه هؤلاء الأعراب، والثقة التي ينكحون بها، والأخبار التي يقصونها. فلم تعد الدوافع التي تدفع هؤلاء الأعراب إلى المصر مقصورة على التجارة فيما اعدوا أن يتجروا به، فقد نشأت لهم هذه السوق الجديدة يتجرون فيها بالحياة العربية التي يحيونها والتي يروونها، مع هؤلاء المصر الذين اتخذوا من هذه الحياة وروايتها ودرسها وأصحاب مادة علمهم وميدان نشاطهم، سواء أكانوا من رجال الحوأم من أصحاب الشعر والخبر.

وقد نشأت هذه السوق في البصرة عريدها، حيث كان هؤلاء الأعراب يفتدون لتجارة أموالهم، وقاما كانوا أول الأمر يتجاوزونه. حتى إذا قامت هذه السوق الأدبية الجديدة، وأحسن هؤلاء الأعراب بقباطها واشتغالها، وبأنها تجدى عليهم وأكثر عائده لهم، أخذوا يدخلون المصر، ويتصون بالبيئات العامة فيه، بل جعل بعضهم يستقر به، وأخذ فراق منهم يحدد في أسلوب هذه التجارة الأدبية، فلا يقتصر على الرواية، بل يصطبغ إلى ما بها الوراثة، فقد حسن أن تقوم يتجرون بعلمه، ويقيدون منه معارف مبنية، فحذراهم في سبيلهم. وبذلك أخذنا نرى من هؤلاء الأعراب من يذكر عنه أنه كان يورق في الحضر، كالذي يذكره بن النديم عن أبي مالك عمرو ابن كركرة.

ولقد كان أقبال الأعراب على المصرة بهذه الصورة من العوامل القوة في نشأة هذا الاتجاه العربي في الحياة الأدبية بهذه المدينة، نشأة استلح أن يعدل ذلك الاتجاه الآخر إلى رواية الحياة الفارسية وإغاليه، وهو الاتجاه الذي راه عندما ندرس ابن المقفع مدفعاً في سبيله بجميع قوته لا يكاد يعماً

شيء ، ولكمه لم يثبت أن رنى ذلك لانجاه العربى الذى كان لأعراب يزيدونه
قوة ، ويتلاون به لجو الأدبى فى البصرة ، بنظره ويغالبه ويأخذ عليه سبيله ،
ويكسر من حدة شطه ، فقد كن يملك الوسيلة التى يمسكها منظره ، وهى
روح انقصص وتصوير المطولة فى صورها الختمة . وهى الروح التى تفتق الجمهور
ونقل به واسيطر عليه . ولا ريب أن هذا الأثر الأعرابى من خطر الآثار فى
الحياة الإسلامية . الأدبية والاجتماعية معاً ، وهو عندما أخطر من جميع ما ينسب
إلى الأعراب فى تاريخ الأدب العربى ، من الاستعانة به فى وضع النحو وجمع
اللغة وما إلى ذلك . ويكاد يعدله عندما ما أتيج لهذا الانجاه العربى من ربح
كانى عبيدة ، اجتماع له من المواهب العقلية والفنية ، ومن القدرة على الدخوب
وانتصر ، ما استفاد به أن جعل ذلك الأثر الأعرابى قوة منظمة ، وأن يسبق
عليه من المشاهر العامية والأدبية ما يجعله بعيد الأثر ، جديراً بمباهمة ذلك
الانجاه الفارسى .

والكن قبل أن نأخذ فى عرض ما عمله أبو عبيدة فى هذه السيل لا بد لنا أن
نساءل أولاً عن العوامل التى أدت إلى اجتماع هذا المبيض الزاخر من أخبار
الحياة العربية وصورها ، حتى أتيج لأبى عبيدة أن يصنع منه هذا البناء العظيم
الذى يمثل الحياة العربية البدوية ثمناً لا يأخذ بخواب النفس ، أو بصارة أخرى .
كيف أتيج لبدية البصرة أن تضم هذه الأطراف المختلفة من صور الحياة
الجاهلية ؟

الأمر فى هذا قريب هين متصل الطبيعة لتجتمع البصرة منذ أول عهده
ذلك أن البصرة كانت أكبر المراكز التى تارت فيها الحصومات لعنفية المتصلة بين
القبايل العربية ، وكانت هذه الحصومات الحديثة والمنفسات الجديدة مسبباً فى
إنارة الاتحاد القديمة الكامنة فى أعماق هذه القبائل . ومنذ تارت هذه الاتحاد
وجدت من الشعراء من يؤرثها ويهيجها ويثير الذكريات المختلفة المتصلة بها ،
كما وجدت من الرواة من يحمل همهم فى فتصاص أخبارها وتتبع أحداثها .
وليس من شأننا هنا أن نذكر لأسباب المختلفة لهذه الحصومات ، فانما
فأريد المتصلة بموضوعنا أن نسجل نداعها الأدبية . ومن أول هذه النتائج
ما شربنا إليه من قيام الشعراء بها ، واستندرة الذكريات الجاهلية فى أشعارهم
حين يفتخرون قضايلهم ، ويعتصون من قضايل خصومهم ، ويلجئون فى هذا

لجأ بعيداً كلما تلبت الخصومة ، حتى لئلا من أهل هذه القدائل من سفقون
من صنيع هؤلاء الشعراء ، كالأدي يحكيه ابن سلام من أن رجلاً من عجم مشى بين
جرير والقيمي ، وقنوا . والله ما شعر وأبلا إلا علماء يثيرون مسامحة ،
ويجرون حياءنا ومواتنا . واتقد كثر الشعراء الذين شاركوا شعرهم في هذه
الخصومات ببداية البصرة كثرة نظيره ، ولحق شعر أبي يشدونه ويدعونه
كثرة غامرة ، وبأنفوا في استترة التكريب وحلق المنحرف ومثلث مد لغة
كبيرة . وكان هذا الشعر يمد من رجل هذه القدائل الخاصة كدائماً صريحة ،
وعنداً مائة ، وأعصا هياتها هذه الخصومات للظرب تشدده . وسعى أن
تنشأ حول هذه الأشعار ، وما تشير إليه من أحداث ، وما ترمي به من مناجر ،
طائفة من الأخبار والأفصيص تفسر إشاراته ، وتفصل تحلاته ، ونسب إلى حاسه
في استتارة النفوس ، واستفزاز المشاعر الحاقدة .

هذه الحركة الأدبية القصصية التي نشأت حول أشعار التمردي وجرير
والزاعى والبيعتين وابن الجني والسنديان العمدي وغيرهم من شعراء هذه
البداية في القرن الأول هي الأصل في اجتماع ذلك الفيض لآخر من أخبار الحياة
الحالية المصنفة في تلك فترة من الزمن ، وفي ذلك الإقليم . وقد يكون من
هذه الأخبار ما هو صحيح ، وقد يكون منها ما هو مبالغ فيه ، وما هو محقق
موضوع ، ولكها جميعاً تشترك في أنها صور للحياة العربية البدوية . والأصل
فيها هو تلك الخصومات القسائية أولاً ، ثم ما نشأ عنها من خصومات شعرية ،
ثم لم تلبث هذه الأخبار والأفصيص أن صارت مادة من مواد الدرس والطلب في
بيئات البصرة الأدبية والعلمية ، تلمس لذاتها ولما فيها من متعة هنية ، وتلتمس
لما فيها من تصوير للحياة الماعية العربية ، وتلتمس لما تتضمنه من تفسير لشعر
هؤلاء الشعراء . وقد جاء أبو عبيدة فجعل يظاها في حديث الدرس ، كما جعل
يلتمسها عند أولئك الأعراب .

والمسألة التي تواجهنا الآن هي : ماذا صنع أبو عبيدة بهذه الأخبار
والأفصيص ؟ أو بعبارة أخرى : ما هو أسلوبه وخصائصه في رواية الحياة
العربية ؟

له الظاهري

(بدي)

CONTRE UNE TERREUR DES FAITS

RAYMOND GUERIN

مقاومة الذعر من الواقع

٢ (١)

ما أغرب هذه الحاجة (ولعلها غريزية) التي تضطر الناس إلى أن يضموا على وجه الحق البين قسماً كاذباً مصلداً . وإن النظر إلى ما هو واقع ، أو مجرد قراءته يؤذيهم ويصدّهم ، فهم لا يقبلونه ولا يفتيقونه . إنما يرضون عن الأفاصيص التي تقصّ لهم حوادث الجنّيات الساحرة ، فهم في حاجة إلى الصور التي تسحر العيون وتخلّب العقول . أما الخشوع الواضح الذي يكشف عن أدق التفاصيل المتوارية ، ويبعث الضلال التوبة ، منه يخيفهم . وهم مؤثرون على الحق الواقع جميع ألون الريبة الدسيكولوجية ، وجميع ضروب التفق 'نفسولوجي' . ليس في حياتهم الخاصة خشب ، بل لعلمهم يؤثرون ذلك بنوع خاص في الكتب التي يترونها . وهم يملكون نارية إلى هذه الكتب أن تكون لها مزايا المخدر وآثاره ، ويتسلطون منها تارة أخرى أن تذر الرماد في أعينهم ، يريدون أن يتنبرأوا إلى عالم أخسر ، لا يعنيه في ذلك أن يكون هذا العلم قد تدهور قدّم ، وأن تكون الأشباح التي تصطبّ فيهم قد فقدت ما يمتاز به أشخاص الحياة الواقعية من قوة وغموض .

ومن ذا الذي يذكر أن الحياة قد تكون خبيثاً شدة فتنة مما تجرى عليه عادة ! فلها ذرى بهجة وتناق . وبين الحين والحين يفجئهم من إدراكها القاتل العام أشخاص ممتازون يتجاوزون الحدود الطبيعية ، كما تفجر ألوان من الإخلاص عجيبة ، ومن الشعور التي يفوق الثقة الإنسانية . ولكن أهدأ هو مقاييسها الطبيعي ؟ كلا ! فإن فيها ، بل وفيها أكثر من أي شيء آخر ، هو ما وضيمه ،

وعراض ركود . وعندئذ يستطيع شدة شخصها بروزاً أن يملأوا عن أنفسهم
حليهم الذهبية وثيابهم المزركشة ، وأن يتجردوا من هذا البرج الذي يهروا به
الناس ، فيرتدوا أسماعهم اليومية الرثة البالية التي تخيب لها الأمل ، ويضطروا
إلى حياة قبيحة بشعة .

فأى عجب إذن في أن يترع المؤلفون إلى أن يبعثوا في كتبهم ، وإلى أن
يصوروا فيها كل ما يحيش في ذهن الإنسان ، أو ما كان راكداً فيها ، كل
ما اتسّل بأعماله الظاهرة أو بحركاته الداخلية الخفية ، بفكره الخارجية الواضحة
أو بشد وساوسه ارتباكاً ! وأى عجب في أن يطمحوا مموحاً طلياً إلى الملازمة
بين الأضداد وتناول رقى الحالات وأدناها بنفس الرغبة الاستطلاعية وبفلس
روح التفهم في كلا الحالين ! فكل شيء هم في الإنسان ، متناوباً أو مقترناً .
وإذا لم يصل هؤلاء الكتاب بعد إلى أن ينسوا هذا الأمر فعل مرجمه أن
الحياة بدلاً من أن تقتصر على أن تظهر لهم ضوءها وحده وظلها وحدها كما
تبدو للكثيرين ، قد غمستهم في النور والظلمة دونه واقتراناً .

وقد مكنتهم هذه الحياة من الاتصال اتصالاً يزداد توثقاً على مرّ الأيام
(وكثيراً ما يكون اتصالاً مرّاً شديماً) بما تشتمل عليه من تعدد واتعة .
ومضى انتهى هؤلاء الكتاب ، إما بدافع المراج أو الوراثة أو على أثر حاجة في
تدريجهم ، إلى أن يفسحوا جميعاً لأمكنة . فيترددون في نفس الوقت على الصلوات
النخمة والمآوى الحظيرة ، كما يدخلون غرف السيدات ومصانع العمال ، يخلطون
بجميع الأوساط ، ويعرفون جميع ألوان الناق البفسى والمذة والاشمئزاز والمنعة .
فعرّضوا لجميع ضروب الخط وسوء الخط ، بجميع أنواع الاستطلاع وعدم
الاكتراث ، كما عرفوا جميع أشكال الحرية والتقييد . سمّت عقولهم حتى بلغت
فصل درجات الشغل ، كما انخفضت حتى زحمت في الرجل . وهم يريدون أن تغفل
كتبهم بهذا كله . نعم ! هم يعرفون منذ الآن أن يقتصر أمرهم على ناحية كلها
وسية كما يعرفون تصوير عالم يقتصر على الرذيلة دون سواها ، على بيئة مائعة من
المشككين المتصنعين أو من الخاطيعين المبهكين ، على بيئة كلها قد يسون أو كلها
حائزون ، على بيئة منظمة أو أخرى مضطربة ، على بيئة رفيعة رفيعة أو أخرى
فئة غريبة . فإذا ما أتوا من القوة والبراعة حظاً كافياً ، وكانت شخصيتهم من
الغنى والخصب والتنوع بحيث يقدمون على هذه المرة ، فإن العالم الذي

مبعضونه علينا سيكون متعة ذهنية لنا ، وسنة لف من جميع البيئات
الممكنة . سيكون علماً جديداً في إنشائه ، فيعوضنا من هذا العلم اليومى الذى
تفى فيه حياتنا .

ولئلا من هم ، فقد بدأوا التفكير في "العقاب التى تعرضهم لها هذه المذمة .
وهم قد احتموا من غير شك أكثر من غيرهم هذا العير الثقيل المضى الذى تفرضه
الجماعة على أفرادها حين يحرفون عن الطريق القويم . فن الناس من يتكفون
الفصيلة عن شغلة و عن نفاق ، وهؤلاء يتأذون عندما يخيل اليهم أن رجلاً
يخرج إلى سحر من مواضع اليقظة لعقوبة ، حين يقرر أن يتخذ شيئاً من
الحرية فيما بينه وبين نفسه أو مع غيره من الناس . فليس يكنهم أن ينجسوا
« المركيز دى ساد »^(١) و « رستيف دى لاريتون »^(٢) ، ولكمهم يتسعون
وجوههم حين يرون « بروسست » أو « جويس » يتعمقن في طبيعة الإنسانية
ويقتحمان طرقاً كانت مواضع السالك تكرها حتى ذك الوقت . يثرون
على هذه لدقة التى يسمونها بحجوة ، وعلى هذه العصور المشتقة من صميم الحياة
التي يسمونها قذاعاً ، ويعلنون أن تشريع تقوسنا وعرضها على هذا النحو
لا يمكن إلا أن يسمم العقول ، وإذا لم يكن من هذا بد فإشار "صمت خير .
ولعل هؤلاء المسكين المنساقين إن تبيح لهم من السلطان بعض التلميذ
يفرضوا على الأدب رقابة تستطيع مظاهر العفة . وقد دلت تجربة على أن مثل
هذه الرقابة تلحق بالأدب ضرراً جسيماً في كل مرة ظهرت فيها ، حتى إننا
لنخجل لها من عنفها الضيق المحدود الرافق ومن عدم تسامحها . إن التعصب
والطغيان إن لم يسلطوا على منع الحقيقة من الفوز والتحرر آخر الأمر حتى حين
يعتمدان أشد العنف ويلجأان إلى التحريق .

وإذا عجز هؤلاء الفلانون والمنفقون عن أن يبالغوا أقصى غايتهم في تنفيذ
نواهيهم ، فإنهم يحتمون في الأدل على الفنان الذى يفتتح في آثاره بما في الحياة

(١) كاتب فرنسى من كتاب القرن الثامن عشر توخى في آثاره تصوير أذع ما في الحياة
الإنسانية من الفظائع والأثم .

(٢) كاتب فرنسى من كتاب القرن الثامن عشر عدل من أسلوب معاصره إلى أسلوب له
حظ عظيم من صراحة وموجه الواقع .

من قبيح مردول، أن يهضم ذلك ويحمله قبل أن يناول عرضه أو "مميزه".
ومدانة المستمع وغير المستمع في نفس مسألة أخرى لا تقل دمة وشاناً.
وما أكثر الدين يمحون عن ألسنة يد السقاة من السكاة أب شهدوا شمع لم دار
(مناظر الرق والهمجية وما في الخواضر من "قوس وأشهبوات الخيرية وهو أن
الفكر والانس في اللغات والأهرام في المرعدة وشموق) فلم يصوروا في
كتبهم ما رآوا، وإنما صوروا فيها شعورهم به عن نحو جعل هذه الكتب،
وإن صلت فاجعة مبرقة للنفوس، تبدو كأنها تسبح في عالم خيال غير واقعي
له سحره الذي لا ينكر. وإذا كانوا أشد إحساساً من أن يصوروا علماً بلانهم
مشاهير العالم، ويعرفون أن هذا العلم لا يوجد، فهم قد رموا المرار نهائياً من
كل ما يجمعهم بالعالم الواقعي. وما داموا لا يستنبطون الاكتفاء بعلم بعيد
من نكبات الذي يتفوقونه له، فقد اختاروا أن يصفروا أنفسهم في شيء من الأثرة
إلى تفصيل الاختراع بالمظهر على الحق. لم ينظروا إلى الأشياء كما هي، وإنما
إلا أن ينظروا إليها كما يحبون أن تكون، فكتبوا إلى أرباح عاحية من مذاهب
المرمى تصمون فيها، فهم يستميون بعناب الألفظ وبعد الصور حياء.
يشوشون ورق اللعب، ويغشون "الظهر"، ويتألمعون في عبادة من لاستمارة،
ويصوتون إلى روائح غامضة، ويتشدقون بالرومايه فأنهم حتى وسحرة من
عالم غير علمنا هذا، وأن طميعتهم من جوهر علوي ممتاز. كل ما يجري به فلامهم
مثال محجب غير واضح الخطوط ولا تين الملامح. وقد يمزق نفوسهم ما في
الحياة الواقعة من ألم وبشاعة ووحشية ودعارة. ولكنهم مع ذلك يحرصون على
أن يصوروا كتبهم من هذه الأوزار. أيديهم التي التي تكتب تجهل ما تكتبه
أيديهم اليسرى التي لا تكتب. أرجلهم غائصة في الوحل بل في الدم أحياناً،
ولكن رؤسهم في السماء هؤلاء على الأقل هضموا ما يلفظه العلم من قبيح.
وإذا تجرأ أن يرفعوا أشخاصهم فإنهم لم يترددوا في أن يكذبوا عن أنفسهم
ليرفعوا أشخاص قصصهم.

وليس كل إنسان قادراً على التلاعب باللفاظ بهذا اليسر.

وكتاب آخرون ملغ تعنيهم إلى تشهير والمثل الآتي والحق المطلق حداً
جعلهم يدعون لجرم الافتراء من الحياة الواقعية العادية. لا يستطيعون أن
يفتحوا عيهم وأن يمدوا أسماعهم دون أن يعتبرهم غثيان. يرون كل نفيض

في الحياة شيء لا يتحل . وينتهي بهم هذا إلى المعجز عن التحول عن الواقع
الناشئ . وهم من جنس ذلك لا يكتفون بمسكون القلم حتى يختصوا أنفسهم في
غير تردد مما تضيق به نفوسهم ولا يغروا بالانحطاط ، فلا يلاحظ ما هم
يستعملونها كما هي في مدلولها ، ساذجاً لا يسهل على هؤلاء كان ما تدل عليه فيما
أو متبدلاً . فليست الآلة إلا وسيلة ، وليست هي لغاية الأساسية ، إنما
الغاية الأساسية هي هذا السرطان الذي ينجر جسم الإنسان . يجب مهما يكلف
ذلك من عن إخراج الحديد من هذه الجراح المتقشرة ، وفتح هذه القروح ،
وتفريق هذه الأمعاء .

ولا ينبغي أن نورد أنفسنا في الخلل . فبما تدلست ندى هؤلاء الكتاب
في هذه المهمة الكريمة ، ومهما شذروا من أنفسهم بسبب القذرة التي يكشفون
عنها ، فإنهم مع ذلك شدد ما يكونون تلهفاً إلى الجمال البعيد المنحل . فهم
لا يزالون يمتنون اليوم الذي يشح لهم فيه خيراً ألا يكتبوا إلا لثقتهم كلها
حنوا ورشفة وهدوء ، كما يفعل آيرون . ذلك اليوم الذي يكشفون فيه آخر الأمر
عن مثل هذا العلاج الخاسر . ولكن ليس هذا كله ، مع الأسف ، إلا أحلاماً
ووهاماً . فهم بعد بصيرة من أن يعتقدوا أن يوماً قد أتى قبل وفاتهم تهدأ
فيه نفوسهم وجسامهم هدوءاً تاماً ، ويستطيعون أن يحبوا في عالم مطلق
غير مقيد . والكتب التي تخرج من عمق لشقاء الذي يعرفون فيه ليست
إلا منافذ يخلصون بها أنفسهم من شر ما تأتي .

يأتون في يستسلموا في الحياة من بشاعة كما يفعل أولئك الذين ينجازون
في ثورة وجبن إلى هذه السحابة العذبة الراقية ، ناحية الفن للفن . ويفضلون أن
يُغنى آثامهم بكل ما بقي فيهم من شر ليظهروا بذلك أنفسهم منه . وهم في هذا
على العكس من أولئك الذين يجيدون كتابة المثر الرفيع والشعر البديع والذين
تزداد قلوبهم سواداً إلى سواد ونفوسهم فساداً إلى فساد . فكيف يلامون
على ما يلفظون في كتاباتهم ! لا يمكن أن يقال إنهم مدفوعون إلى ذلك بالرغبة
في العرض ولاظهار ، أو الإيمعان في التلذذ بالذيلة ، أو أن مرجع ذلك
تشويه ملازم لطبيعتهم ، أو ابتذال في فكرهم . إنما يتوخون في عملهم هذا
دقة عجيبة تقدم تعلم الحياة والتمرس عليها على تعلم الفن ومكابدة مصاعبه . وتلك
إرادة تسمم على التذكير أن لا شيء في الإنسان أعظم من الإنسان . وهؤلاء

الكتاب لا يخافون بآيت البيان ، بل يسعون في محاولة يائسة ، ولكنها كرامة ، إلى أن يشقوا لحسابهم طريقاً قد تصير هذه الحياة نفسها في نهايته من آيات البيان .

قد يعترض علينا بما نرى : ما مضاجعة محب الأدب الرفيع في هذا النوع من الكتب ؟ وجميل بلا شك أن يجعل المؤلف من حياته آية من آيات البيان ، ولكن ما نتيجة ذلك آخر الأمر ؟

وقد وجه الكتاب لتقصيرون الخدثون لأنفسهم هذا الاعتراض ، واقتنعوا دون صعوبة بأن آدوم لو أنها غرقت في الدمامة فلي يستطيعوا النظر إليها بلا مشمئز . وغلب الفن أنهم سيقتنون العدول عن الكتابة وإيثار الصمت . وإذا بقيت لديهم بقية من همة الكتابة فذاك لأنهم لم يفقدوا الأمل (وهو دائماً لم لا يهمل) في أن يتجاوزوا ما نؤف الحياة وينتوا بشيء جديد . ومهما تأذوا مما يتبينون من دنس ومن رذيلة في أنفسهم ومن حولهم فإنهم يشعرون (ولعلهم في شعورهم هذا أشد إحساساً من غيرهم) . هذه الصور المضحكة المسوخة بهذا البذخ المفرط ، وبأن السعادة هذه التي قد تمنحها الحياة أحياناً . وهم يرون أني ترتفع فيه وصف القذرة ، أو اتخاذ موقف التعنت المرضي السقيم ، أو تصوير الوسواس الإجرامية أو الجنسية ، لا يزيد في قيمته عن التزين السلف المذموم الذي يظهر في تلك الأقاصيص التي تقرأها الأسر مجتمعة في المساء من حول النار .

على أنهم لا يدعون احكام الحق كله ، فهم لا يريدون أن يتبعهم جميع الكتاب في هذا السبيل ، بل يريدون احترام مبدأ حرية الاختيار . يريدون أن يتركوا مجالاً لهذه الآثار التي نشأها كتاب من أولى البصائر النافذة ، والتي تعبر عن نظرة للعالم وتصور له لا تفرضها الطبيعة بل يختارها الكتاب لأنفسهم اختياراً وهم يعرفون ما يقدمون عليه . فهم يعلمون حق العلم أن جميع الكتاب الآخرين الذين أذعنوا لمزاجهم أو تأثروا بظروف مولدهم وبشأنهم ، كتبوا هم أيضاً كتباً قيمة . وهم لا يؤاخذونهم بتصورهم ولا بإصرارهم على بعض الموارم ، بل يقبلونهم كما هم ، ويقدرهم كتبهم على أنها وثائق دقيقة . فالعالم الذي يصوره مريدث أو جيمس كله عن الطبقة الوسطى البورجوازية . وعالم كلدويل أو دايت كله عن

طاقة الـ "ل" . وعالم ديكس شعوري . واما سترش و بانر كنهانكي . وهو
 ضد جيد و عكس لـ "ع" . وعند تشيكوف فهو دامي . واما كوكا قصة
 كلامي ما وراء الطبيعة . وهو عند دستورفسكي شيئا . وثل عكس مورس
 مارتان دوجار فعالمه يصور الأسرة . واما مالرو يصور "الحرية" . واما هو عند
 لورنس جنسي . ولكل منهم ناحية صدق و قبح و ضرورة .

كما ان هؤلاء الكتاب القمصين يرون في القارئ حرق في رؤيتهم
 التي لا تقتصر على الحياة "الرمية" الحرة و لكنها تعد عن الواقع المذوق . فالتقري
 حين اخذت انما الشمس فيه ما يريته و ما يريته في الغرب من الحياة تجربة
 به . وهذا العالم لطيف الذي يتكلم في سكيب ، وهذا الذي انى هاشم
 الحياة ، وهذه الصور البسيطة نفسها حتى حين تكون انفعالات مغرقة في
 احاسيس ، كل هذا جناب ، بل هو حجب لهذا السبب نفسه . فسترش
 لا ياتمسك مثل هذه الكتب شخصيات محقة ، وانما يريد ان يفتقد شخصياته
 هو بها . ولا نجو ان تصور اشخاص القصة المصم على يد المؤلف ، و
 ان تعدد الاماكن التي يستقون بها و المناظر التي تصفون فيها "معمورة" ملحمة ، و
 بل ان يتشخص الحيوان و لهات وعناصر الطبيعة نفسها . كما لا ينجو من
 يدخله . كتاب في ائمة لا تتعكس الحياة فيها ، الا مشوهة ، قد شوهتها هذه
 المرايا المتحركة وهي مرايا التشبيه الشعري والعبث الغايث ، والمرايا التي انعكس
 اشباح الموتى وظلال الوم . بل لا ينجو من يدفع الى كثر ما ينسجه الخيال
 من لوان الخيال والقتل والخلابة والاضطراب والاروب .

فالتقري مستعد دائما لان يتحد لنفسه بها غير ان هذا (كذلك) يرجع الى
 فاعته او هو مستعد لان يخضع السحر ، و تقهره "السطح" واستهويه "العب"
 من غير حد . ان يتبع تقاري في قصصيين لا يبدون ان يتوجه الى أي
 مكان . ان يقتصر همهم على ان يصوره نفسه وان يحول نفسه من لا رحمة فيها
 ليس لدى هؤلاء الكتاب لعب يدنون به . ليس في وسعهم ان يحولوا الرجل
 او المرأة من مثل من مدح ، و بل فطر من ذهب ، و بل من ورق ، و الى
 حياء . ثمة في الغاية ، و الى قطع منتمن ، و الى اعاب حمار (١) . لا يتفنون . لا

(١) شيء هذا كله من الاقارب والآراء و اني قد قدمت وحديفة .

مقاومة القهر من الوالد

لا يرمي الوالد الستار عن الوجود مصوراً في شكله الحديدي ، بما ينطوي عليه من اضطراب وإخفاق ، من نموح والمحدار ، من حلم وعمل ، من بأس وخيبة أمل . ومع ذلك فلن يستسلم هؤلاء الكتاب ، لأنهم يذعنون لمقتضيات الاخلاص والصدق . هم يلتزمون بما ذجهم عند أي فرد من الأفراد ، في أي ظرف من الظروف ، لأنهم يرون في غير تردد أن لا خطر لشيء ، وأن الحياة لا تستحق الإغراق في العناية بها ، وأن اتساق الحوادث ليس أجل خطراً من الآراء التي تناقض ولا من المدع ولا من الأهواء . وهم من أجل ذلك يضعون يد القاري على سخافة الحياة التي يذعن لها الفرد أو التي يختارها لنفسه ، وغرور ما يبذل من الجهود لتحرر منها ، ومبلغ ما يصطنعه مع ذلك من مشاركة في سبيلها ، بل سموحه الرفيع إلى إدراكه مستوى إنساني ممار ، ثم تبينه في الوقت نفسه أن بلوغ هذه الغاية مستحيل .

فكنت ترى ما في مثل هذه المحاولة من شجاعة ومروءة . فهي حقاً محاولة من صمم على ألا يتخلص من أي تبعة ، وأزمع على ألا يتراجع أمام أي حادث ، أمام أي استكشاف . فلا شك أن هذا التصميم يفيد آخر الأمر في تمكين الناس من أن يعرفوا بعضهم بعضاً .

ولنقرر أيضاً أن في هذه المحاولة مقاومة حاسمة لاولئك الذين يعدلون أنفسهم بوهام السرب ، ويركدون في سحب الخيال ، ويحتجون أن الحياة اليومية تدولهم غير محتملة فينبون لأنفسهم ، في شج ، عالماً صناعياً مفتعلاً ، عليهم مع ذلك أن يخرجوا منه في كل لحظة ، رضوا ولم يرضوا ، لينغمسوا كغيرهم من عدد الله في أنوار شنيعة من القبح تتحرك متحاذين مضطربين في حيرة من أمرهم .

ولنقرر . حاجة ملحة تدعو إلى مواجهة الحقائق المرة ، ويستعان بها لتحررها ، وإلى استبعاد ما يحيط بالأشياء من مظهر خداعة ليصعد إلى حقائقها . ولنقرر آخر الأمر أنها محاولة (أمان) مازالت في حاجة إلى الحدق) لأشياء عالم يشعر بواقع فيه ينطوى عنه من غرابة ومن قوة دلالة في آن واحد وكل من المقاومة هذه ، والحاجة الملحة ، والمحاولة ، يقتضي حتماً شيئاً من القسوة ، ويقتضي بطريقة غير مباشرة شيئاً من الخنو .

ينشأ من ذلك ما تراس إلى الكتاب الذين يريدون أن يروصوا أنفسهم

على هذه الأمور في غير ضعف ، مذهبان في الفن والأخلاق يتصلان بسلوك
 الإنسان ويدعمهما في الأثر المكتوب نفسه تشرح لارفق فيه واشتكار وتجديد
 في الأسلوب الإنشائي تبعتهما ممارسة الحياة اليومية . ولكن هذا الابتكار وهذا
 التجديد في سبيل المحافضة على الحق لا يسترسلان في تصوير الإنشاء الفني على
 شكل مثالي على ؛ فقد يكون هذا التصوير شعرياً ، ولكنه خداع منه ،
 لا يصيرهم في ذلك أن يتهموا بالتقصير عن معرفة سرار الألفاظ والصور ، وعن
 إدراك سحر الأفكار . فلا يقتصرون إذن على درس نفسية الفرد أو الجماهير ،
 بل يدرسون الوجود من الناحيتين الفسيولوجية والبيسيكولوجية . لا يقتصرون
 على كائن حي في نفسه أو على جمعة بعينها ، إنما يدرسون الكائن الحي في نوعه
 وينشأ عن ذلك بصفة خاصة أن هؤلاء الكتاب سيترفعون في إباء عن كل
 ما يشبه أن يكون اغتصافاً للسلطان . فالكائن الحي الذي سيسعون إلى إعادة
 تصويره يجب أن يظل حراً في التصرف في نفسه . فلا ينبغي أن يوجه في التبر
 أو في آخر عن طريق القهر أو بدفع نزوة ، أو أن يستغل لأغراض نظرية أو
 لأهداف مغرضة ، وأن يستعمل لإثبات أمر . كما يجب بلا شك أن يتجنب
 إخضاعه لمراكز وأزمات وحالات من الاضطراب لا تتفق مع استعداداته
 وينبغي أن يكون شخص قصتهم مطابق بالضبط لما هو حقيقة ، ولا يتقدم إلا
 في حدود طاقته . كما أن حياته قد تكون خصبة بالأفعالات وقد تكون جادة .
 باختلاف ما يقضى به مركزه في المجتمع . ومعنى هذا ، على الجملة ، أن من الممكن
 أن توجد حياة لا تقع فيها أية حوادث ، ولا يحتم أن يحتل فيها الحب والبغض
 والطموح والمال المركز الأول كما جرت بذلك العادة في الأدب التقليدي ، وقد
 نعدم فيها الدوافع التقليدية للقصص ، ولا يشترط فيها حتماً تحقيق الروح القصصية
 عن طريق تلك الحيل البالية التي كثيراً ما استغفها كتاب كثيرون متدون
 ناجحون .

ينشأ منها أيضاً أن هؤلاء الكتاب سيضعون بهم يدعون بأنفسهم في
 طريق بملؤها الشك والتساؤل . فهم يرفضون الاعتقاد بقيمة « الفرد » ، ولا
 يحررون على إصدار حكم أو على اتخاذ موقف . لا يظنون ولا يذمون ، بل
 يقتصرون على الافتراض . يعرضون مسائلهم دون أن يستبيحوا لأنفسهم الحق
 في احتكار حله . فلا هم دعاة إلى الأخلاق ولا إلى ما يشق الأخلاق يحررون

على لا يكونوا حقا من المرد قبل وجوده فحين هذا رأى ذلك ؛ وعلى ألا يفرضوا على هذا المفرد عقاباً ، وألا يهو له تعويضاً على غير أساس يحترمون كل ما يقع تحت الحس من عمل ولفظ ، وكل . قد بسبب في عمق الادهان من فكر أو رغبة ، ولكمهم ، إلى هذا ، يعرفون كيف يستقون إلى الضحك من أنفسهم ، ومن تلك المهارل التي تجمع بين الجلد والفككة الساخرة والتي يتنافس بها لاهو والعجيبة بأعين الناس وهم لا يشعرون .

وقد رد حس لفظ أن هؤلاء لكتاب ثم ينضمو في هيئة واحدة ؛ فهم لا زالون قليلين يمكن إحصاؤهم على صانع الدين . ولعل من الأمانة أن نقرر أن أحداً منهم لما يستكمل شخصيته ، وأن كل ما قيل هنا عنهم سابق لأوانه إلى حد ما . ولعله يوجد بينهم في المستقبل القريب واحد على الأقل يتقدم في شجاعة إلى نهاية المغامرة .

ولا يعمينا أن تكون قد ذكرت بصدده هؤلاء لكتاب بعض عبارات غريبة تشير إليهم ، منها : المركب الشعري ، والكتابة القاسية ، والتحليل البسيكولوجي بواسطة المشرط ، وأنتمولوجيا ^(١) الحوادث الحقيقية الضئيلة النافذة ، وفينومولوجيا ^(٢) العمل ، وفلسفة علل لوجود على أساس ما وراء الطبيعة ، وإراز الأشياء واللفاظ ، والصياغة الموضوعية ، وعمل البطولة التي لا غلة لها ، والنطويف الذهني ، والاعتراقات غير المحتملة .

فلا بد مع ذلك أن تكون الضرورة التي دفعتهم في هذا السبيل مطابقة لحاجة عامة ، حتى إنهم جميعاً قد حاولوا تصوير الإنسان على صورة أكثر وضوحاً وأشد رسوخاً من الصور السابقة ، دون أن ينفذوا على ذلك فيما بينهم ، وأن يعتمد كل واحد منهم على غير وسائله الخاصة .

فأعسى أن تكون هذه الضرورة ؟

مجب في مبدأ الأمر أن تبين بوضوح قصور ما بين أيدينا من وسائل البحث البسيكولوجية . وإذا لقينا نظرة إلى البسيكولوجيا في عهد البدايات ، ولنفرض البسيكولوجيا ذات "البعدين" ^(٣) ملك أي مجدها عبد لارويير ونراك (أوفي

(١) علم الحشرات - (٢) علم النواحر (٣) يستعمل الاصطلاح الرياضي .

عنه. حيث الرأى حين أصبحت دت لابعاد الثلاثة أو الاربعة حين استكشفت أدق نظرياتها في « الزمان والمكان » (وتلك التى نجدها عند منتدال وعند بروس) فاننا نزداد ثقة بـ لا يمكن تفسير شئ إذا ضررنا على استبعاد هذه الدراسات البسيكولوجية عن مكملا الفسيولوجى الذى لا غنى عنه .

والواقع أنه لا بد من تثبيت الإنسان بالتصور على ذعدة من القل (شأن الصنف الذى يشرحها الطالب فى قسم الحيوان) حتى يصل الكتاب إلى أن يستخرجوا فى آن واحد افعالات جسمية ونفسية ، وفيما غير متوقع من الألفاظ ، ومن الاضطرابات ، ومن التعقيدات العاطفية ، ومن الحوص المسته ومن الخجمة الغامضة ، ومن العادات المبرية ، ومن الحركات العصبية ، ومن الحوادث التفاهة وهى كلها أمور شدة إفصاحاً عن الطبيعة العميقة لدويته من أى شئ آخر .

وما عدا ذلك فسحق ونكلف للمعان . ولا يعرب نبدع عن بال هؤلاء الكتاب أن سلوك الإنسان يعتمد أولاً على تكوينه الفسيولوجى . وهم يرون أن أقل قرار ، وأن أنه عمل ، وأن الاستعداد النفسى مثل الميل الشديد ، وأن الرغبة الشاردة مثل التعمت والإصرار ، كل هذه أمور خاضعة خضوعاً وثيقاً لحياتنا المضوية . وبمارة أخرى إن من يتحدث عن طباع رديئة ، أو أحلام رديئة ، أو غرائز رديئة ، عن عيوب أو دوافع محركة ، عن رذائل وفضائل ، يجدر به أن يتحدث عن تكوين جسم الإنسان . فليست لمخلوقات شيئاً فى رى هؤلاء الكتاب إلا بأعضائها الداخلية تؤسسها وتبعث الحياة فيها . ومن هنا كان من السخف تقرير مسؤولية الفرد أمام غيره . فمن ذا الذى يجرو جاداً أن يعاقب عمر هضم ، أو احتقاناً كويئاً ، أو قرحة ، أو انحراف فى الصحة ، أو روماتزما ، أو أرقاً ، أو حمى ، أو هستيريا ، أو حالة نمل ! ومن ناحية أخرى من ذا الذى يجرو أن يثيب صحة موفورة ، أو نشاطاً معويئاً مستمراً ، أو نوماً هادئاً ، أو عدم وجود اضطرابات على الإطلاق !... فخر ولبرد والمجوع والمطش والحرمان من الهواء وشدة لهواء وسهولة التمتع بحاسة البصر ونهم والسمع واللمس وصعوبتها ، كل هذه عوامل تفرض نفسها أيضاً على الإنسان وتساعد بفريق غير مباشر على أن يميل إلى السيرة المعتدلة والمسرفة ، و

استنود و الهيج ، إلى الحسد و عدم الاكثر ، إلى الغدوة و احمسة العسكرية ، إلى الاستذل أو لفة ، إلى الطيبة أو الشر

وا احترام مثل هذه المقتضيات في ميدان لإنشاء الكتابي معند إدريس إلى هؤلاء لكتاب لتعمق في محوهم والخروج بها عن الحدود المرسومة لها إلى الآن ، والبدء بانكار المدعى من حوادث ، كما نكر جان بولان المدعى من الألفاظ ، لأن كليهما يضل .

ومعناه تأكيد الحاجة إلى من يقل فيه كل شيء . هذا اللون من القهر الذي استحدثه دوجين ، وكان أول استاذ له في العصور الحديثة موتشي ، يشاركه في ذلك شكسبير ومرفاتيس ، ويعتبر روست وجويس صدق تمثيل له في هذه الآيات .

ومعناه لإلحاح في المضايقة بحرية . منطقة أزاء لمادى التقليدية ، للنس ولكاتب نفسه ، ولما يعرض من فلسفة وما يشئ من دعى . ومعناه الرغبة في التحرر نهائيا من الأوامر الباطلة ومن المبادئ الخلقية الملتوية . ومعناه إيمانة الشام عن الخدع المضنى الذى يخفيه الذين يعملون في إبقاء الإنسان في رقة بدعوى الحياة و لاحتمام ومعناه مساعدة كل واحد في التحرر من الأغلال التى تمسكه ، ويتبين مدى ما يملك من حرية في تعديل حياته إذا ما رغب في ذلك وعرف كيف يتحد مع نظرائه وكيف يثبت في مكانه . ومعناه إنماء حرية المقد التى تشجعه على ألا يذعر من المواضيع . ومعناه آخر الأمر إنكار كل ما من شأنه استبقاء الأشياء في مواضعها والآراء في مخابها والأطمع في عمق القلوب . معناه مهاجمة الراتمين الراضين القاترين المسترخين الذين يرون أن كل شيء يعضى على أذلاله ، والذين يمنعون قلوبهم من أن تتأثر بالظلم وسوء النية لأنهم يفتقمون منهما .

ومعناه كذلك ، في نحو آخر من التفكير ، احتقار الموضوع الذى يمارسه الفن . فكأن بعض الرسامين اتفقوا على العدول عن نوع اللوحات التى تواضعت التقليد عليها ، وعن اللوحات التاريخية والرمزية الكبرى ، ووجهوا عنايتهم إلى استخراج القيمة التصويرية أو الشكلية من رسم قبضارة أو برتقالة أو صدف أو وردة ، بل من رسم مجموعة من البقع والأحجام والأسطر ، معرضين عن حكاية أى شيء كذا يرى هؤلاء الكتاب أن لهم ، في الميدان الأدنى ، أن

يهموا ما كان مدينا للإطار والقصة والعقدة والموضوع ، وأنه يجب عليهم ، في
عكس من ذلك ، أن يعمنوا في تصوير الشكل لأبسط نفسه ، ولأشبه
(مموسة كانت أو غير مموسة) وعمفة حديث ومذكر ، والرواة ،
والمعادلات ، والأضواء التي تكشف عنها اشغالات الأسماء في البيئة لاحتفاع
والذهنية التي يضطربون فيها .

ولنسجل مع ذلك بعض التحفظات .

فهما قوى البغض للجزع من الواقع ، واشتد تردد على الأصول السخيفة
لتي تنظم ما يقال وما لا يقال ، ما يعمل وما لا يعمل ، ما يكتب وما لا يكتب ،
فقد نستطيع أن نتبين بوضوح مقدار الضرر الذي يصيب الفن من الإصلاح
الذي ينشده هؤلاء الكتاب . فلا شك أن الرغبة المسننة في أن يقال كل شيء ،
قد تستتبع ابتذالا في اللغة ، فتتخطئ الآثار ويقل حضاها من النقاء . وحسبك
تجريف اللغة وإفسادها كافياً لانحراف الأجيال المقبلة عما كتبوا .

ثم إن الكتاب إذا استبعد الجزع من الواقع حين يكتب ، فانه يتعرض
للحدة من ميدهاته في الشعور وفي التحليل النفسي ، كما يتعرض للإبعاد في
التحليل المضمون والإسراف في القحة ، ولا ينكر قصص الواقع خطار مثل
هذه المحاولة . قد يؤخذ على بروست الإسراف في الإذعان للغة الأكاديمية
الرسمية وفي التقيد بشكل الجملة (وهذا الإذعان يحد بلا شك حظه من التوفيق)
ولكن يؤخذ على جويس من جهة أخرى أنه حين حرص شد الحرص على أن
يواجه الحوادث ويستقصيها ويؤدريها ويقول كل شيء ، قد صور الإنسان
والعالم المحيط به في صورة تنحل آخر الأمر إلى عضائه الداخلية وإلى عقله .
فكل شيء عنده مركز في الخواس وفي العقل . وعبثاً نحول أن نستكشف في
كتابته عاطفة أو ابتهاجاً أو حالة من حالات القلق أو طموحاً نفسيّاً أو تردداً
شعورياً يشبه ما تلقاه عند كتاب بلغوا حظاً كبيراً من لفة والدقة أمثال
بوشكين أو أرلان . فعند جويس تطفئ السخرية وبراعة الجافة لفكر على
أناثر واضطراب النفس وتسودان دون غيرها ، بحيث نشعر شعوراً جلياً أنه لم
يصور الإنسان كله بل نقص منه شيئاً .

قصص الواقع بمعنى إذن أن يبدد السراب الذي توجد أساطير لواقعه .
وأن يريد فكاً يصل بدقته وحازمه وإفصاحه إلى قعر الأساطير الحديثة . يريدون

مقاومة القدر من الواقع

يُحفظ لأمط حياه وودوده دون أن ينتقص من ضرافته أو عرابته . يريد فمَّ
يحاول أن يمدد هذا الإبهام السائد في الأذهان ، فيهاجه في غير تردد أو هوادة
تسلط الألفاظ والحوادث ، ويكافح في سبيل إزالة الكبوس الذي يوصل الفكر
ويفرقه ، لتقصر المسافة بعض الشيء بين الحق وبين أولئك الذين يلبتمسونه في
الظلمة منذ عهد بعيد ، أولئك الذين عقدوا آمالهم بالحرية .

محمود جبرانه

قلها إلى العربية الدكتور توفيق شعاعه

مقام

كان ذلك في القطار الذي قادم من روما قاصداً إلى فلورنسة، وقد جئنا في مقعد مقصورة من مقصورات العربة، وملاً المقاعد الخمسة الأخرى مسافرون آخرون أكثرهم من السيدات، من أوقع أنه احتل كل المقاعد السيدات ما عدا مقعدي وسار القطار مسرعاً في الطريق إلى فلورنسة، وكان الجو حاراً والشمس ساطعة والسماء صافية رضاء عميقة لرفقة، يقطعها حياًماً قزح من السحاب الأبيض المكاسل، وهو يتحد شكلاً غريبة، فمن جسد نمر إلى رأس مارد، وأحياناً تأتي في الصفاء غيمة داكنة حربية تجرى بسرعة ولا تلبث أن تغمر القطار بدموعها ثم تهزول في طريقها، فتعود السماء صافية باسمة. وكان المنظر يكاد يكون ثابتاً بأشجار الصفصاف الطويلة تعد عناقها إلى السماء. وهو منظر يعتبر رائعاً في أي بلد آخر غير هذه البلاد موطن الجمال الطبيعي. ولذلك كان الجالسون الستة لا يلتفتون إلى السواقد إلا قليلاً، وأخذ الأصدقاء منهم، في حديث طويل.

كان الأصدقاء هؤلاء، فتاتين دخلتا معاً إلى القطار، وجلستا ساكتتين في مبدأ الأمر ترقبان السيدتين الجالستين أمامهما في انتباه، وهما سيدة عجوز جاوزت الكهولة إلى الشيخوخة، وسيدة نصف تشبهها، فهي إمامنة أو أخت صغيرة. ولأرب أن الفتاتين كانتا ترقبان ملابس السيدتين وحلاهما بعين نسوية ناقدة، ثم أخذتا في الحديث بصوت خافت، ثم ارتفع صوتهما شيئاً فشيئاً. وكيف يكون الحديث خافتاً ونحن في إيطاليا!

لم أكن إلى تلك اللحظة مصغياً إلى تفصيلات حديثهما، إذ كنت في شغل بمطالعة بعض الصحف الإيطالية، وآثرت قراءتها قبل أن يصبح الحديث عاماً بين المسافرين، ففي إيطاليا تتمتع القراءة في القطار ومضت ساعة، وحدث ما كنت أتوقع، وتحاذت الفتاتان الحديث مع الرجل الحائس أمدى، وكان هو النادى بالحديث؛

د. بدت إحدى الفتيات ملاحظة وأبدى هو ردًا سريعاً مقابلاً، فكان صحك .
كان جواباً

ريب أن قد حاز الوقت لأترك حريتي، ولكنني لم تركها في النوم، بل اتخذتها
حجة لتأمل في الجالسين، وفهمت في الحال مددما الرجل لدى ممى إلى الدحل؛
فقد كانت إحدى الفتيات صبوراً لوجه، وكانت الأخرى غزلة لعوبا. أما الرجل
فقد قدرت له من العمر ما يقل عن الثلاثين قليلاً، وهو ضخم الجثة متوسط
شمة ذورس غرير الشعر بين الصفرة والحمرة. ولقد كنت أضمه من الجلس
لحرمانى لو لم يكن يتكلم الإيطالية في لهجة بعمدة عن لهجة لأجانب. وليس
مستغرب أن تجد رجلاً أشقر في إيطاليا وأشقر من الرجال بين أهل شمال
إيطاليا كثيرون.

وانتهت للحديث إذ كانت إحدى الفتيات تسأله من شيء، ورض هو
وليس هذا السؤال في إيطاليا، إنكاراً لجنسيته الإيطالية، وإنما هو سؤال عادي
يقصد به معرفة الإقليم، ففي إيطاليا لا تزال النزعة إلى استقلال الأقاليم قوية.

أجاب الشاب: إني من نابولي.

قالت الفتاة: نابولي؟ لا أظن!

قال الشاب وقد أخذ يمد وينغم كلماته عن طريقة أهل نابولي في لهجتهم الثابتة:
أؤكد لك أنى ولدت ونشأت في نابولي، وأعرف جبلها كما أعرف أعناقها. وأنت
من مولى تكونين؟ أجابت وقد ذهب منها كل شك: إني من أهل فورلى
وإن كنت أقيم الآن في فيرزي.

قال الفتى: إنها إقليم الورود، لذلك كانت حدود الفتيات متوردة. ضحك
فتاة وقالت: تنس للرجال!

سأل ضاحكاً: لماذا؟

قالت: لا يابون إلا العبت

قال: إن الرجال يعبتون بالقول، ولكن الفتيات يعبتن بالقلوب، وضحك
بفتح وشاركتهن في الضحك.

وسأله السيدة المعجوز: كم بقي من الوقت للوصول إلى فيرزي في فلورنسة.

أجاب: لا أعرف فإني أنزل قبل ذلك.

وتدخلت في الحديث: أظن أنه بقيت ساعة ونصف ساعة.

قالت إحدى الحيتات هذا كله

قلت : ليس كثيراً مع أن القطار سريع .

وعندئذ تبين لي أن الحق كان يتبين لي منذ زمن وسألني : وماه وطنك أنت ؟
قلت له : مصرى . وحينئذ رأيت في وجهه شيئاً من الإنكار ، وإن لم تفش عيني تلك السحابة الخفيفة التي أخشاها ، والتي تعبر عن شعور كامن في نفس الأوربي ، عندما يكتشف أن محاطه من غير الأوربيين .

لم رأ في عيني تلك السحابة وإن رأيت شيئاً يدل على الإنكار والحيرة ، ولكنه لم يحرك علي أن يوجه إلي سؤالاً كان يريد أن يوجهه .

قال : لقد قمت في الاسكندرية ستة أشهر ، وأنا أعرف مغانيها وأعرف لغتها وقال بلغة عربية لا بأس بها : سلامات ! أزيك ، فحسب . الله يسلمك .

وحينئذ لم يبق يد من توجيه سؤاله :

— هل أنت مسلم ؟

قلت : نعم !

قال : هذا غريب !

قلت : وما وجه الغرابة ؟

قال : معذرة فأني لم أكن أظن أن المسلمين يعرفون اللغات الأجنبية .

قلت : إذا فعدل عن هذا الفن بعد الآن ، فنحن كالأمم الأوربية فينا من يعرفون وفينا من لا يعرفون .

ودار بيننا حوار رقيق في جمال السيدات وتسلطنهن ، وكنت قد عتدت لمزم على سؤاله عن نفسه كما سألتى هو ، فقلت له : هل أنت حقاً من سكان نابولي ؟

أجاب : ولم لا ؟ فسألته : هل أنت تاجر ؟ فجاب إجابة مبهمه في مثل هذا النوع من العمل ، ولكنني كنت قبل الآن مؤلفاً ومن قبل في سبانيا ، وقد وضعت كتاباً عن تلك الحرب ، وأود أن أهدي إليك نسخة إذا قبلت الإهداء .

قلت : شكراً لك ، فأخرج نسخة من كتابه وقال لي : ما اسمك الذي أكتبه في عبارة الإهداء ؟ وكأنه كان يود أن يتأكد للمرة الأخيرة أنني مصري ومسلم .

وذهبت إليه باسمي « محمد عادل فاضل » . فكتب عبارة الإهداء ثم قال :
« الثمن عشر ليرات » .

فخرجت تقودى وناولته القلم ، وحدثت الكتاب وقرأت عنوانه وسمعه
سنة بين امر . وحلست قلب فيه لحظة ثم وضعته في حقيبة ملائسى .
من ذا الذى يستطيع أن يفتح كتاباً في فلورنسة إن في كتاب الدهر غنى عن
القراءة . فهذه المدينة من المدن غنية التي لا يحتاج المرء فيها إلى مجهود فكري
كي يعود إلى الزمن الحالى أيام مدينتى وسافونارولا ، وعصور رجال الأدب
ولمن . فهنا موملى دانتى ، ومكيافللى ، وهنا موملى جيوتو ، وميكلائجلو ،
ودوناتللو . لتقطع ساحة قصر الحكم ، أليس ذلك المكان الذى كان مسرحاً
خوادم فلورنسة وتاريخهما ، ألا تتمثل في الحال تلك المنصة التى قيمت لإحراق
سافونارولا ، ذلك الراهب الطاهر الذى دانت لدعوته المدينة حكمها بيد
من حديد وهو يعمل على الإصلاح ولكنه نسي أن خطبه الخلافة لا يمكن أن
تخضع الناس وتقلب المدينة بيعة كبيرة واحدة ، وهى مركز الثراء والترف والقس
ونسى أن الدين والزهد والتقشف شيء ، والكنيسة نعزها وسلطانها وراثتها
شيء آخر .

إنك لتسير في أصيق ممعطف وتدور حول ضلّة زاوية فلا تجد إلا ما يذكر
تاريخ حافل أو باسم خالد . وتلك الآيات الفنية الملقاة في الشوارع ، لقاء ، هل تجد
ما يعائنها في نى مكان آخر ؟ فأنى كتاب أدب تقرأ لتدع مرورك على الجسر القديم
مرتين وثلاثاً بل مائة مرة ! وأنى كتاب تقرأ لتدع زهرة إلى سان منياتو أو
ربارة لقصر بيتى و معرض الصور في الأوفيزى !

لنختار مدينة أخرى للقراءة ، فما كانت فلورنسة بالمدينة الصالحة .
الواقع أنى ما وطنت أرض فلورنسة حتى نسيت الكتاب وصاحبه ولم ذكره
إلا بعد نصف شهر ، وكنت قد انتقلت إلى مدينة بيروجيا القديمة وشبهت من
التفرج على آثارها واستيحاء تلك الانتقامات الدموية بين أسرها .

كان اليوم حاراً بالرغم من علو المدينة وجنومها فوق قمة جبل وقد تناولت
طعاماً شهيماً من المكرونة والشواء ، وشربت قدراً من نبيذ الألياتكو ثم ذهبت
إلى غرفتى فشعرت بالنعاس فسمت قليلاً ، واستيقظت وأنا أشعر بأنى اصح
أكون . وبين يدي من الزمن ما بعد الظهيرة دأكله فإذا أفعل ؟

قد تستطيع أن تذهب إلى متحف أو كنيسة، وقد تستطيع أن ترى في دار كتب الجامعة، وقد تستطيع الخبوس في قهوة تناول من المثلجات ولا يوجد مثله في بلد آخر. لا! إنني أريد قبل كل شيء الهواء والشمس، ثم لا مبالغ فيه ذلك من قراءة تمدد يدي نحو الحديقة وتناول كتابا من الكتب الغنية التي أحملها معي وكان هو كتاب رقيق السفر.

مرت الهوبي لأختار مكانا على مقعد حجري عند السور القديم الذي ينتهي ببناء الجامعة. جلست نظر إلى لوهد العميقة ترتفع وراءها الجبال، والمطر تحجبه غلالة شفافة من صباب أروق، ثم بدأت فطر ورق الكتب وفراودة وتضمن في سكون إلى منظر مائي قارة أخرى.

لم يكن الكتاب كبير القيمة، فهو يحتوي على تفصيلات عدة عن مختلف الفرق التي كانت تتنازع وتصل في الحرب الأهلية بأسبانيا من أجل مبدأ الجمهورية أو الشيوعية أو القوضى أو إن شئت للدينية، وما بين هذه الفرق من تنافس وتناحر وهي أمام العدو المشترك. والكتاب يحتوي على حشد من المعلومات ولكنه كتاب ميت لأنه كتب بلا عقيدة؛ إذ الكاتب لا يهتم له إلا أن يمس نقائص هؤلاء الجمهوريين الذين سماهم الحمر، مع أنه منضم إليهم. وهو يفعل ذلك لأنه يريد أن يعيش ويكتسب في أرض إيطاليا وفي ظل الفاشية. ولا أعتقد أنه كان أكثر إخلاصاً للفاشية.

على أن ما أسترعى انتباهي بنوع خاص هو المقدمة التي شملت قراءتها في مبدأ الأمر، فإذا لم يعجبني لكتاب عدت إليها: «كنت وأنا هولندي، أعيش في باريس كنت من الشريرين أمثالي الذين يذوون إلى تلك المدينة وقد عضني الجوع وضقت في سبل لعيش، فإذا بمن يغربني بالمال فأذهب معه إلى أحد المكاتب المنددة المستشرة في باريس، ونحترق في سلك المتطوعين للقتال مع الحكومة الجمهورية القائمة في اسبانيا».

في هذه العبارة فقط رنة الصديق بين جميع آراء الكتاب، وحينئذ تمثلت لي صورة ذلك الفتى الهولندي المتغمر بوجهه المكتنز باللحم وشعره الغزير بين الصدر والاسرة وجسمه القوي الضخم، ذلك الهولندي الذي عاش في باريس، ولعله زعم أنه فرنسي، ثم ذهب إلى اسبانيا ثم تركها وجرب الحياة في مصر، ثم هو في إيطاليا يزعم أنه يعضد ومن هل نابولي ووز كل هذه الأحوال يتشكل للحياة

مفرد غير طابى وما هو عربى من مثل هذه الحياة الخطرة . الغنى والثروة ؟
 أم لذة الاخطار نفسها ؟ ربما كان هو نفسه لا يعرف مرماه . ولعل من هذه
 الحياة المليئة بالتقلبات هى أكبر غم فى الحياة نفسها .
 ودارت فى خلدى خواطر أخرى ومساائل لا تقل خطورة عن لغز الحياة
 والموت ، وإذا بى أنتبه فجأة إلى الشمس وهى تغيب من وراء الجبل وقد حمىها
 لغطاب فلم يظهر غير قرصها دون الشفق ، وقت التمس مخرجا من أفكارى اتى
 خذت نظلم من جوى النفسانى أن أفتسد إلى القهورة التى بين الناس وأرشف
 شرابا ذا مرارة .

من محمود

جيترا

مسرحة في فصل واحد

المشهد الاول

جيترا : أتت رب السماء الخسة ، يله احسن
مادام : إلى أما مولد الكبر في قلب الخالق . ما من ربيب يروابط من المودة والآ
حيوات الرجال والنساء .
جيترا : أدري ، أدري . ما ذلك إلا . وما تلك الروابط . ومن أنت الآخر يا سيدي ؟
فانت : صديقه فاستنا ، ملك النصول . إلى الموت وهمم ليحترمان للعام حتى المظ
ولكن أدركها ، وأما جيترا ، أنا الشاب الخالد .
جيترا : إلى أنتي لك يا سيدي . لاه فاستنا
مادام : فما بذكر الخطير يا بنت طليحة القرية ؟ ماذا تدعين بالهد والامانة شيبك احسن ؟
لا يليق ببادة الحب قربان كهذا . من أنت ، وماذا تلتصين ؟
جيترا : أنا جيترا ابنة البيت الملكي من مديبور . وقد من الآلهة شيبا رحمت
لاهية علي . قد دى الموت فوعدهم أن يرفعهم سلاله من الأبناء المذكور .
مقطعة : ولكن اسكنة المقدسة محبت عن تغيير شرارة الجادة في رحم لي
مع أي كمت لي فماد حشت قوية لمراش كمت
م : وذلك ادري دت أدري إلى أن بشئت تشقة العين . فقد فلك ربي القوس
وواجبات الملك جيترا
جيترا : هذا دى من أحبه تربت ربي الزحل . وبسدت عرلة مرأة في حذرهم
وأما أحسن مكر عسا ، في جيترا القلوب . ما يدى لتقول على طي القوس .
أني لم أنعم رماية كيوييد ولا سحر العيون .
لا يحتاج ذلك إلى تعلم . أيها طليحة . إذا لمي نفس عملها غير معلقة . وعند
أصيب في الصميم من قلبه الخبز اليقين .
م : لقد خرجت ذاك يوم متعبين ، فحجوات وحدي . هالتهت إلى العامة على صفة ش
مورا فريست حة دى في دوع شجرة . دحت في حرج كفيف بها . مقتب
في طي ، فوجدت مشي صمد مشدح . بقدر في حلال دلام لأعصار . وكانت أدري
الشعر تهر القصر فاحترت حين بيئت يذة إلى وجل قد اضطلع على مراش من
الورق اليابس ، دلتها طرفي ، فطكت منه بحرفة أن يقضى سائبا عن الطريق
ولكنه لم يكثر ، فوخزته عندئذ بالطرف الحاد من قوس في شيء من الاحتار

منع من نوره قائما . وكانت أطرافه مستقيمة وفيه . فكانه سال من الله
قد اندلع من كومة من الرماد ، وارتست على رواقه سنة ثمانية قد تكو
من جراء رؤيته طلعت الصبابة . فأحسست حينئذ - أول مرة في حياتي -
حسن امرأة ، وشعرت بأن رجلا كان أمامي .

في السعة لمباركة أعلم الرجل والمرأة هذا الدرس البليغ ليعرفا نفسيهما . و...
بعد ذلك ؟

وفي نبي ، من الوجلي والتعجب سألته قائلة « من أنت ؟ » فاجبت : « أنا
أرجو ، من بطن كورو العظيم » . فعمدت حمود الصنم ، وهي أن آخر
ساجدة له .

أكان ذلك حقاً أرجونا ، معبود أحلامي ؟

أجل ! فقد طرق سمعي معبد أمم بعيد أنه نذر على نفسه التزام العزوبة
ثلاث عشر عاماً . ولقد طالما سافرت طموح صباى إلى تحفة ، ودعوه إلى مبررقي
لرمح لأبيرة متكررة في حولة وحيدة فانت له رعتي في مصاداته بالصلاح .
أه ، شيب القلب الاحق ، إلى أي مدى ذهب دماؤك ؟ أوامه لو أتيتني أن
أبدل حفة تراب تحت قدميك بشاي وثمانية كاه ، إذ كانت تلك نفمة عطشي
أنت أدري في أي لغة من الأفكار كنت عريضة حب رأيه تخليق من الأشجار
بها الحناء لا حبيته ، ولا كلمته بكلمة . ولا طمعت منه الصبح ؛ بل
وقفت أمامه وقفة امرأة متوحشة ، إذ كان ينطلق منك زائراً .

في اليوم التالي جئت على نيب ارجال ، وتحت القلائد والحلال والأساور .
أجست نوا من حبيب أرجو . فكان هذا الذي لم أعتده يحتاج
مري لرائل . بلا في دبرت في البحث عن سؤلي فاجبت أرجو في معبد طاعة
الاله شيقا .

فجئت على القصة حتى سبتم ، هي أنا الاله من الذهب ، وهي ذهبة من معدن الأعر
ست نذكر ما فت وما تنقبت من أحوبة عليه . لا بدك من صبا ، فلا تنلني ز
فمن عيبك الأسر بخدا غيره . لقد أقمس العار على من من لصاعقة ، واكنه لم
يستطع أن يحطني ، ها أنا ذى في غاية قسوة . وفي شبه رجل تامر كانت
قلامة لأخيرة . لقد نذرت العزوبة في مدى . لست أصبح أنت أكون لك
وجاً . كانت تلك الكلمات كالآر صخرة من شدة لاجد ، تحرق ذنبي وأنا في
طريق قافلة إلى الدار .

مبا لنذر الرجل ! بك - وأنت به الحب - لتعرف يقيناً أن قديسين وحكماً
لا يحصون عدد قد وضوا الثمار التي جنوا من حياة التشفط الطويل عند
قدى امرأة .

فد كسرت فوسى ، وأحرفت سبدي ، كرهت در عى الفتوة المنة لمدررة على
القوس . فبا أيها الاله ، يا أيها الحب ، لقد دلت زهو رجولي الباطل إلى
لأرأس ، وسعنت دريني التي هي درة الرجا ، فسقط أبرها دليمة عند قدميك .
صلى الآن دروسك مددي قوة الصيف ، أعطني سلاء الاله المزلي

مادانا : لا يكون رفيقك . زحف . هـ هـ ردي رحوه سبر بين يدك لسمع منك
حكا نرده

جيه : لو انعم لي مجال الوقت لاستطعت أن أحضع قلبه شيئاً فشيئاً ، فبر استماعة بالآلة
كنت إذا أزم حنانه علي في رفيقه ، وأقود حياض مركبته لحرية الشرود ، وأقف
على حراسة باب خيمته أثناء الليل ، وأعينه في كل واجبات الحديقة الخليفة ، منقذة
الصمصاء ، ومقيمة قسطاس العدل حيث يحل . لا شك أنه كان سيحيي يوم ينظر
إلى فيه ويتعجب قائلاً : « من هذا الغني ؟ أهل عدل من عبيدي الذين خدموني
في سالف أيامي أفتني اقتناء ؟ » ثم أتى الصالحه ؟ « ما المرأة التي تقدي بصمت
حشة قنوطه . وترصمه بدعونه في الليل ، وتعطيه إبتسامتها لصديرة في النهار .
فكأنها أرملة منذ الولادة . لن تسقط زهرة مني على الأرض قبل أن ينسحق
نمرة إلا أنه لكي تشكك المرأة من تعريف الناس بحقيقة نفسه . وجههم عن
حترامها ، فطبعه أن يسمى إلى ذلك جوار عمره . لذلك فقد وقعت بآيات أنت
« إلى الحب . قهر العالم . وسارت أنت : « فيها لاله الغني قاستا ، إلى الندوة
أومض من حسمي هذا الحور الآبد . هـ القبح الشبيه . واجملاني يوم . وح
جيلة ، رائحة الخمال ، في مثل حال الحب المزدهر في قضي شأه . هـ إلى من له سكة
يوم واحد قصيراً من الخمال السكامل . « السكا في الطاعة في الأيام الذهب

مادانا : لقد استعجت دعاءك يا أيتها السيدة
فانستنا : لا يوماً واحداً تحس . بل سنكسرو روعة أدهر أربع أطرافك سنة كاملة

المشهد الثاني

آرحوه : اكتسب حلم . ثم كان ما رأيت عند البركة هذه حقيقة : لقد كنت جالساً على
خيمة مسرماً الذهن في السنين الماضية . في خلال المساء المائنة ، حين بدت بين
صيات ورق الشجر الخاتم صفاء هيئة من حماري اتخذ شكل امرأة سوية التكوين .
وقفت على لوحة بيضاء من الرخام عد صفة الماء ، فكان قلب الأرض كان يحس
شدة فرح تحت قدمها البيضاءين العذرتين ، فحسنت أن أقفمة دنها منقشمة ، من
الخط في الهواء ، تتشعب ضباب العجز الذهبي من أعالي الرقي الشرقية السكاس
الناج . وقد تحنت على امرأة البركة الوصفية ورأت انعكاس وجهها عليها .
بست مخزونة . ووقفت حعدة . ثم نسجت ومدت ذراعها اليسرى إلى شعرة
« سمعته تحركه لأنه على اعتم . وتركته يسبح فحصل لي لأرض عذبة . قدمي
« كنت عن صدره . صرت إلى ذراعها فكأن في أحسن تكوين ، في خرقتي
من عنق عتيق . ولما حنت رأسها رأيت بصرة شدة . وظلوة ذمهم
« بصارتها ولو بهاء ردي . فاشرق وجهها بشارق السرور والعجب . فكأنت
فتحت عيني في الصباح على « أعم اللؤلؤ البهيم نفوق جبهتها ورأت صورتي
في صندقة أسماء — تقضي سعادة نهارها فالتعجب ؟ غير أنه بعد لحظة عاصت تلك
الاستدانة من وجهه . وظهرت في عنقه غشيه الخزن . ثم إني عقدت صفارته

1

وأشدت الحيل على ذرائعها، تحسرت جهة الطاقة وسادت لها مساء حيا نفس
 في فلاة... وقد جردت... سيرة من... شمس عور... منعه عين...
 ما لبث أن زال - ولكن من ذا الذي يدفع الباب؟

[تدخل جيترا في زى امراة]

[illegible]

محمداً ، فإنا نؤمن بأن محمداً ربهنا هذا ، فبكل تعظيم ، و حكمة عن نفس البشر
جميعاً هذه الملاحه ؟

جيسه: انا اهم لي تلي امنية خفيه ، اصلى من اجل بلوغها لارب شيئا بكل يوم .
روحوا: وجبر هذا رضى الله عنك يا سيدي ...
 من اننى لم ادر شئ مما فى قلبك الا انك قد علمت اني
 سوف اسلمة فارجو منك ان لا تنسى اني قد علمت اني
 فقولى ماذا تعلمين ومن تبغين ، افض اليك بكل ما عندى من العلم .
جيسه : من اجبت عنه ، معروف لدى الجميع .

إنه منحدر من أرفع أرومة ملكية . إنه لأعظم الأبطال .

الكاذبة . فالتهمة الكاذبة تنفجر على الآلة انتشار ضباب أول الفجر قبل
الشرق . بعض من ضباب قبل حقيقه ، سينسى فيه من دلالته ، انسى
تدخين عنه ؟

آرہو ما۔ کوروس الملکی ارفع البیوت للملکۃ فی العالم وأہمدا شہرہ ؟
 بیت کوروس ؟

ثم ألم نسمع بأعظم اسم في ذلك البيت الذي طبقت شهرته الآفاق ؟
 دعيني أسمع ذلك من شفتيك أنت .

من قلى لازى بمجهرته الكاذبة في الزنا

من قلبى لارى بجوهره الكاذبة في التراب .
 آرزوها : كبرياى و زيبه و باور و شادى و ...
 ولا تبعده عن قلبك رحمة ، لانه جان عند قدميك الان .

جيترا : كنت أرجو ناء
 أرجو : نعم ، أنا ، الضيف الطارق بابك ، الطامى ، حساً .
 جيترا : إذ فاس حنان أرجو ، قد نذر لزوجة على معة حرة عمة نساء .
 أرجو : ولكنت قد بددت ندى تبيد لمر نذر ايرى فى الأملام .
 جيترا : صه يا معار ، ما ندى رنت فى حنى كدنت نفسك ؟ عمن تحت سهاين العبين
 السوداوين ، وهاتين الدرعين الرصاصين ، كنت نادلاً لها بمن استقامت . إلى
 على عذبة ، لست بك نسي ، فلا ريب أن هذا لن يكون هو الحب ، وليس هو
 أسمى احترام ، من صرعة . به من دواعى لأسف أن هذا التكرار العاجز ، أعنى
 الحسد ، يعنى الانسان عن نور الروح الحاله . لقد عرفت الآن ، أصدق معرفة ،
 أن صيت صولت يا أرجو ، صيت مكاوت .
 أرجو : عذ ، من شعر بقعة البيت لن نفع ولا معار باشجاعة . ويحيل إلى أن كل
 شيء موهوم ، وإنك أنت وحدك الكاملة . أنت تراه هذا العالم ، فاة النايك
 كام ، وهدف مساعى حيمه ، أنت امرأة الوحيدة . من فى الماء غرك لا يعرفون
 السس لا يبعده ، فى حين أن رؤيتك حصة واحدة هى رؤية السبا الاعلى صاه
 وللأبد .
 جيترا : احبرناه يا أرجو ، أنت ؟ هذه ، وإنما هذا خداء إله ، فذهب ، اذهب
 عنى ، عنى . لا نمارك الكذب ، ولا تبتدلوهم الخادع بيت المقيم . عى ، عى ، عى

المشهد الثالث

جيترا : كلا ، مستعجل ، مستعجل مجابة تلك النظرات التى تمسك ندى الرء إمساك يدي
 روح جاتع فى داحله . مستعجل الشعور بأن قلب الرء ينبض فى داحله نبضاً جاهداً
 ليقطع نياطه ، واستتعت الصرعة مؤلمة لتسرى فى البدن عه ، ثم بصرفه صرف
 شعاع . كلا ، لن يكون ذلك

[يدخل مادانا و فاسقا]

آه ، يا إله الحب ، ما أروع هذا الملهب الذى ضربت نفاقه حولي . فانا أشهد
 وأحرق كل ما أمس ؟
 مادانا : أريد لأعرف ماذا تم البارحة ؟
 جيترا : لقد اضطجعت فى المساء على فراش من العشب أثرت عبه أوراق زهر الربيع ،
 وتذكرت جميع ما قد سمعت من بحب إصره أرجو ، بحالى ، متوشفة قطرات
 العس لى جزئته طول النهار مديد فصرة مقطرة ، وقد سبت تاريخ أبهى اللة ،
 نسيان تاريخ دوار حياتى الأولى . مشعرت شعور الزهرة ، ولم يبق لها غير سنان
 هارة لتسمع به جميع المداهنات الطائفة والمسات الحافزة من النايك ، ثم تقضى
 طرفه ونعنى نويها ، وتسقط بنفس واحد إلى التراب بغير صراخ . وبذلك تنتهى
 القصة القصيرة ، قصة اللحظة الكاملة التى لا ماضى ولا مستقبل لها

جيترا

نست : قد تدهر حياة الجد غير المحدودة ثم تنتهي في صباح واحد .

مدانا : كمن لا نهائي في مدى أغنية ضيق .

جيترا :

لقد دفعتي مداعة بسيم الحوى إلى أحضان النوم ، وتناحلت على حسي ثلاث صامتا من طله « ملاني » الزاهرة فوق راسي . فحارت كل رهرة من عني شعري وعلى صدري وقدى لمعها في شفتي . وقد أعنت ، وفي ألي أعماق نومي بدعرت نمتة كأن نظرة فسية متعقبة أشبه ما تكون . أصبح مستدقة من الله قد مست بدى العاص ، فبهتت فرأت العاص ، وأول عني . وكان القمر قد فتح إلى الرب ولاح من بين أوراق الشجر لدرج نحوة لمن انفس المركبة في هذا الأمان الشرى السريع الكسره . وكان احو معطر ، وسكون البين مسوعا من صرير الحناد ، وكانت صور الأشجار في الحركة تغير حرك . فوقف وعصاه في يده مديد الغامة ، مستفيها ، ساكنا به شجرة من شجار البامة . وقد حين إن حين فتحت عيني أن قد تعظمت بيني وبين هذه حياة العاص ، ونى أولاد ولادة حالية في أرض من احوال . وقد سقطت ، إلى ندى سقوط نيات محولة الزناق . وصحت بداءه : « أيها حبيبة ، يا أعز حبيبة ! » فحدثت دور حياتي للنسبة في واحدة ، ولبت بداءه قشة : « حدى عني غلاي بلات » . وسطت له ذراعي . وكان القمر قد عاب وراء الأشجار ، وبسب غطاء ظلام لف شمل الكون . وكانت السماء والأرض ، والزمان ومكان ، ومسرة والأمان ، والموت والحياة قد غاضت جميعا في وجد غالب .

ومع أول شعاع من السور وأول لحن من الطير استيقظت وحلست منكئة على فراعى الحبي .

ولست هو نائم ، وقد ارتسنت على شفتيه انسامة غامضة كثرها هلال على صفحة الصباح . وكانت حمرة نور الفجر اوردية تنساقط على حسنه الكرم ، فتنحرفت وقت وأمطت أوراق الكرم التي حجت عن وجهه أشعة الشمس الساطعة عبه . وثلت حولي مرأت الأرض القديمة بعينها ، فتذكرت ما كنت أن أكون ، وعدوت مثل طيبة مرث مدعورة من صدى في ممثي عبة قد اسدت عبه أرهاق « الشمال » . وقد انبعت راوية قصة باست مدعية بكت يدي وحبي ، وحولت أن أبجش بالبكاء والمويل ، ولكن الدموع لم تفرق في عيني .

والأسد يا أبة البشر به لقد سرفت من مخزن مقدس الشراب السماوي العطر ، وأنزعرت به لينة أرضية ، ووصفتها في يدك للشرب ، ومع ذلك هاتدا نبع صرخة الألم هذه !

جيترا :

من ذا الذي شر بها ؟ لقد طفت غمة المني في حياتي . وهي وصالة الحب الأول ، إلا أن ذلك انزع مني . وسيفط عني هذا احد استثمار . هذا الزكس ابدى بكنسى ، أحدا معه أثر ذلك الانحد احو . سقوط أوري الزهرة للمرأة . وستعس المرأة الحنلى من فقرها العارى ماكية ليل سار . يا له الحب ، إن هذا للظهر العين ، الذى يرافقي مرافقه الشيطان ، يلبنى كنور الحب جميعا — وهي جميع القبلات التي يظأ على إليها .

جيترا : عليك أولا أن تنزل في القاع الذي نعد في تنقه الآن ، هل أنت واثق تنقه ؟
 من القبي قد تنقر لى س في صلاه في حدة إلى أن يصاد : كلا ! ليس كذلك
 هذا ادعوا ان لا تنزل تنقه الذي ما يكون منك مالا . أنظر إلى الرياح
 كيف يطاردها المنظر يحون الذي يسدد حقه ، ألف سهم وهي مع هذا تنقى حرة
 في تنقه . كما ان ريسنا ينه عذب . ينك ليطارد روح الجمل السرية اعطى
 مصو ، تنقه ، تنى سهم في يديك . لا أن هذا الطي السحري ما انتك يمدو حرا
 دائما لم عسبه أحد .

ارجونا : أليس عسبه أرى . حتى . مودن . اعطى مودتك فيه قوت شقيقة ؟ موطن كنت
 قد ريسنا تنقر مودتك روية . ما بركه حيا صوة ؟

جيترا : وه عسبه لا تنقه . هل تنقت سابت السرور الطاش ؟ ألم تعلم بأن لا أزيد على
 ما ترى تنقه شيء . ما فلت ترى وراء ذلك شيء أيد . لأن فطرة الذي
 إلى تنقى على دوة زهرة « كاسوفا » لا اسم لها ولا وطن ، وهي لا يجب
 على أي سؤال . وشان من حيث كشك تلك انظره السوية من الذي .
ارجونا : أليس لها سيد . حدة من صوة . في مستطعها أن تكون مثل كسر من السماء وقع
 على الأرض من قلة اهتمام إله طاش ؟

جيترا : نعم .
ارجونا : نعم . وهذا هو السر الذي يشرق دائما بأن على وشك أن أصبحك إن قبي تلق
 ودهى لا يعرف السلام . تنقر في من سجيل وصاها . أسمى منك وأدعى
 تنقود الاسم . من والسيد . وحى قبي من كل حوائبه بوجودك ، ليمش
 معك في طمانينة الحب وسلامه .

جيترا : ثم هذه التحولات الصلابة في مبدأ أصابع السحاب والاحتفاظ بترافق الامواج
 وروائح الأزهار ؟

ارجونا : سيدى لا تؤملى أن محمدى الحى بالاهواء ، أعطينى ما اضمه وما يستطيع أن
 يستمر ضوء من السرور . وأن يدوم وله على الكروه .

جيترا : يا طي . يا السلة لما تنه . وهانت ذا منهوك الذوى . وإني لأعرف أن من رحة
 السماء . جعلت هذا الزهرة من حياء قصيرا . فلو مات دنى هذا ودوى مع أزهار
 الربيع لأحب . إنك ميتة الشرف ولا ريب ، ومع ذلك من أيامه مدودة أيب
 الحبيب ، فلا تنقره وسهله حتى يحرق رحيته ؛ لأن الفزع يراعى قلبك المعالج
 ثابة ، تنقه . رغبة شديدة لا تشبع ، مراجمة السعة زهر السيف السافطة دوية
 في التراب .

المشهد السابع

مادانا : هذه ليالك الأخيرة .

قستا : لئن حسبك سيعود إلى مذابر الربيع الدائمة وحررة شفتيك قد تنحورت من ذكريات
 قبل آرجونا ، وسوف تنقش من حدة تنق روح من ورق « آسوكا » المدودة ،
 وعصاره دنيك وبصمته سوف تود ثابة في ميث من أراهير الياسمين المطر

جيترا

جيترا : يا أيها لادن : استجيبا لي دعتي ، واحملا حالي هذا بشرق الليلة في ساعته الأخيرة . بأسطح مناته مثل آخرة أومجاف القليب إذ يحبو .
مادانا : لقد أوتيت سؤلك .

المشهد الثامن

التقويون : من سيحبينا بعد الآن ؟
أرجونا : لماذا ؟ أي خطر يحتملكم ؟
التقويون : إن النصوص ليتحدرون عينا من اللان الشالبة لمحمد والليل من جيل . لتدبير فرشنا
أرجونا : أليس لكم في هذه المملكة من حارس ؟
التقويون : كانت الأميرة جيترا فرع الأشرار حياما ؛ فنها من كانت بهذه الأرض
الأميرة لم تحف غير اميشتات الطييمة . وقد ذهبت الآن إلى الحج ، فلا يدري
أحد أين براها ؟
أرجونا : وهل حارس هذه الأرض امرأة .
التقويون : نعم ، فهي أمنا وأبونا . مجتمعين في شخص واحد .

[يخرجون . تدخل جيترا]

جيترا : لماذا تجلس وحدك ؟
أرجونا : إنني أحول أن تتجلى من أي نوع من النساء تكون هذه الأميرة جيترا .
إنني لأسمع كثيرا من النصوص عنها من الرجال على اختلاف مشاربهم ؛
جيترا : أم ، وأكبرها ليست بحسنة ، وليس لها عين كعيني الحبشيين السوداوين
التيين كأشهما في سوادهما بوث . وفي طولها غرق كل هدف نساء غير نسب بطننا .
أرجونا : إنهم يقولون عنها إنها وجل في البسالة ، وفي الرقة امرأة .
جيترا : وتلك في الواقع مصيبتها العظمى ؛ إذ حين تكون المرأة امرأة تحس وتلف
نفسها حول قلوب الرجال لها ، بانتقامها وتحريمها وبخداها وعذقتها المتحجب .
وهي تكون يد دائمة سبيدة . ما هذه العليم ، ولما في العطية لها ؛ إنك لو ربيتها
البساحة في ساحة معبد الآلهة شيف عند ممشي الدابة . يدأ لمررت من غير أن
تكرم بالنظر إليها .

ولكن من أصابك حال امرأة بحيث إنك تتعت منها عن قوة الرجل ؟
لقد سمعت فرانس قيلولت من ورو الشجر الأحمر لمصر برداد الزبد المتناثر
من مسقط الماء في كهف معتم كآله الليل . معروضة العشب لأحضر أسامع متكدس
على الصخور التي تفر الماء منها . تقبل عبيثك لتع . مدعني أقدمك إلى هناك .

أرجونا : ليس اليوم أيتها الحبيبة
جيترا : ولم لا يكون ذلك اليوم ؟
أرجونا : لقد تراءى إلى أن عذابة من النصوص قد شارفت السهول عامة على أن أذهب لأعد
السلح فأحكي التقويين للذعورين .

حيثما لا حجة في خوف عبده في يومه من قتل نفسه أن نسله

۹۹۲

أرجو أن يوفقكم الله في كل شأن.

... ..

[illegible]

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين

احمد بن محمد

۱۰۸

هذه نسخة من كتاب

الصفحة ١٠٠ من كتاب

آر جونا: "میں نے یہ سب سنا ہے۔"

... ..

[illegible]

طبعة ١٩٨٠

وحي
وفي السنة من سنة

هذه الرسالة هي من تأليف

... ..

رحمہ اللہ۔ میں صاحب دیوبند کے لئے لکھ رہا ہوں۔

مجلس

الملك

پاور پوائنٹ

استغفر: و بعد از آن دعا بخواند:

رجونا

این دو در میان خود می‌گویند که ما را چه می‌آید که در این راه
آری ...

وہی شاعر ہے جس نے "میں نے اپنے دل کو توڑ دیا" اور "میں نے اپنے دل کو توڑ دیا"

اسماء بنت ابی بکر صدیق

[illegible]

مجلس شورای ملی - تهران - ۱۳۰۲

[Faint handwritten notes at the bottom of the page]

[Faint handwritten notes at the bottom of the page]

مستقر ۱. احمد قريلا

سیدنی

الحمد لله الذي جعل في كل شيء دليلا على قدرته
الجليلة وكرمه العظيم

المادة ١٠ - لا يجوز للمحكمة أن تصدر حكمًا بغير حجة أو دليل مقبول.

التي هي

[illegible][illegible]

أكنت تحب في عين الرحمن ؟ كلا ، كلا ، لن تغرق ذلك شعري في أنفاس دوماً
حولى جميع الأعين الشباب أرش انقباضه ونظرات صابرة به من سرك أن تعود
فما صد لك شراب المرور صفة الشعر في رأس هذا السهل الجبل . وحين تمتد
تدبر كدك من ذلك شراب في وسعك الذهب للعن أو الصب . وإذا ما
أدركتني الشجوة صافيل تراسع وشكر أية راوية نزلتني . فهل في هذا
سرور لطفه فبك لو أراد أن يكون رفيق لعنت في نيل شريك مساعيك في
الهار ، وتممت لراع بهي مشطرة الدراع نهي الفجر على حين الصبح .
ما أرائي عرفت حق معرفتك قصه وإنما تراءى لي الهبة مخوفة في صورة من
الذهب . لا أستطيع أن أمك ولا أستطيع أن أوهك ذبك عن هباتك في
لا تقدر شين . وهكذا قد جنى نافع . وأسد أحدى أحياء في قرارة بصرانك
الدمعة خزيمة ، وفي كنهات برقة ذات معاني السحرة ، طبعات من مخوفة
تحاول أن تنشق جمال جسمها . من لتخرج عارة من خلال غشاء نسيت البدني
نار ألاما أمة . إن أرحم هؤلاء صور احدة وإله تنعم بخو عتتها مشكورة .
ولكن سرحي أوقت الذي ترمى به حبي . وأصعب فتفت في وفرة عرين . وإلى
لأتلصص بك تلك النهاية ، تلك البساطة المجردة ، بساطة الحقيقة .

أرجونا :

للهذه الدموع الجذبة ؟ ماذا تغيب وجهك ؟ هل كنت باهزني ؟
ثماني . قلت . . . ما كنتي كما هو موجود . وثبتت كل حصة منمنمة من حقدت
الحنن إلى حيثة . ثم من من عتته غير المتأور في الغلام . حملنا رساله موسيقى
وهي أجلس أبداً بأمل على حافة الحقيقة ، وهكذا أنسى أيامي .

المشهد التاسع

[جيترا وأرجونا]

جيترا (وقد است عظاماً) : — مولاي هل امرغت الكأس من بحر نظرة ميا ؟ أحنأ
أرهمه هي النهاية ؟ كلا ، لأنه حين ينهي كل شيء ، فلا بد من شيء واحد يبق . وهذا
آخر قربان أنزه تحت تدفيع . فقد حلت معي من الحزمة أرهاقاً لا ينظر لها في
الحال أريد أن أعبدك به يا إله فني . ددا أمت الشماثر ، وذوت الأدهار .
فلأرهم حرج صمد . تكشف عن ثياب الأضياء ثياب الرجال . أنظر لأن إلى
طابت تعبك العتيق . است بالحيلة قومه الصل . حمال ذرهم إلى تعبد .
في جنة عيوب ولطخت . ما أنا سوى صائر في درقي أمة الكبير ، شبي
قدرة . وقدسى تعرف أمة من أمة من شواك . أوتلي أن أقصم بهرة الصل
الامر من حياة لحظة . إن الهدية التي أنا شهور تتدبرها لك هي قاترة . فيه
تصمم الآلام والأفراح كلها ، وفيه تتجهم سماسة المرب في شوقها وجيب
هنا سميت الحب مكافئ الحياة الخالدة ، هاهنا القس البقاوى عزى السى والمنظمة .
فذا انتهت خدمات الأرهاق ، فكتب هذا يا سيدي خادماً في الأيام القليلة

يا آ، جيترا ست . . . يا لعلك تذكر يوما حاك في امره إلى معسه
 الآله شيقا نجه احسن ربيعة ونيهاويل . . . تلك برأه غيور . . . حدت بيبك
 لشدة عك كان لو كانت رجلا ، فترتب وقد أحسنت صنعاً ، مولاي يا آي أنا تلك
 المرأة وكانت هي عني منكورة . . . ثم يا سمعه الآلهة أصت عاية . . . يستطيع
 البشر تقمصه من الهاء ، وأنت قلب حدي الطين بذات الجمل من الخداع . . . فلما على
 التخييل نمت تحت الحسد . . . جيترا يا آ أنا تآلهة تعد ، ولا أنا كذلك موضع
 شمه لمين امدى دد سهو . . . بلا كترات . . . هل تفعلات دن أيقيني تحتك
 في عمر خطر ولا د . . . وسمعت وأن شطرك أعداء في الحياة ، فتعمرى ، حق
 معرفة عندك . . . يا آ ، ويا آ الذي في رجمي الآر ذكرأ فأساعه بفسى كيف
 يكون أرجو ، آخبر . . . سارسه إيت مي آن الاوان . . . وعندك ، وخيرا شعرفي
 للمعرفة الحقة . . . إني لا أستطيع إلا أن أقدم لك اليوم جيترا ، آتية معك .
 أرجو : يا حبيبي ، لقد اكتسبت حياتي .

ظافور

تمريب لهرى شهاب

من هنا وهناك

رسالة من لندن

العالم في مهب الريح

تنفس الصعداء

تنفس الناس في أرجاء العالم كلها الصعداء ، يوم انقضت هيئة الأمم المتحدة في لندن منذ أسبوعين اثنين ، فسمعوا خطاب الاقتناع من جانب ممثلي الثلاث الأول العظيم تشيد بالإنجاز الجديد لسياسة الدبلوماسية الجديدة ، وتنتشر العالم في عهد الحديد والأخوة والمساواة والهدوء العينية . وحسب المتفانيون أن ما احتمله البشر خلال الست سنوات التي عمت فيها مكبات الحرب وويلات الخراب والدمار ، قد عجز الإنسان الرحمة شحبه لسان وقمعه بأن يعاون والتعاضد مما خير نظام لهذا الكون التطور .

لكن . .

لكن ما أكاد لرئيس المؤقت — وكان هو رئيس اللجنة التنفيذية — يعرض أمر شعب الرئيس الذي حتى تكشف الحال غير الحال ، وتبين أن الإنسان لا يزال هو لسان ، وأن المصالح لا تزال هي المصالح ، وأن التنافس بين الدول لا يزال هو التنافس . وأن إساءة الظن بمعاملة لا تزال هي إساءة الظن المتبدلة . وتعاقت أحاسيس بعد الملث ، وتعاقد الخطباء إثر إعطاء ، هذا الاحساس بتجلى أن الدول الكبيرة ، لا تزال تحرص على أنها الدول الكبيرة ، وبأن الدول الصغيرة لا تزال تحس أنها الدول الصغيرة ، فتقول الأولى من رب الظلمات : إن المساواة في السيادة بين الدول الكبيرة والدول الصغيرة هي المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه العهد الجديد ويستند إليه ميثاق الأمم المتحدة . وتقول الأمم الصغيرة إنها تترجو أن تكون تلك المساواة عند ما يحى دور التطبيق حقيقة مادية لا مجرد حكم مكتوب من أحكام لميثاق نظرية . وتذكر تدليلاً على خشيتها أن حتى الرفض والاعتراض الممنوح لدول الكبرى ، ولكل واحدة منهم على الأفراد ، إنما يندم تفرأ جلياً مع مبدأ المساواة لدى بيع حطاء الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي في إبرازها .

وأخيراً . . .

وأخيراً لا يحى . يوم السبت التاسع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٤٦ وهو اليوم العاشر

من أيام حتى هزيمة لأمير سعودي، وهو اليوم الاتحادي من يوم هزيمة القوات العامة التي تسبق فترة الحداثة والوحدة - لا يخفى، صلا، مثل اليوم حتى بعض أن وقد لا يرى قد انتهى من واقع السكوتية بدمية شكاوى الحكومة من قدام السوفييت في شؤونهم، إن الحياة الخاصة، قصد عرس الأمير على مجلس الأمن وفقاً لأحكام المادة من مواد الميثاق الذي لم يحجب بعد حجم التهديد في «سكان موسكو» وراحت تضعف وراح الموقنون فيها وفي محضات الدعاية، يكتبون ويتوهمون في الأمر بمرورهم أنه هو من الأمور لا سكتة في لأن أحد المعارضين فيه دولة أجنبية، هذا حتى الآن من وإلصاق لها بعد حتى وقف مقبول كإقرار بصدور في غير مقصدها من مجلس الأمن و من جانب أجنبية عامة، وتحدثوا أنفسهم من الآن، ترى هي بالفعل واتحاد السوفيت حقه بإصدار قرار صده؟ وترى ماذا سيكون أثره في تنعيط سلطة الدولة الجديدة وهي لا تزال بعد في مهدها، وهي في شدة سامة في الأمر، ولا سيما بعد كل تلك هجرت التي وجهت ضده إلى «العدسة لأمير» الدائرة في م يكن هام من السفار مثل متهمة جديدة في سبيل تقدير حتى وسعيدا لقرارات؟

الحوادث تتداعى

ولم يتقضى بعد على ذلك الحادث الأيراني، بل لم يقص ساعات، حتى بدأت معه لحادث المزمع له في المباحث الدولية في أرواحه، فقد حدثت الأزمات تترى في قبالة قد قامت في إيران أيضاً، ولكن في أقمع المادني منها هذه المرة، والماء الجديد لا تترك خمسة القوات البريطانية، لا تزال تترك تكتل جزء الدليل القاطع السوفياتي، ومن لقيادة ترجم إلى تدخل سلطات أجنبية في شأن من شؤون «محافظ الأمن» الذي رفضه عن مسائل أو لا ترمي.

وحدثت لأزمة بعد ذلك في الوقت عينه، من قبالة قد قامت في ماداليون، وأن أخذت المرفقة قد أقيمت في غير واحد من أقطابها، وأن الدعاية ضد الملكية بحرف فيين بحرية الانتقادات، ومن هذا تداعى أجنبي متفرصاً بإصرار الملكية وباري الجمهورية، ثم لم تلبث الأيام أن جاءت آخر الأمر بأن الحكومة البريطانية قد أوفدت في مهمة خاصة إلى حاوة سفيرها في موسكو ليحاول تهدئة غواطر الأندونيسيين والوصول إلى التوافق بينهم وبين الحكومة المحلية.

ومعنى الحادثين الأوليين في غير «أريجان» تدخلات من سلطات أجنبية (ولتقرأها بحجيرة) وأنه في كمال التدخل السوفيتي قد وصل إلى أن ينظر فيه مجلس الأمن في هيئة الأمم المتحدة، وليس هناك ما يمنع - نزولاً على مبدأ المساواة بقرار - من أن يصل التدخل البريطاني في شؤون إيران إلى حد يتدخل في شؤون اليونان إلى أقصى دونه، ومعنى الحادث الثالث أن المختار، وقد أقيمت ذلك لاجتماع في الحوزة، تريد أن تدور في تهدئة الأندونيسيين وإقامة المعاهد بينهم وبين هوارد حتى لا يضاف إلى الحادثين السابقين حدث تدخل في شأن ثالث في الشؤون الدولية يقول: «إن نامة يستدعي هو أيضاً أن يحرص على مجلس الأمن كما عرض الحادث السوفيتي الأيراني»

من هنا وهناك

بدأنا نحاضر حديثه وقت مستمعيه إلى . محذراته مستعصر على سرد بيانات ومعلومات .
وغرضه من هذا الحديث أن يبين نظام التعليم الفرنسي في خارج ، والذائع الخالص الذي
يتأخر به هذا النظام ، وهو التوسع .
المرء مسبو قبل أن يوصف بـ « منظم » أو « غير منظم » ، فبعد أن يتعلم موضوعه
إلى أمانة ، فحينئذ يوصى بال « منظم » أو « غير منظم » ، انتهى إلى نتيجة استحسنها من
هذه الدراسة المركزة .

القسم الأول خاص بالتعليم الثانوي

وهذا التعليم يشمل على المدارس الآتية :

(أ) المدارس الثانوية التي تعينها الدولة الفرنسية . ووجود مثل هذه المدارس على
رأس دولة حديثة من دواعي الاعتبار والاعجاب . فبعد في روما مدرسة ثانوية هندية
هي « الليسيه ثانوي رين » ، وأخرى في براغ ، وأنتين في أسبانيا . ومعظم طلبة المدارس
من أبناء الحاصلات الفرنسية مقيمة في تلك المدن ، وهذا إلى أن عدداً من الشبان الوطنيين
يقيمون بها . « ليسييه الفرنسي في لندن » يشتمل على ستة عشر طالباً ليسوا جميعاً فرنسيين ،
أكثرهم بينهم كثير من الأجانب ، من من الأندلس . وإذا كان عدد الطلبة الأجانب في هذه
للمدارس محدوداً فمرجع ذلك إلى أن شهادة الدراسة الثانوية الفرنسية ليس من شأن أن
يسر أمر الطالب الأجنبي أو الأسير كل التيسير حين يريد أن يتخذ لنفسه مهنة .

(ب) وتوجد إلى جانب ذلك المدارس الثانوية للبعثة العلمية الفرنسية ، وهذه
للمدارس تعينها الحكومة الفرنسية .

(ج) « تفرج حمية » لـ « لالياس مارتين » بعض المدارس ، ولكن ليس لها حظ من
الاتساع والزواج .

(د) وتوجد في أمريكا اللاتينية مناهج لدراسة التجارة . ويطلق عليها خطأ اسم
« المدارس الثانوية » ، وتعينها الحكومات الفرنسية في تلك البلاد ، والسماعات أو
للفوضيات الفرنسية في دول أمريكا الجنوبية .

(هـ) وعليتنا أن نشير هنا إلى مدرسة لها حالة خاصة ، وهي مدرسة « لالاس - سراي »
في استمبول . وهي معهد وطني تركي يطلب من فرنسا أساتذة من ذوي المؤهلات الدراسية .

القسم الثاني

إذا ما تركنا التعليم الثانوي وجدنا المعاهد ، وهي في مستوى التعليم العالي ، والاتساع
مباح مبدئياً لجميع . وتلقى فيها دروس ومحاضرات عامة تتجه نصفه خاصة إلى الدين

يشعرون بمعنى "أرايح" من الوقت ، كالتسديدات المتقدمة في السن ، وكانت الطائفة الزائقة ،
أزواج المعاشات . وليس معنى هذا أنها محظورة على الطلاب . وعدياً من معترف بأنه
يلاحظ في مختلف أنحاء العالم شيء من « التكيف لتتوارث لتدوق الأشياء الفرنسية » .
وهذا الميل هو ما قصدت المعاهد إلى الانتفاع به . وطبعاً من مديري هذه المعاهد وأساتذتها
يجب أن يكونوا على ما يرام من العلاقات مع زملائهم الذين يتولون التدريس في جامعات البلاد
التي يوجدون بها . فالتعاون لا تنافس ، ويجب أن يهيئ على هذا الوجه . هذه
على الأقل الروح التي دفعت إلى أن ينشأ في الوقت الحاضر معهد فرنسي في كونهاجن .
ويشترط أن تكون جميع هذه المعاهد أماكن اتصال ومراكز للتثقف الفرنسية ، تنظم فيها
أحدث ومعارض وحفلات موسيقية وحفلات استقبال الخ . . . ومن هذه المعاهد واحدة في
عنتر وأخرى في اسكتلندا ، وأثنان في أسبانيا وعدد منها في إيطاليا . وواحد في كل من
بلن الأتية : ليبيا ، بلجراج ، زاحريب ، سوريا ، براج . وهناك ثلاثة منها في بولندا
لم يشأ افتتاحها بعد ، ومنها ما كان موجوداً في ليتوانيا وأستونيا . ويرى مسيو توما
ل الوقت ليس مناسباً لاستئناف فتح هذه المعاهد الأخيرة . ومن هذه المعاهد ما هو
موجود في الدول السكندنافية . وقد وجد منها في ألمانيا والنمسا . ويفكر أولو الأسرى في
بغادني أو في إنشاء معاهد جديدة في هذه البلاد . وبجمل القول أن جميع هذه المعاهد الفرنسية
تؤلف في مختلف أنحاء العالم شبكة ذات حط كبير من الخطورة والنسب . وهذه المعاهد متنوعة
يجب أن نعيها بيننا :

(أ) فيها المعاهد الدراسية .

(ب) ومنها معاهد البحوث .

(ج) ومنها المعاهد المختلفة ، أي تلك التي تجمع بين الدراسات والبحوث .

وليست هذه المعاهد الفرنسية مقصورة على التارة الأوروبية ، فيوجد منها في مكسيكو
ريودي جانير و بواوير إيرر ومونتفيديو . ولم يذكر مسيو توما المعهد الفرنسي بالقاهرة .
ولعل ذلك كان سهواً منه . وسيتأ واحد في الهند . وأخيراً معهد نيويورك ويعتبر مقراً
لعدد كبير من الشباب الباحثين بالبحوث ، يرضون فيه فترة تمرين تتراوح بين عام واثنتين (وهم
رجال الاتصال) . وبديهي أن يكون لذلك مقابل . وهو في الواقع مقابل طبيعي ،
وهو إنشاء معاهد أمريكية في باريس . والمعاهد الفرنسية في الخارج هي خير مكان يستطيع
فيه خريجو مدرسة المعلمين المحدثون أن يتولوا التدريس . أو أن يواصلوا بحوثهم . وما
يحدث التنبه إليه أنها جيرة ملحقه حتى يحدى الجامعات . ولو أن الأمر كان على غير ذلك
أصبحت موضع شدة ، وصارت مثل هذه المنشآت التي كانت تطلق على نفسها اسم « المعاهد
الإيطالية أو الألمانية » والتي لم تكن إلا مراكز للندوة والاستعلامات . وما دامت هذه
المعاهد تفتح درجات علمية فهي تمنحها ناس إحدى الجامعات . مثل ذلك معهد لندن وأندره
مها متصلان ببعضهما كان وليل ، ومن ثم هما متصلان في نهاية الأمر بجامعة باريس

القسم الثالث

بعد العهد ثاب المدارس الكهنية ، و عدده محدود جداً ، لم يكن منها مدرسة
احدى في المدرسة في القاهرة ، ومصيرها التحول الى ثانوية ، والدراسات الثانوية
حتى لا تفسد كنية الحقوق العلمية . وهناك جامعة سان جورج في بيروت . وهذه
الجامعة تابعة للعثمانيين ، وكان بين يتوون بدرتها ايديسويجوس . والى جامعة رقبة
جامعة ليون .

القسم الرابع

وهو خاص بأعضاء هيئة التدريس الذين كانوا من شعب ، يوضعون تحت تصرف جامعات
حسبه . ويجب هنا أيضا أن نذكر من أخصاء هيئة التدريس هذه .

(أ) فتم أولا المدرسون . وهم يماسعون (وفي هذه الحالة يكون دراسة علمية
في لغة بلادهم) ، وإما مدرسون لغة (حذيتهم ولقمتهم الحديثة) . وسى هؤلاء مثلا
وظائف تحت تصرف « مدرسين » فرنسيين .

(ب) ومنهم الأساتذة ذوو الكراسى في ريو دي جانيرو مثلا توجد كراسى عرب
التقاليد مأساها إلى الأجانب ، وفرنسيين من بينهم مركز مقرر . وهذه هي الحال أيضا
في جامعة القاهرة والأكاديمية . وفي ذلك شيء من الاحتياط ببعض القياد الحديثة . على أن
نعم « لاختيار من » قائم فعلا ، ويلاحظ بعض خاصة في الولايات المتحدة . وكان
الأمر هنا يتصل بسوق حقيقية للأساتذة . ومن الأمثلة البالغة الدلالة بهذا الصدد مثل
مسيو بير ميسر رئيس قسم الفرسى في جامعة بازل منذ ست سنوات . وقد توفقت هذه
التفاهيد بعض الشيء من جراء الحرب ، لأنها أحدث تعود ونعم في معظم البلاد . ولا يزال
في روسيا العظمى بعض الأساتذة الفرنسيين ، في كمبريدج وإيمبول وبريستون . ولكن
بدأنا نقصد هذه المراكز ، لأن لا محبة أحدوا شيئا يثبت يشعرون في منهم الكيفية
لشغل كراسى اللغة الفرنسية والأدب الفرنسي . وهذا الأمر طمى . بقى فمما أن نقترح
نعم نسبة مساعدون تتحمل حكوماتهم رواتبهم ، ويعيد تيدهم بينهم ما ينفع من تيار
فكرى بين فرنسا وأسلاد الأجنبية

ولا شك أن كل هذا متضاهيا مفوضات فنية ودقيقة في معظم الأحوال ، وهو البحري
الآن مع البرازيل . وهنا تظهر فئة من الاختصاصيين يسمون المتخصصين الثقافيين أو المستشارين
الثقافيين . وتختلف درجة اتصافهم بالساعات والمفوضيات الفرنسية في الخارج . فهم ليسوا
متخصصين في سبيلهم مع دوله ، ولا تعرفهم وزارة ادمية ، ولكن وصفهم باسم
مكفوف « مؤلف » ببعض المهيات . وكثير ما يكونون أسادة من ذوي المؤهلات العالية
أو كثر ، أو من رجال الأدب . ولهم بعض السطاح على الفرنسيين من أخصاء هيئة

لندريس في البلد الذي يوجد به . ولستطيع اعتبارهم موهبة تقادير ذوي سعة
عبدية . وهم أدوات تصال دائم بين بلدهم والخارج في الميدان العسكري وفي الحق
أن مهمتهم من أشق المهام، ولكنها من أنعمها .

والسبعة التي استخلصها مسيو جيان توماسه لا يرى من مصلحة الشبان الفرنسيين أن
قدوا حياتهم في الخارج يمارسون مهنتهم ، وأنه يرى من ناحية أخرى أن من مصلحة
بضعة تعديد الأساتذة المتدربين إلى الخارج بين حين وآخر . على أن من دواعي الأسف
أن الأساتذة يتعطلون بالخدمة التي كونوها لأنفسهم وأقربها . ثم إنه يجب أن نواجه مآل دهم
من مشاكل إدارة عدد عودتهم . فهل يفترون حين يرجعون إلى فرنسا في نفس . . .
لدى دأو عليه عند سفرهم ؟

في أوائل شهر يونيو سنة ١٩٤٥ صدرت لائحة تنظيم مراكز الأساتذة في سبعين مدرسة
في . . . تقرر أنهم سيقسمون نفس الحقوق التي يستعملونها لو أنهم هم في فرنسا
من حيث العلاوات والترقيات وما إلى ذلك . فيمكن ترفيقهم إلى وظيفة جامعة في إحدى
مكاتب في فرنسا مهما كانت عيبتهم . وبين أحد نصوص اللائحة الحكمة الخاصة الذي يجب
تعيينه على هؤلاء الأساتذة سواء عيّنوا مدة ابتدائهم بالخارج . ثم عيّنوا عند عودتهم
على وظائف . لا تزال مشغولة حتى تجد هذه وظائف ينقلوا إليها شيئاً . أما الناحية
التي للموضوع فقد حلت على الوجه الآتي . يمنح الأستاذ مستند إلى الخارج رتبة
سنة التي تمنحه في فرنسا معاملة موهبة السلك القصصى أو
من باختلاف الوظيفة التي يشغلها . وأخيراً تمنح إجازة خاصة غير ثابتة

على أن سطر في الأمر من حيث به من تدور . واحتتم المحضر حديثه
كراً . . . يجب لهذ إعداد الأساتذة إعداداً خاصاً . فيسمى أن يقف الأستاذ النوع إلى
خارج على مسبق في البلد الذي يجد إليه من مسائل دنية وسياسة واجتماعية واقتصادية
العموية . حسيبة الخ بذلك فقط يتحسب الاحتفال التي كثير ما تقع حتى اليوم ، التي تقصر
مصلحة فرنسا ضرراً بالغاً . إذا ما وصلنا إلى تزويد الأساتذة بهذه المعلومات . ونولي البلاد
التي يرسل لها تدبيلاته تزويده بمثل هذه المعلومات قبل إيماده إلى فرنسا . حيثما يكون
قد حققنا للفرنسيين فائدة فكرية وعلمية مثمرة في سبيل فرنسا وفي سبيل ثقافتها التي
.

مؤنس ط ميسين

ادجار آلن بو

تأريخ أدب أمريكا الحديثة في الأدب على الأمم الأوروبية . ولم يعرف الأمة الأمريكية في تاريخ الأدب مدد حتى يؤثر في الأدب أو حركة فكرية تغير من اتحاد الكتلة الشعرية حتى مدارس مية إلى منتصف القرن التاسع عشر حين ظهر من بينها كاتب وشاعر عظيم كان له شأن كبير في توجيه الأدب الأمريكي . فأنشأه من مدرسة مية جديدة سمع كثير من الكتلة الأوروبية أولاً ، ولاسيما في مائة سنة . وذلك هو ادجار آلن بو .

غير أن الأمة الأمريكية ، لم تتقدم من قبل ذلك . فحسب ما كان عليه حتى ذلك الحين من قدره وتراثه في مهنة نائية من بين مرات أدب . ولم ينق النقاد الأمريكيين منهم دراسة حياة هذا الشاعر إلا جزءاً يسيراً لا يفارق اليهود التي بدأها الأوروبيون لدراساتها مع أن حياة بو حليقة بدراسة عميقة له من أحداث خطيرة ولم اعتزاد من مؤثرات فهو تيارات غريبة حارفة كثيراً ما غيرت مجرى حياته وحملت منه محمودة . فكتبت شخصيات كثيرة من المموس ، ويحجب لاهم بكثير من نفردته في حياته الخاصة وحياة النسب . أن دراسة حياة الشاعر يجب ألا تغطي غيباً فتمنعنا من دراسة آثاره الفنية التي لا بد من اعتباره مؤسساً للحركة الأمريكية في الأدب . وإلى اعتباره — وهي ناحية أخرى لا تغفل — الأولى خطراً إن لم تكن أبعد أثراً — أنه مبتدع القصة القصيرة

ولد بو سنة ١٨٠٩ من أبوين غنياً حشمة مخرج ، وسرعان ما أخذ أمه معه إلى لندن . وحقق بوه بعد أن كان قد ترك دراسة القانون ليقتصر على التمثيل كانت حياة بو خمسة من السنين . بدأت عقد أمه وهو ما يزال في الثانية من عمره . وقد تركه لأبيه الذي انصرف فعلاً ثلاثة وهي لا تدري ما يكون مصيرهم بعد أن هجره روحه . وهي لا تعرف بعد ذلك كثيراً أو قليلاً عن حياة دافيد بو . كيف عاش أو كيف مات مع أن يعرف أنه كان مصاباً بالمرض الذي توفي به روحته وهو سر من رثته . وبعد ذلك من موت أبيه حدث لا يركن إليه ولا يطمش إلى تدجيله . شأن كل أحداثه به من الحياة الخاصة أو عن أسرته . ونحن لا يهمنا من دافيد بو ومن حياته شيئاً . غير أن هذا الفهم الذي اكتسبته حياته استمر صفة خاصة لأدب حياة الشاعر . كما أن الظروف الخاصة استلهم بو بجزء حياته حفته لا يبق نفسه ولا يطمش إلى من حوله . فقامت بذلك حياته العملية .

نشأ بو وهو لا يعرف بوه ، ولكنه ورث عنها صفات كثيرة . فحسب ما كان عليه رقبته ، وإن لم يكن مصاباً بمرض في رثته . وانقد ثمار مرض الأم كشته من الشفقة والاهتمام بحبائها ، فكانت تلعب بالناسب الأربعة حتى تورع أطفاله كل منهم في رعاية أسرته من الأسر . وكان أدمر من نصيب أسرة تاجر موسر ، يدعى جون آلن وروجه التي رزى منها أطفالاً . ولكن حياة بو بن هذه الأسرة لم تكن مريحة . بل قد يستطاع لرؤيته أن يخلق منها قصة . فقد ظفر صبيب النية مرهف الشعور دقيق الحس ورقة

الفرجة ، بل قد بدأت بحزن السوء . تظهر عليه . هذا الظن ناش مع أن قد تسلطت انب
ضيق الصدر لا يهيم نفسه . ولم يكن هناك من يطف من حدة هذا الانفسوه لا
عطوف كثيراً ما حست على صغيرها لتحاول أن تزي آتار وحشية جون أن ع
القدر يتدخل مرة أخرى فلا تترك يو سمع هذا العطف وحان مويلا . ثارت الأم وما
رأى يو في شد الحاجة إلى أن تكون بحسه . وقد يكدهم آلن يرت سمه حتى در
إرسال يو إلى جامعة فرجينيا . ولكن العلاقة تهرت بين آلن وأبنته بحيث سقط به يو
ترك أسرته ناصباً مملكت استقلاله . ومرت فترة من الز من قبل أن يتحقق تدرسه
« وست بوينت » (الكلية الحربية) لا يعرف خلاصاً عن حبة يو إلا ما رواه ك من
رحل إلى أوروبا . وانضم إلى الجيش اليوانى لخاربة الأتراك . وبفس غلب يو معمره في
ورباً وما وقع له من حوادث في فرنسا وسانت يترزورج .

وبذل سجلات المدرسة الحربية التي التحق بها يو على أنه كان تلميذاً مجتهداً . وقد ثارت
عده الفترة التي قضاها يو في المدرسة الحربية هي الفترة الوحيدة التي عاش فيها عشة منتصه
ولم تظهر عليه علامات التهر من النظام العسكري القدي . بل كان فاعلاً به وراسباً عه
مما يدل دلالة واضحة على أن يو كان تواة إلى العشة الفريجة . وكان موت مسز آلن في
هذه الفترة سبباً لرحوعه إلى أسرته واستئناف العلاقات ، حتى إن أمه وعدد المساعدة المده
حين عرف أنه التحق بالمدرسة الحربية وأنه مجتهد في الدراسة . غير أن جون آلن لم يفت
وعده . ولا تدرى لذلك هذا الأمر إلا أنه علوى شاد لا يعتمد عليه . فيدفع هذا يو إلى
التمركه الصنف الذي شعر به في جامعة فرجينيا إلى التهر . وقبل عن يو أنه لم يكن يرى
إلا وهو سكران بعد أن نفس أمه يده منه وأنه استدان حتى اضطر آخر الأمر إلى ترك
المدرسة . وقد ألهته الطليمة الجميلة التي تحيط بهذه المدرسة إحدى قصصه . وهي قصة
« الحشرة الذهبية » . وكان يو يعتمد على أبيه في واء ديونه فكان هذا سبباً في انهوعه في
هذا التيار . ومن ذلك الوقت إلى موت يو تسلط على محرى حياته ثلاثة عوامل كان لها
أبعد الأثر في اتاحة الفتى . أما العامل الأول فهو الفقر به دفعه الفقر وممارته الآلية إلى
لدين . وكلما استدان ازداد فقره وشعر بالرق والعبودية مما دفعه إلى السعط على العالم وما
به . والعامل الثاني الذي لا يقل عن الأول قوة إن لم يقه في التأثير من الدحية الغنية هو
الخر . بل المحدثات أحياناً . وأثرهما القوي فيه . وأخيراً علاقته بعمنه مسز « ماريا كيم »
لتي عاش معها بعد تركه وست بوينت . والذي لاشت به أن العاملين الأولين متداخلان .
مكلماً اشتد فقر الشاعر ، هذا الفقر الذي كثيراً ما سمع أنقى حدود الحرمان أحياناً . رمى
نفسه بين أحضان الخمر لينسى أو يحاول أن ينسى آلام العالم وهوومه التي تنكالت
عليه غير أن اللذة التي كان يحنها من وراء الشراب كانت وثالا عليه . لأنها أضمت بينه كما
ثارت حوله جواً من الاستقاد المر .

أما تأثير مسز كيم في يو فقد كان عظيم به فان العلاقة التي فمت بينهما تختلف أشد
الاختلاف عما كانت عيه حياته في أسرته . إذ نشأ بينهما رباط عاطفي قوي ، حتى إنه لم
يستطع أن يعيش بعيداً عنها بعد موت روحه « فرجينيا كيم » ابنتها .
ولقد كان لهذا الجو الذي كان يعيش فيه بين حضن الأم واستباها وعثراته من عطف
وحبة أثره القوي في إيقاظ الشعور بالنسفة ، مما جعله يحفل من صممه أشد الحفل .

ولم تكن العنونة التي كانت تنقدها منه محر كما ذات قيمة مادية كبيرة ، إذ ظا النقص عليه حتى في أشد أوقات الصق والمرض ، أي مرض زوجته نال . غير أن آمله في الكتب كانت واسعة ، وكثيراً ما كان يتحدثها عن هذه الآمال وهي تصف إليه وتشبه بكل صبر وهذو . وعطفت . وكثيراً ما مضى سهرت يقرأها شيت من كتاباته وهي تسبح لها مبدية بإعجاب به ومؤاماته

ولم يكن أحد من القاداة القراء حتى ذلك الوقت قد انتمت إلى مؤلفات بو . وأخيراً أعيت إحدى حرائد بيمبور عن حادثة قدرها خمسون دولاراً لأحسن قصة ، وحاضرة أخرى قدرها خمسة وعشرون دولاراً لأحسن قصيدة . فتقدم بو بمجموعة من القصص القصيرة . حثار المحكون وحده من سب هي « لحظة مد وحدي زمنية » ومنحت هذه القصة الحائزة لأولى مع الأعي الشديدة . « شيء » من فحككون بشر هذه المجموعة لأنها « تتماز بحيال عطري وهي شدي ، كما تتماز سوب قوي وتذكر حبس متكرر ، وعلم متنوع عجيب »

ومع أنه لم يشر صريح إلى من وراء هذه التسمية ، كان هذا الحكم بداية جديدة حياة بو الفنية . إذ ساعده أحد تحككين مقدمه إلى أحد أصحاب الصحف . وهذا بدأ حياة صحفية عظيمة أثبتت بمسيرة الأثر ، « لأول مرة أصبح له رأي ثابت . ولا شك أني بو كان صعباً روعاً مثلك شدي وجبينة . ثمة من صحيفة بولي رئاسة تحريره . ولا تصاعف عدد القراء من خمسة أضعاف إلى عشرة أضعاف .

وكان بو قبل أن ينتمى حمة بسمها « الثلم » فيصل ب إلى الاستقراضية الوحيدة التي عترف ب وهي أوستقراضية نعتل . واعتقد أن تحقق هذا الأمن سيضعه من أهم الرجال في أمريكا بحسب ب في العهد « بسم » . غير أن إخراج فكرة كنهه على النحو الذي أرادها هو بو كل - بدأوانه . فم يكن الجمهور للأمريكي مستعداً لمحب مثل هذه الأفكار الجديدة مع أنه تقبل التعديد الذي استعدته بو في الصحف قبول حسن . وقد حاول بو عدة مرات أن يكون شريكاً لأصحاب الصحف التي اشتغل فيها . غير أن الأمر كانت السب الأساسية في رفضهم مثل هذه الشراكة . وكما كانت الأمر سدي في إمساد حياته الفنية وحياته الخاصة فقد كانت السب المباشر في وفاته ، إذ سرف في الشر في دعوة انتحائية للبرلمان الأمريكي حتى مات . واستمر بو يعمل صحفياً حتى موته دون أن يحقق أمنه في الحياة . وليس من شك في أنه لو كان جون آلن قد عطف على هذا الحقوق الضعيف دي الحس الدقيق لتغير مجرى حياة بو ولما اختار الأدب ميلاً إلى تحقيق آماله .

كانت حياة بو الفنية مسطرة ، وتدلنا آثاره على ذلك ، كما كانت حياته الخاصة . فيها محمده بسمو ويرتفع في إحدى قصصه حتى يقع دروة أشكال دون أن يستطيع الناقد أن يأخذ عليه خطأ فنياً ، إذ راد في أخرى مثنت الدهر ، مضطرب الفكر يكاد يهدى . ولا يطل هذا الاضطراب إلا تأثير الأمر الشديد فيه بل تأثير العذرات أحياناً . قصة « قناع الموت الأحمر » . قصة ممتازة لا أثر للعطف فيها من الناحية الفنية ، وهي تدل على مهارة صانها ومقدرته كما تتماز بطرافة الفكرة التي تقوم عيب .

ويقال عن بو في هذا الميدان إنه يخترع القصة القصيرة ، وإنه أول من حل لواءها . والحقيقة التي لا حدان فيها أنه لو لم يكن بو ، ما كانت الحلات على شكلها الحالي . والحق أن القصة البوليسية بدأت في التوراة كما تذكرنا بذلك دوروني سايرز . وقد اكتشف بو

من هنا وهناك

القصة المأخوذة عند الألمان . وتاريخ القصة العائيلة النجيلة يعود إلى سربو دي جرجال ، أو إلى لوشيان ، غير أن بوقام بعظم وحظوة وأسعة ، لأنه قرب كل هذه الأنواع المختلفة من القصص إلى جمهور وجبهه ، كما وسر بها إلى درجة الكتاب . أما من الناحية الفنية فقد اخترع طريقة فعالة مؤثرة لرواية القصة في قبيل من الكلمات يتراوح بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف كلمة . وكان بوقام أول من أدرك أن على القاص أن يرمى إلى هدف معين ، وأن كل ما يقال في هذا المجال يجب أن يكون له علاقة بهذا الهدف ، حتى يستطيع القارئ أن يرى كل الحوادث محتملة كالتق في الحاض ، فمن الأساطير الأولى لقصة « سقوط آس شر » . يشعر القارئ بأحوال الناس الذي تحققه الكلمات ، كما يتوقع الأحداث الفعالة التي تدور عليها القصة . ولا يمكن أن تصور طريقة أخرى أروع ولا أحسن من تلك التي كتب بها فصحاء « الهوة والبندول » و « محطوط واحد في راحة » .

ولقد كان تأثير بوقام في القصة البوليسية عظيم . ومن العصور التي ترقى من هو القصة من الأنواع ما لم يبق بوقام فقد احتداه عدد عظيم من القاصين أمثال حاريو وكرين نويل الخ ، أولئك الذين ساعدوا على تطور القصة وعوها . وقد اعترف كرويل دويل براحته بفضل بوقام عليه ، كان التزامه الحرسية لقصته حركت القاص وأهنته عند حاريو وكان بوقام واضح أقوى تقليد في هذا النوع من القصص . وهو وجود شخصية أخرى إلى جانب البوليس السري تشتمل وتدش وتزمت من حوادث القصة حتى يكشف البوليس عن أخفيتها وإليه أيضاً يعود الفصل في بدء القصة يحدث نام في داه ظهر فوه إدراك البوليس السري للأمر حتى سبب القارئ للمعجزات التي تنتج في القصة نفسها . ففي « حريمة في شارع مورج » يرى دويل ، رحى البوليس السري ، يرد على أفكار جديدة إلى ما يمكن قد حدثت عنها شيئاً ، ثم يصر أنه دويل بعد ذلك الطريق الذي اتبعه في رده على تاملاته . وهذا يظهر عبقرية بوقام الطبيعية من ناحية بيان القصة القصيرة . وهكذا ساهم بوقام نصيب في هذا الفن من تسليط القارئ مع مساهمته في مبادئ أخرى للقصة . ويحذر أن نقف قبلنا عند القصة البوليسية من ناحية أبداً مفهومة من مظهر ثانية بوقام وطبيعته ، فهي تمثل على شكل قوى رغبته لظننه في إظهار بقوة على الآخرين . وكثيراً ما قال في كتاباته إنه يستطيع أن يجعل أي رسالة صلبة على العار حريمة تكون مكتوبة باللغة الفرنسية أو الإيطالية أو الإسبانية أو الألمانية أو اللاتينية أو اليونانية أو أي لغة من لغات هذه الأمم . وقد احترق أحد القراء فأظهر براعة هائلة بالرغم من أن الطريق الذي سلكه يبدو الآن سيظ ، ولكنه يدل دلالة واضحة على إيمانه بقوة دكانه ومقدرته .

وقصة « وليم ويلسون » قصة رمزية . وهذا ميدان جديد في القصص ضجح إليه بوقام وكان يأمل أن يوفيه حقه . ولا شك أن الفكرة التي دارت حوله القصة كانت بوانه لأسكار ويلد عند ما كتب « صورة دوريان جراي » . غير أن بوقام وليم ويلسون تكلم عن شخصية مزدوجة ، لا صورة ، ينسب إليهما صراع عتيق ينتهي بقتل الشخصية الشريرة ، ولكن بعد تحطيم حياة بطل القصة . وفي هذه القصة بعض الحقائق الواقعية ، إذ أن القناد وحدوا صلة بين حياة وليم ويلسون المدرسية وبين ذكر بوقام عن هذه الفترة . وتعد هذه القصة جميعاً عما كان يشعر به بوقام . حقاً أنه لم يرتكب جريمة كما لم يتم بأعمال مزرية كما فعل وليم ويلسون . ولكنه أنفق قواه ومقدرته على العمل ، واستسلامه لأهوائه خب آماله الذين كانوا يطمعون

سب ، ونرى نظاره بصورة مجسمة وشعر منه عظيم وأنه عبر عنه بكل قوة وجمال .
ولا نجد في قصص بودلير أبداً حبس مما نجد في « سقوط آثر » . فافضة هنا صورة
بأنه بما فيه بو من آلاء أزعجته . وما الصورة التي تصور ما لنا هذه القصة إلا امرأة لروح .
هنا نجد علامة لأقصى مسحة ساهم بها بو في الأدب العالي . والقصة عنوان للضيق ، غير
أنه من يعرف النفس في الضيق إلى هذا الحد استمدت قوتها وروحها . ولا شك أن روح
بو تحلت بها على أكمل وجه مما حسبا إلى المعجدين بها من غير الأمريكان . فهذا ولقوتها
ولاسرافه في أوصاف الشدة وطريقة عرضه للأمور ، تعد هذه القصة القصيرة من أسمى
وأعظم ما كتب .

يمكن به قصص من الأدب الأول وشاعر منه حبس ، أن كان كمالاً إلى حالة اتصال
أساسي متطور معلى . ثم به بعد ذلك ، وعلى وجه أوضح ، مصدر . بالحركة الروحية
التي قامت بعد موته واستمرت بعده نصف قرن . ولا شك أن معرفة بو في الأدب الأمريكي
لا تساهل في هذا الباب ، لا ولت ويتبين شاعر .

رحمت مدم الخربث مويه بعض قصص بو . ومن هنا بدت الحركة الرمزية التي بعد بو
منشأ : إذا أنه وجد في بودلير تليداً متعمداً قهر حياته على شعر حكمة استاده وتعاليمه
واستطاع مؤرخو الأدب لرجوع سداً الحركة الرمزية إلى ذلك الوقت . ومع أن عناصر
هذه الحركة وجدت أثناء الحركة الرومانسية ، لوجودها عند كوردييه مثلاً ، فإنها لم تقو
وتظهر إلا على يدي مبدعها بو وتلميذه بودلير وفيرلين ، وقد كانا في دهر ما في داخل
غرب ، خارجها . ولم تكن الحركة الجديدة إلا رد من شكل أحداث ذلك العصر ، فهي ثورة
على التمرات التي حبت بفعل الثورة الفرنسية ، وهي ثورة على الثورة الصناعية وعلى العلوم وما
أشبه . وترى الحركة الرمزية إلى تحريك الماطنة والشعور عن طريق الاشتداد . وتأثير بو
في فيرلين في « فنون الشعر » Art Poétique واضح . ولم يكن فيرلين يحاول اقتفاء آثار
بو الأدبية ، بل حاول تنقيده في صرق معيشته وفي سقلامه لأهوائه وشباع رغباته . وقد
أبعت مجهودات بو وآتت ثمارها بعد موته نفس تلامذة المضاء فيرلين وبودلير ، فاندفع
الكتاب الأوروبيون وراءهم في هذا التيار الجديد . ونجد دالارمييه في « حلم لانيه »
reve caressant يترجم شعر بو ترجمة حمية . وكانت عناية بو باللفظ والتأنيذ السية وقوداً
أهلت الكتاب من بعده ، حتى إن عناية ريمو باللفظ فاقت عناية وأصح هذا التقليد . وضمت
الحركة إليها مابولك في شعبيكا وغيره آخرين في البلدان الأوروبية . وأخيراً بعد مبعث
الشاعر الأيرلندي ، وهو أعظم شعراء عصره ، وريث بو الوحيد .

على هذا النحو تتجلى عظمة بو وتلامذته بهجم قوم استسلموا لأهوائهم وأشبعوا رغبتهم ،
فانغمسوا في الشراب والمخدرات ، وحاربوا وتألوا ، ولكنهم أخرجوا إلى العالم حلالاً جديداً رآه
في حياتهم ومؤلفاتهم . ولا شك أن آثار بو لطريق من صرق أجناس ، حمته أحد هؤلاء
القتال الذين يؤدون أجل الخدمات للأدب والانسانية .

رمية قسيمي

شهرية السياسة الدولية

لعل أهم سمات السياسة الدية أن كل شيء فيها لا يزال معصاً على رغم ما كان من اجتماع
 عدة لأمم المتحدة، وانتخابات مجلس الأمن واجتماعه وإلزامه كثير من مشكلات الأمم، حيث
 لم يتخذ قراراً طوعاً في مشكلة من المشكلات التي تميرت، ولم يكن من الممكن أن يتخذ قراراً طوعاً
 لأن طبيعة السياسة الدولية، تتغير بعد، وليس من السهل أن يتبأ أحد ما لوقت الذي يمكن
 أن تتغير فيه. وطبيعة السياسة الدولية هذه تقتضي أن تحل المشكلات العالمية بالاتفاق
 القرائي أو بالارادة المصنف. والدول التي تمكن أن تتفق وتراضى أو أن تحتصم وتحترق
 لم تصل بعد إلى أن تقارب بين آرائها ومذاهبها، وهي ليست مستعدة للحرب ولا راضة فيها،
 بل هي تعصب أشد البص وتعر منها الآن أشد الفور، لأنها لم تحسم بعد ولا يشتر أن
 تحسم قبل وقت طويل من أعابها الثقيلة وإثما البقيض.

والنتيجة التي كان العالم يظن أنها ستحل في آخر نهاء الحرب بوعدها. أحدها يتصل
 بالصلح بين المستعمرين والمهيمنين، ولم يكن من شأن هيئة الأمم المتحدة ولا مجلس الأمن أن
 خصها فيه، وإنما أصره إلى مؤتمرات الصلح. وقد اجتمع مجلس وزراء الخارجية لدول
 مجلس السكبي في الحريف الماضي محاولاً أن يمهّد لبعض هذه المؤتمرات فهم يهتبع ذلك، لأن
 أعضائه لم يتفقوا. واجتمع ممثلو الدول الكبرى الثلاث في موسكو ليصيغوا معاهدة السلام
 ، يصلوا ما انقطع من أسس الخلاف، وقرروا أن يفتحوا أول مؤتمر من مؤتمرات الصلح في
 شهر مايو المقبل بباريس، وأن يتأنف القهيد هذا المؤتمر.

وأهم ما سيمضي به هذا المؤتمر إعطاء الصلح مع إيطاليا. وسنرى أين يقف المتصرون على
 روط هذا الصلح أم يختلفون. هناك مشكلة لمستعمرات الإيطالية أورد إلى إيطاليا أنه توضع
 تحت الوصاية. ماذا كانت الناية طمن تكون هذه الوصاية؟ الدولة بعينها أم للجنة التي تمثل
 هيئة الأمم المتحدة أم للجامعة الأمم العربية بالناس إلى بعضها دون بعضها الآخر. وإذا
 سمحت تحت وصاية دولة بعينها فما عسى أن تكون هذه الدولة بالناس إلى هذه المستعمرة أو
 تلك؟ بالناس يعرفون أن مصر مثلاً تريد الاستقلال التوية، فإذا لم يكن من وصاية فهي لا تكونه
 أن يعود إليها بهذه الوصاية. والناس يعلمون أن روسيا تريد أن تكون وصية على طرائس.
 على أن هناك مشكلات أخرى أوربية تتصل بإيطاليا، أهمها ما بينها وبين يوجسلافيا من خلاف
 على بعض الأقليم وكانت روسيا تؤيد يوجسلافيا، ولكنها تحولت فجأة عن موقعها ذلك
 أحدثت تدافع إيطاليا. وحسن بعض السياسة الاتحادية يشفقون من عواقب هذه المداعبة
 الطائفة. فكل ما يتصل بالصلح معاني إحد إلى شهر مايو على أقل تقدير.

أما النوع الثاني من المشكلات فهو الذي يتصل ببعض الأمم المحررة والدول التي أعانت

أحمد. على حرب أو شاركه في العمل أنقأها. وقد أثمر بعض هذه الأعمال أمم
مجلس الأمن. ولكن مجلس الأمن بعض ما شيء، ولم يكن يستطيع أن يفتي فيه
شيء عام دون أن يفتي على نفسه وودك أثر لدية وملك إلى المختصين أن يحد
مشكلاته المدعوت. هذه مدعوات من روسيا وإيران. ومفاوضات بين سوريا ولبنان
من ناحية وبريطانيا العظمى من ناحية أخرى. وهذه كانت بين هولندا والامينيوسيت
قد ركت مسألة اليونان معقدة، وأشير أن هذه مفاوضات حبة أخرى شأنها بين بريطانيا
العظمى وروسيا وإن كان لا يخفى يعرف هذه الاتفاقات. وقد احتجت تركيا مع تعمر
شؤونها حتى مجلس الأمن وبنها وقت قوية تستعد لبقاء أرى. ثم مصر فقد اعلى وزرا
خارجيتها أن شؤونها أن تعمر على مجلس الأمن ثقة منه بحسن بية البريد بين. بل يقال إن
أعلن أن مجلس الأمن ليس بمجلس. لمصر في شؤون مصر. وقد ساءت أحواله التي كان
يتصامن معها ذلك. فاعل رئيسها في البرلمان أن الحكمة من نصرة ترى من حقها الانعزال
إلى مجلس الأمن إذ انتمت الظروف ذلك. على أن لسانه نصرة قد أثبتت بين الحكومات
المصرية والبريدية. فأرست أنه في الثانية مذكورة رقيقة رقيقة تطلب. ثم تحديد موع
تفاوضات. ورثت الثانية مذكورة رقيقة رقيقة. فليس في هذا مفاوضات بعد محادثة
تعميدة تجري في مصر مع السفير البريطاني.

وعليه تجرى في مصر مع السفير البريطاني .
والذكره المصرية مسألة في الرقي . وفي الذكره المصرية مسألة في الإلغاء . وذلك
نار يرى العلم المصري وحدوث سطر ب شت ع سقالة وراية وقيم و . أمة أخرى
مكل شي في العالم معني إن ينظر أن يتفق المختصون ، والمختصون هم الذين يتفقون
الدول الثلاث الكبرى . هل يتفق لفرأ عقوبا ؟ وعلى أو أساس يمكن أن يتم هذا الاتفاق ؟
مد هو السبب الذي لا يستطيع أحد أن يجيب عنه . فزيد وحده هي التي ستحل
وجه الحق فيه .

شهرية المسرح

مصراع الحب والموت تأليف رومان رولان^(١)

كثير المؤلف الفرنسي الشهير رومان رولان سلسلة من المسرحيات عن الثورة الفرنسية
منها تلك مسرحية التي دمجها في الشهر الماضي مرقعة تمثيل الفرنسية . وهي مسرحية تصور
أنا حالة الشعب في الثورة وحالة الفرد أيضاً في تلك الفترة المضطربة من تاريخ فرنسا . وكان
المحور يدور حول الشخصيات السكندرية التي لعبت دوراً مهماً أثناء عصر الثورة ومنهم
روسييه ودستون أو حول الحماسات التي تكوّنت وقتئذ . وكان حط الحوادث في المسرحية
مثيلاً . فهي مناقشت فتوى صفة بين شخصي الرواية عن حالة الشعب لنفسية والمادية وحده

شهرية المسرح

هؤلاء الأشخاص على الثورة معها أو على من تولى قيادتها من كور - س - ر - ب .
 مسرحية كما قدمها لنا المؤلف لا تصلح مطلقاً للتشيل لأن أهم عنصر فيها هو الحوار
 وبتناقض بين أشخاص . وله أنه لم يدخل عليها قصة ذلك الرجل الذي صمى بحياته ليفقد
 من أحبه امرأته لأحقت تمام في المسرح . ولو أن المؤلف قدم علينا أحكازه وخذ أطرافه
 التي يعرضها عليه في « صراع الحب والموت » في صورة قصة أو بحث لكان ذلك أقوى
 وأصح .

أما التشيل ، فقد أخفق بالطبع ولم ينجح في إبراز بعض الشخصيات إلا قليل من شخص
 فداه ميشيل بوجيه مثلاً لم نجده دورها ، بل لم نجده أن نجو هذا على الصاوة . كان
 أصح تماماً في بناءها أنها تطلب من الممثل أن يفتح قلبه على ستمه وأهملت استنكاره
 ، ترت على كل هذا أنه لم تمثل إنما تمت عليه دورها كما يتو التلميذ أمام معلمه ، حفظ من
 لدروس .

ولم تكن مداه يفتن قهاني خبراً من مداه بوجيه في تشيله مع أن ستمه
 فديرة حقاً كانت تلوه الأخرى دورها دون أن تظهر لنا أنها نجو على المسرح شخصية
 التي تمثلها .

أما مسيو جان مرقية فلم يغير من أسلوبه التشيلي شيئاً ما ، بل هو استمر في المحافظة على
 تشيلاته اليهودية ، وحركاته المتعالة ومسيراته العذبة .

وإنما نجح في أداء دوره لا مسيو جان فالكور ، وكان يمثل شخصية رجل هرر
 من القصة إلى الرب ، ولكن من طرفة عين لا امرأة روسية إلى عودته إلى روس له أها
 مرة خيرة من أن يموت . كان يعبر بحركاته وتناطيع وجهه ونبرات صوته على شمال في
 فؤاده من عراء لعشيقته ومعه سبعة ديس كانوا يحرقون فرنسا ويحتارون ذلك الشرده
 من الحمة التي أرادت منه .

وإنما نجح في أداء دوره لا مسيو روسي ويري هو تشيله ممثل فسر
 بداهة أخرج له شخصية كارو بلا تصنع ولا تكلف ، وبرزت فيه الشبه الذي ظهر فيه ،
 المدهود التام في قهيرات وحركاته ، فبدى طبعاً للقاية .

مروءة تأليف كورتلين (١)

انتهت حقة التشيلية مسرحية ذات فصل واحد تأليف كورتلين الكاتب المسرحي المعروف
 وهي مسرحية «دهوء السر» لا داعي للتعميم موضوعها لأب شهيرة جداً ، وقد منحت صراخاً
 في القاهرة خلال سنوات الحرب . ونما مسيو جان فالكور محواً مريداً في تمثيل دور الروح
 لأخبره لنا إخراجاً بديماً نال كل الإعجاب والتقدير الخلق به .

أما مدام جيبيرت جوبير فلم تخرج لنا شخصية لروحة كارسها المؤلف ، بل كانت في تمثيلها
 كارسها تمثّل دور فتاة صغيرة لا امرأة شابة مبروكة . وعلى كل حال فقد توصفت بواحدة
 وكثير من الأحيان ، وهذا دليل على أنها قد أحسنت في الأداء .

Courteline, La Patz chez soi. (١)

لبن أكتوير من شعر الفريد دي موسيه (١)

وليلة أكتوير هي من رثى من الشاعر آهة الأهاء قام فسيبها مسيو جان مرسا
ومدام إيلين قولتي . وقد كان فسيبها رديت مملأ فقد كثيراً من روعة شعر موسيه وعمله
وقد كان واضحاً من حركات مسيو جان مرسا المتكلمة أن الذي قام بإخراج هذه التمثيلة هو
مسيبها جان هرقيه . كانت مدة فسيبها قولتي حامدة لم تحرك يداً ولا قدماً . . . بقاؤها للشعر
بمكان شديد الرداءة . وقد بدت هذه القطعة الشعرية حادثة

استعجبه تأليف جان انوي (٢)

أنت هذه المسرحية مأساة سوفوكلس . وإن كان المؤلف خضع فيها للشخصيات مع
موسيه نفسه . فإن الكاتب الشاب أدخل فيها عناصر جديدة مستحدثة كأدخال تغيير
على الشخصيات نفسها . فكريون ليس هو الطاغية السعيد في حكمه بل هو ملك رحيم
يصدر حكمه على ينجون لأنابا حلفت أو امره بل لأنها أرادت هي أن تموت . انه قد حاول
كريون أن يقدّمه من محال موت ، ولكنها أتت بإقضاء نفسه مؤثرة الموت على الحياة . و
على المسرح شخصية أوريبديس امرأة كريون ولكن سمعاً عنها وعلمت بوقتها حين عشت
أصابها هيمنون . ولم تزل أيضاً تريبس الذي بنى كريون في مأساة سوفوكلس ثم
سجل عليه من مصائب . وكان الحوار في المسرحية يدور حول شيء لم يظهر إلا في عصر
هذا مثل السجور والدر . ولعب المفسر والفهوه المزوجة بهم وأشياء أخرى . وقد رأى
بعض النقاد أن المؤلف لم يتحسن في إدخال هذه الأشياء في المسرحية ، وهؤلاء هم
الحيل القديم ، وأنصار المدرسة القديمة . في حين قد أنجز الشبان أبناء حيث هذا شك المصير
للمستعدين واستبدلوه وقدروا جرأة المؤلف على طرح القديم بالحديث في المسرحية . ومما
وجه إلى هذه الآفة غنية درائمه من قدوما أحدث به من معارب . هذا كله لم ينجح به
وبين النجاح .

لم يكن التعديل في المسرحية طبعاً بل كان في الإخراج أيضاً . فبعد رفع الستار كانت
شخصيات المسرحية كلها موجودة على المسرح في فناء بين قصر كريون والمدينة . وكان المنظر
في غاية السامية . ستر من المحمل على هيئة صنف دائرة في نهاية المسرح وأمامه درجتان
أو ثلاث ، وعلى جانبي مدخل أحدهما مدخل القصر والآخر مدخل المدينة . وبينما كان
السمت يسود الحاضرين أحد من يقوم مقام الخوف يقدم لنا شخصيات المسرحية ويحكيها ويبتدئ
عما سيجد لكل منهم . ثم استحقوا جميعاً وابتدأت المأساة

وقد قام بدور الخوف مسيو جان هرقيه . ومع أن هذه الشخصية من الشخصيات حادثة
لقد أوحى مسيو جان هرقيه لعمه أن يحولها إلى شخصية هائلة كثيراً ما أنارت صمك جهود

شهرة المسرح

من له دراية بهذا النوع من المسرحيات وحسب أن يقول إنه قد فسد من ملامح الشخصية كارتها للمؤلف .

وأخرج لنا مسيو جان مالكور شخصية كريبون ملك تيم . وقد أحاد وأحسن في تمثيله هذا الدور كما عهدنا فيه حسن الأداء وعدم التكلف في التعبير والحركة .

وقامت بدور أنتيخون مدام برناديت له نجح . ولولا أنها حالت بين تمثيلها فلم تؤد دورها بل وتبرز واحدة وبغيرت من نبرات صوتها وعف تعبيراتها في بعض المواقف ، لقلنا إنها أحلت كل الاجادة في هذا الدور .

وقد رأينا أيضاً تمثيل مدام جيلبرت جسد في دور مربية أنتيخون إذ أخرجت هذه الشخصية بما فيها من سذاجة وحنان وعطف على الأميرة الأفريقية النضلة .

والقصة مختصر هنري ساهم في نجاحها . وهو دور رئيس الحرس . فقد أعجبنا حقاً بأسلوب مسيو روبر أو برى الذي قام بتمثيله .

مع كل ما أحده المؤلف من منحة الحديث في هذه المسألة القديمة ومع كل انطباع التي أحدث بها المنفذ طبعاً لما ند من أن نعرف أن مسرحية أنتيخون كانت تحمل مسرحية دامت إلينا في الموسم التالي الفرنسي .

بريتانيكوس تأليف جان واسين^(١)

اختتمت المراجعة الفرنسية موسماً التمثيل لمسألة بريتانيكوس . وهي مسألتنا التي قدمتها إليها المراجعة . ولم يكن حفها أحسن من الأولى . فقد كان الإخراج والتمثيل حده رديئين .

تجري حوادث مسرحية في قصر نيرون . في الفصل الأول نعلم من حديث يدور بين حرمين ورفيقتهما أليان أن نيرون قد أعد أمه عن شئون أحسك مع أنه لم يول إمبراطوراً إلا بفضل جرائتها . ولم تكن أحريين راضية عن سياسة نيرون . فقد احتفظ جوني عشيقه بريتانيكوس وأنه لابد شارع في تدبير مؤامرة أخرى . وما تكاد تجري مشاهد الفصل الثاني حتى نعرف أن نيرون بهم حاد بجوني وأنه مكر في طلاق أمه الكثر في ويشجعه على هذا الرئيس المتيق الذي كان مكلفاً مرافقة بريتانيكوس . ويضطر الإمبراطور بحوبته جوني إلى أن تظهر الحفاء لعشيقها . ولكها في الفصل الثالث نعلم لبريتانيكوس أن هذا الحفاء كان مصطنعاً لأن الإمبراطور كان قد أمرها بذلك . وبينما هما يندلجان مسارات الحب يحضر نيرون وقد أساد نارسيس ، لقاء الماشيقين ، فيأمر بالقصص على حرمه وعلى والدته أحريين . وتستطيع أحريين في الفصل الرابع أن تقابل ابنها نيرون فذكره بالدسائس والحرائث التي اقترعها من أجل هتبهما أنها ذات مطامع ولا مهالها كانت تريد أن تنصب بريتانيكوس إمبراطوراً مكانه . ولكن أحريين أدلت عما يسوع سلوكها فامتنع نيرون ببراءتها وعفا عن بريتانيكوس وأعرض عن حبه لجوني . لم يكن هذا الصالح إلا خدعة فقد كان موت بريتانيكوس محتوماً وقد ثبت نيرون على عزمه هذا مستشاره نارسيس . ويحدث في الفصل الأخير أن يدنو نيرون غربته إلى وليمه ويدس له السم . ولما دأب

شجرة المسرح

غير وفاة روثا بك، من صلت آخرين القنات على أنها القنات، وذهبت جوى إلى معد فبست
لتصبح كاهنة في هذا المعبد على حين يفرق نيرون في بأس شديد
ومن شك في أن الأهمال في الإخراج تال من أهم عوامل جعل المسرحية فكاهة
تحو إلى مشهد سرعة لحياتها فيها ولا حركة، وكان أكثر الممثلين شعور مقطوعاتهم وهم خمدول
في ما كنهم، وبذلك جاء العرض مملاً ثقيلًا، هذا مع أن الفرقة قد وقعت في اختيار مشط
لانتكف فيه : استار من الخمدل ترى من خلالها سماء، سابعة الزرقة رائعة الجمال
وما كك لتذكر الأهمال في الإخراج لو أن الممثلين، أحادوا تمثيلهم، ولكن هل يمكن
أن تنجح مسرحية ما، ومسيو جان هرقه يصطليق فيها بالدور الرئيسي : هذا الممثل لا يزال
مجهولاً وشغل ما لهذا جمهور من حقوق عليه، فمن أو ضح أن مسيو جان هرقه قد
الضمير التي لآه مثل شخصية نيرون تمثيلاً مرورياً تناسى فيه أنه يقدم مأساة كلاسيكية غريب
تناسى فيه أيضاً ما يلزم مسرح راسين من رقة في التعبير والحركات، وقولاً إياه مثل
شخصية نيرون استقرأ إذ لم يمثل إلا شخصية مهرج
ولم تكن مداه سوران دافيه تحسن منه تمثيلاً، فقد كان أدائها لشخصية أخرى مثل
وكان مداه لشعر راسين أشد منه سوءاً.
وما كك لتصور أن بعد أن مداه ميشيل تريجه بالتمثيل في مأساة ما دام يوجد في الفرقة
عثة سرعة مثل مداه براديت لويج، ومن الأفضل أن تحر مداه تريجه مواهبه الفنية
للقوديق أم الكوميديا الجديدة، فهي تعمل من جهود في أدائها أو في مأساة - هذا إننا
اقترصت بها آتى عهوداً، في تمثيلها - فهي تدو ما تمتد في العناء
ولم توقع الفرقة في سداد دور برت بيكوس إلى مسيو جان مارس من مداه النص أو
فله الأصل هو الكوميديا.
وأخفق مسيو حوبييه - سيل في شخصية بوروس مؤدب نيرون - جاء تمثيله وحركته
في أصول المسرحية الخامسة على وتيرة واحدة.
ولم ينجح مملاً في هذه المأساة إلا مسيو جان هكور وكان يمثل شخصية مارسس الشقي
بدقاه هذا الدور خير قيام مشعراً ياء، تا يغرى في فؤاده من مكر ستره طيبة لك كاذبة
ودعاه بخفية ادعاء إشار التبر.
ومع أننا نذكر استنداف الممثلين الفرنسيين حضورهم إلى مصر وتمثيلهم بها، ونذكر
مال ذلك من قيمة تقديمه وما فيه من ترفه على النظرة من أهل مصر بمرس آيات الفن
لفرنسي عليها فليس لنا بد من أن نتفق على الذين يجتارون المشين في الأعواء المنة أو
بذكروا أن للظاهرة في مصر دولة وحكاً وتمييزاً بين الجهد والردى، وأن يصطوبوا المنة
في اختيار الممثلين، هو ذلك التبع كل التبع لفرنس ومصر جميعاً

مترى لامل

من كتب الشرق والغرب

قصة عشرين قرناً (١)

لقد نشر أخيراً في بريطانيا كتاب عجيب هو من تسج
الخيال، ولكنه ليس برواية قصصية. وسلسلة الحوادث التي
تألف منها الكتاب تمتد إلى ألى سنة تمر على قسم خاص
من بريطانيا.

وفي هذا المقال نريد أن نصف موضوع الكتاب وأسلوبه
إذا يتظر أن يكون نجاحه كبيراً.

نشر في سنة ١٩٣٧ كتاب هو من تسج الخيال ولكنه ليس برواية قصصية، بل هو في
الحقيقة سلسلة قصص تحت كل منها عن الأخرى، ولكنها مرتبطة بعضها ببعض ولاها حدث
في مكان واحد من أقاليم إنجلترا على مر عصور تبلغ ألى سنة. فالحوادث حدثت في شمال لانكشير
في تلك البلاد الوعرة الموحشة التي تكثف نهر لوف في تلك البلاد فتح المهندسون
ومابيه الطريق سنة ٨٥٠ بعد الميلاد ليربطوا حصون دهاوم، نكونيوم، بقواعد أجريكولا
الستودعات الحربية في أطراف كاليدونيا. ويبدأ الدكتور ادوارد فرانكلاند مؤلف
هذا الكتاب قصته برجل يعمل في غابة تحدر تدريجاً نحو نهر لوف، وهنا يصف المنظر الذي
تج فيه الحوادث في أثناء العصور المختلفة إلى سنة ١٩٣٧.

هو يكتب:

« كان طنين الدباب الفاضب في الجو يختلط بأخريز الرقيق لمياه النهر.
وفي داخل الوادي تسمع النقيق المنتظم لوقع الغووس وصوت تكسر الأحجار
والصخر، وبين حين وآخر دوى سقوط إحدى الأشجار، وكانت الشمس تميل
نحو التلال الوعرة في الغرب، وهي التي غطتها المائات إلى القمة وكان الجو
تقيلاً وعطناً بين أشجار البلوط القديمة يتخللها عبق زهور المراعي
والأشجار للتكرة ».

قد أظهر المؤلف مهارة كبيرة في اختيار منظر كتابه في ذلك القسم من إنجلترا الذي
في مختطاً بطابعه إلى اليوم؛ فشمال لانكشير لم يتغير كثيراً منذ عشرين قرناً، وهناك سبب
قوي من مجرد اختيار بضعة أميال من الأرض تكون في سنة ١٩٣٧ مائة لما كانت عليه
سنة ٨٥٠ بعد الميلاد.

The Story of Twenty Centuries, by Frank Tilsley (١)

ذلك أن المؤلف أراد أن يبرهن أن الناس في وجوده كثيره متشابهون في هذه الناحية الطولية من التاريخ ، وأن دورهم واحدة وإن يحدوا في الزمن والمكان والبيئة والخلق وأن بعض الصفات والصفات قائمة بحكمة شاد الخلق الانجليزي ، وأنها قوية الأثر على أقوى من كانت من قبل ، ولم يكن مجرد مصادفة أن سمى هذا الكتاب «**الأمم**» (١)

كان الدكتور فراكلاند حكما حدي في أنه لم يعمد على التثنية في مرآته ، فقد كان من الذين يخلق أشجاره متشابهين في الظاهر من جبل إلى جبل ، ولكن الدكتور فراكلاند حمل ما هو أهم من هذا بكثير ، فهو ينصرف إلى بين السبب الذي من هؤلاء الرجال والناس على تلك الذي سلوكه ، وهو يبحث عن هذه الأسباب في الأرض التي نشأوا ، يحملوا فيها وز تاريخ الأزمان التي كونته والتي كونوها هم بدورهم ووصفه في كتاباته لسبب الرعية قوى وبعبء غير المطفة وحال من النصيب ، هو لا يكتفي إلا لغرض :

«**كان ذلك في مساء أحد أيام الحريف في سنة ١٩٥٥** وحضر التلا المحلقة مناهات على حاد الوادي كآب ساط من المبرط النحاسي القوي وأران الأصفر وشجر الروان الأحمر ، وقد عاى الملوط الصغير الآن ، صار مردها ينطفي جوانب الوادي وربط كان هذا علامة على تنفس الشعب الانساني لاني ودي نهر لون وحدها في ولاية ريتز - الرومان القديمة بأسرها . وكانت القرية لا تزال قائمة هناك ، ولكن ليس معها ، نفعه عشر من الأسقف المدينية ترتفع فوق خائض الذي يكاد يصبه البلاد والنباتات المتسلسلة . وكان الطريق مرسوما بدقة وهو يربط بين الحشائر وهو صار المستنقع مجرد أثر أخضر صغير تظلم أمام انحسار المياه » .

وبرى الطريق الرومانى القديم قائما على من القرون ولونه صار في ثم كرمه عر ، القرية تنمو ثم تضمحل ويدمرها انميرون ويحرقها لاسكتنديون . وفي القرن الرابع عشر يتصب صاحب الأرض من البيوت الخشبية التي حترقت من مدى ذكرى النثر ، فيبقى قاعة مقسمة ذات برج من حجر ، وهذه نظر قائمة كجزء من صاحب الضيعة الذي تحدث له تصيرات كثيرة في القرن الحادي ، وما أن استكبر من الحدا التي بنى بها البرج هي من حجارة منزل قديمة في القرن الأول فذلك وحدها ترفع من الرومان والسكسون والديمركيين والنورمان معصور أسرة تيودور المذكورة وعصور العرش الشيمان والرجال الذين عاشوا في أول حكم الملكة فيكتوريا وفي القرن العشرين وتحد زوجة ناظر المدرسة مرتبطة إلى دار أجداده يربطه منى سري هو بدا ، الدم والرباط يستمعي ضمه وتحليله حتى على المنطق المادى المجرى .

ورجال هذا الوادي هم خليط حش ، منهم أسرة «**أونويت**» التي بنت دار صاحب الناحية الأول ، ومنهم المزارع بريت وهو رجل غليظ ، ولكنه من روح ذلك الاستغلال المت

من كتب العرق والغرب

التعدي غير انه يقول اننى سمع بالرجل الانجليزى إلى سلاحه . و هو في نفسه انوثت
الذى مثل نصار كرومويل الحديدية في صيد ذلك شوب . و قد يكن ذلك عن اعتقاد بأنه
مدافع عن جانب الحق لان لاه لا يريد ان يرى الرجال يقاتلون في معركة وهو واقف مع قدر
الفتوح . و اننا نجد متضادة في الحق الانجليزى تلك الكراهية بسلامة حتى حين يبد
الآخرون دماءهم ، و لقد بذل فرانسيس أوغوت دمه في هذا السبيل .
ولقد عرفت . سى أوغوت نفسه للمسى من أجل اليقظة بين في حين صورد روحها و هم
رجل شعاع من رجال حتى سكتة ، حتى اني حقه . وذلك في زمن كانت الحياة فيه و
. دى مستقرة و أكثر رضاء من أى زمن سابق .

حتى إذا ما جاء دور مسز ستا السيدة مهددة التي عاشت في لندن في عصر فكتة رضاء
بها كرهت ذلك لموقع « هت في الشمال بعد الطبقات الدنيا تتدحج بوحدة في حياة الانسان .
أصواتهم العالية متوحشة لا تتجمع في حفرة السادة و واقف أنهم كادون بظهور
استقلالاً نوراً في مسكهم و يظهرون من الاحترار أكثر من التطلع عند رؤيتهم أحسن
بدو عليهم مظاهر الرضاء .

ولكن ترى ان بيت أوغوت أحد في الاستقلال و أنه دار محجور . إلى ان شهد رضاء
طر الدوسة في القصة الأخيرة في ترجمه

ولست أعثر في القرن العشرين للعصر الذهبي للدور الأنثوي ، ولكن من المستحيل ان
يركتاب الدكتور فراسكلاند من غير ان يحصل في تبعه هي أنه عصر مردود للرجال
النساء . و ان هت سعة أساسية في جميع أشخاص هذا الكتب يشكون فيها من قرن إلى
ان . و هي ان نحن نطهر مصائلهم . و هي نوع من التعدي ترفع من نفوسهم . كأنهم يتفنون
نوعاً من مصيرهم .

لكن الدكتور فراسكلاند إذا كان يصعب ربما بمقد عشرى قرناً . و كتب هت
من . و أعتقد أنه سيكون محط الأنظار في هذا الشهر .

فرائد تاليف

(مقال خاص للمجلة ترجمة ح . م .)

الادب الفرنسي في عهد الاحتلال

عاشت فرنسا أشهرها أكثر من أربعة أعوام طوال ترسفت في القيد و تحت نير الاحتلال
نحو شهر يونيو سنة ١٩٤٠ حتم صمت محقق على «ريس مدينة اللهو صاحب والعد الزاهر
الفكر الرفيع ، و أصبحت بين عشية وضحاها مدينة الأتراح بعد أن كانت موطن الأبراج
بعد علي صمت رهيب ثقيل و حفت صوتها ، و انقطعت كل صلة بينها وبين العالم الخارجي ، و لم
سمع عنها أولاً إلا ذلك الآيين الحزين أبين شعرائها المنتحيين ، معروف الناس أن الحياة لم
مرقها بعد و أن أنقاسها لا تراه تردد صيحة الحرية والأمل . ثم ارتفع ذلك الأنبي الذي
سه العزاة حشرجة ، ارتفع رويداً رويداً حتى ملأ أجوار الفضاء و عم فرنسا كاهب . فسمى
سرقة تدوى في السماء تصم الآذان و تهتف بروال الدل و بشن حرب عوان على الحقنة
والفرقة الناجحين .

حدث مرصانه في شتاء مشيت من دهش الصدمة الأولى وهول الكارثة التي حلت بها،
 واجتمعت فئة من الكتاب الذين لم يدعوا استطاع القوة الناشئة ولا لأمر تنكس الأمواه،
 وأسروا في أحياء دار بصحة ودفتر لإصدار الكتب وجرى بها، لحض على المقاومة ولت
 الأمل في السمع، وحل شلة الفكر التي إن دوى وهي شديده لا تطفئ أداً. تألفت
 تلك فئة من كتّاب وشعراء عديدين محتفي لشارب مؤثري العرب ينسبون لكل الشاعر
 السياسية، وألهم شعور جميعاً لوصول في غصاة القومية، فكان منهم الشوغي مثل الشاعر
 أرخون، وكان منهم كنانو كي مثل (روني مرسو موريك صوو) أحواس على أجزان
 القديمة، وحدثهم على خلاص من رقة الاستبداد. فقاموا درأ للشر سموه «دار
 منتصف الليل» Les Editions de Minuit وقد أثار دوا سمه النسبة أن تكون مرصاً
 حمله في أحياء تحت ستار الليل ليل الاحتلال حدث به وقد وسده العزم على سيرة صناعه
 حتى يظهر نور الحق ساطعاً متألقاً في سماء الحرية.

فمت هذه الدار أعمال جليلة بعثت شعلة دائرة ورصد حاش فائقة واستغناء للأحبار
 الدائمة، بدأت تظهر الكتب في الحدا ونشرها بين الناس في حدا، من نورها سبهم أحياء،
 دورهم رغم مطاردة احتجوا هم ورغم صرامة العناص الذي يهددهم، يد كل الأعداء
 جزاء من يغمز به في قبضة العدو. وكلم من دماء طاهرة أريقت! وكلم من نفوس بريئة أزهقت
 لسييل القيام بهذا العمل الجليل. وما فتئت هذه الدار تنشر روايات الأدب حتى من شعرون
 بين قصة تحت وقصيدة حتى حدا، يوم التحرير، فظهرت بين الناس بحبة الدم وصدة عجب
 شوراً في سنده من تشجيع وقت أدم، وبما أحيه من آلام وقت أدم، ونا قدمنه من
 تحف أدبية أتمها، صباغ الفهم الروحية، شوراً لتردد صدى صوتها أية الصمت.
 وأما لأن عرس على المدى لمرق صفحة من روايات تلك الأدب حتى كانت مطوية،
 وأحدثه من كتب صدر لأول مرة في باريس في ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٢ كان له أثر عميق ل
 نفوس الفرنسيين: مشاعرهم وثمار همومهم، وعمت شهرته مرت كها على تعدتها إلى العالم
 أحرار حتى، فظهر الكتاب في محفظة اللغة الفرنسية أولاً، وقد سريت نسخة منه إلى أثناء
 الاحتلال من ثم نقل إلى الأنجليزية فذاع صيته في العالم بأسره، وبأدورت مجلة «لايف»
 الأمريكية بتقديمه إلى ملايين القراء الأمريكيين فأعجبوا به إعجاباً جماً.

أما عنوان هذا الكتاب فهو «صمت البحر» Le Silence de la Mer وأما مؤلفه فقد
 اتحل لنفسه اسم «فركور» Vercors وهو اسم مفادعة فرنسية تسمى «أولف» سمها به
 كان يقوم فيها بأعمال المقاومة السرية ضد الألمان. وغنى عن القول أن جميع الكتب التي
 أسسوا دار «منتصف الليل» استحووا على الأسماء المستعارة لأحدهم شخصياتهم الحقيقية حتى
 لا يمرضوا أنفسهم للخطر.

وقد حلت شخصية «فركور» سرّاً مكتوماً أثناء الاحتلال، ولم يستد أحد من القراء إلى
 معرفة الرجل الذي يستقر تحت هذا الاسم، واستمر. وقد ذهب الجمهور في سبيل التحقق من
 مذهب محفنة، ووطن أغلب الناس أنه لا بد كاتب معروف أو شاعر من الشعراء الباهين،
 مدللين على ذلك بطول بعه في الكتابة وجمال أسلوبه ورقة حسه. وقد خبت الحقيقة هذا
 الاعتقاد فظهر أن «فركور» رسام لا كاتب، وأن كتابه «صمت البحر» أول عمله
 في الكتابة والتأليف، إذ لم يسبق له قبل الحرب أن خط حرفاً. وزاد هذا فراءه إعجاباً به.

ألف « فركور » قصته في شهر أكتوبر من عام ١٩٤١ ، وهي قصة قصيرة جداً لا تزيد عن ستين صفحة يسلمها كتيب صغير الحجم مع رفة وروعة .

أما هذه القصة فيرونها شيخ هرم يقطن مع ابنة أخيه الشابة معزلاً بسيطاً في إحدى المدن أو القرى الفرنسية قصد المؤلف عدم تعيينها ، فهي مدينة أو قرية تقع في الريف ، وقد حرص عليه أن يصيب في بيته المتواضع ضابط ألمانيا ، إذ كانت القيادة الألمانية تعرض للزلاء مرصاً على السكان الفرنسيين في المدن الصغيرة التي لا يتوافر فيها مسكن مريح لرحلها

هذه ذات يوم ذلك الضابط الألماني وأفاء في المنزل واستقر . كان « ورنفون أرنالك » رجلاً طويلاً القامة جميل الظلمة حسن الهندام . وقد اعتاد طوال مدة إقامته أن يقضي بعض الوقت في غرفة الاستقبال حيث كان يجلس الشيخ يدخن غليوناً ويحانه ابنة أخيه تظفر يوماً أو تقرأ كتاباً ، وكان « ورنفون أرنالك » يظل واقفاً بقرب المدفأة يتحدث أحياناً معه بلغة حديثة ضوئاً متنوعاً إلا أنه كان يتحدث دائماً وحده فلا يسمع إطلاقاً صدى لصوته كأنه يقوم بدور تمثيل في مسرح خلوه من النظارة ، إذ لم يشاطره أحد ولم يلتفت إليه أحد ، كان لم يكن ثمة منكم . والاصفاء إليه عده بتعبه الشيخ والشابة دون حراك أو همس . وكل منهما منهمك إما في التدخين وإما في التطرير إلى أن ينقطع الضابط عن الكلام من تقاه نفسه ، ويختمه بقوله « أتمنى لك ليلة سعيدة » ثم يأوى إلى فراشه .

طل « ورنفون أرنالك » يسترسل في الحديث العذب يوماً بعد يوم ، يتناول نبرة حبه بلطف ومسقط رأسه يصف جماله ، ونبرة إعجابه بفرسا وشغفه بأدبها وأهميتها في هبتها من هبتها ، وثامها مع ألمانيا ، وتارة أخرى يتحدث عن الموسيقى وولعه بها ولوعاً حداه به إلى أن يؤلف قطعاً موسيقية . هذا والشيخ متعريف إلى التدخين والفتاة لا تفرح — أو بالأحرى تفرح — بأنها لا تفرح — أي اهتمام ، إذ كانت منككة على تطريزها مضطحة الرأس لا ترفع صرعا . ويظل شيخ الصمت حائماً في الغرفة لا يبدده إلا صوت الأذن وحده إلى أن تنحب ساءت نوم فيقول عبارته المشهورة : « أتمنى لك ليلة سعيدة »

عتاد الأناقي أن يتحدث كل ليلة كأنه يحدث نفسه دون أن يمتريه كل أو ممل . وكان شاباً حبيبه يرمق الشابة بطرات عميقة بن يشب بطراته فيها ملاً أن نفوه بكلمة واحدة بـ « بظرفها » إليه وهي لم يتغير موقفها بأنها تمتاز جميل لا أثر للحياة فيه تنسك لها صمت مطبق رهيب يشبه فلاممه موحشة . لا تخرج شفتاه عن كلمة أو انشمام

كان ورنر رجلاً عذب الحديث حلوه التمثيل رقيق الشعور مرهف الحس ، كان موسيقياً يتحدث عن باح ويبتوهن حديثاً يدل على أن الموسيقى تملأ حواسه وتهز مشاعره . كان يعتقد أن ألمانيا بعد أن هزمت فرنسا في معركة شريرة سوف تمد لها يد الصداقة والمساعدة ، وأنها تنو أن تعيش معها حياة هادئة مبنية على حسن الحوار . كما كان أمل أن تهدد فرنسا فيلداً من حفرسة الألمان وتشد عضونهم تحتهم يتعلمون عن التسوء والعنف . وكان يعتقد بل يؤمن أن الحرب التي شنها هتلر في أوروبا يقصد بها خلق جو من الوئام وسلام بين القطرين متجاورين . فبكل أحدهما الآخر وتتوق أوامر الصداقة والحب المتبادل بينهما

محدث أن تمس ورنر فون أرنالك صمعة ياء وسافر إلى باريس ، واستمرت حياة الشيخ بالهانة كما كانت . إلا أن شعوراً غريباً غامضاً حالهما أثناء غياب الضابط الألماني ولم يصارح أحد من الآخرين بأنه يفكر في الثالث ويشعر بشيء من الأسف والقلق لا خطاعه عنهما ، وكان

وكانت له، يسلمها الأرواح ويعملون على بناء تراث فرنسا، تراث وثقافتها، وتطلع
أولها، وزادها، أرادوا أن يبقوا من حين ذلك، سرقة حتى لا يطلع
بها الشعب الفرنسي كما حدث في القرون الماضية، لكي يتعلم الفرنسيون بعد
ويعتدوا بقوتهم، لا بالمال، ولا بالشعر، وهم، وبما كانوا، في هذه الحق، ويشندوا
عنهم موقوري الكرامة.

وهي أيد قصة مرسيا، التي قهرتها القوة المادية البتة، ولم تعلمها، من احتفظت
روحها سليمة، لم يزل منها العصف الذي صاب جسدها، ولم تعلمها طريقاً للبقاء، على
فكرها الرفيع، أو لاداء كرمها العلى الخيرة، ولم تعلمها طريقاً للبقاء، في مصيرها، في
مستقبلها، ولم تنجح عن منها حياً، ولم تترك بأس سبلا في قلوبها، وإن صحت، وإن
وقوت متناومة سلبية، وعادية مادية، وروحية، تورت حده، ثقافة البشر، وتأت وتأت
وتحلت، وتأت في صمت رهيب، في تورات حرفة كصمت البحار.

وقد بين المؤلف أن الحاجة قد تغير الأمتة، تملكها حياً، ولكن العتث والمهمل، في
الديوية لا تلبث أن تعوق نموها، وتضع شعورها، فقد حولت القادة، الذي يد، لت
شعورها نحو القى الذي لأنه كان يشمى إلى قوم، ولأنه بعد الأعداء، المتعصبين، من
جرعوا الفرنسيين كؤوس الدل، والشرارة حتى الحشة، وكان روحهم هامت به، بد شعنت
شاعرته، ورقة جناسه، ونجحت بميله لموسيقى الرقعة، فذهب سر حاله، وشو نكته، وسعة
آفاقه، فاستسلمت فيها بعد أن نالها طويلاً، ولكن سرته في صيف وطوته في قسها، المتفرد، في
وهي موقنة بأن الغنى مدله في غرامه، وكلامه لا يوح إلا حبر بصره، وكلامه يشبه بها
مؤلف روحاً، وعقلاً، وأحد، يكن، ولكن القادة، تدعى لهوه، وم نصح
لنريتها، وتأت في صمت رهيب، في صمت حبيبي كصمت البحار.

فؤاد رضى أبو الذهب

من وراء البحار

أحداث ألمانية بعد الحرب

يقول العالم الآن دائماً ماذا يجري في ألمانيا ؟ وكيف يعيش الألمان ؟ ومم يفكرون ؟
لقد حلت الصوت الألماني بعد أن ظل ست سنوات مطمح أنظار العالم .

وقد اطلعا أخيراً على مقال للأديب الأشعري ستيفن سبندر ، نشره في مجلة هورايون
(عدد ديسمبر) وصف فيه رحلة قام بها إلى بلاد الراين ، فذكر ما وجدته في مدينة كولوب
الكبيرة من تخريب عجيب ، حتى بدا له لأول وهلة أنه لم يبق فيها دار قائمة ، ولكنه عزم فيما بعد
أنه لم تنق في تلك المدينة العظيمة غير ثلاثمائة دار جديدة بالسكنى ! وقد عزم المرء في شارع
صد شارع هذه الشوارع مفتوحة قد أحط بهاسود الخريق ، ويرى الشوارع مليئة بأفواج من
الناس سائرين من غير مقصد ، وكان هؤلاء يمضون أوفهم منذ سنوات قليلة في الترح على
قواعد الجوارب وما فيها من معروضا تبينة أو في الذهاب إلى السينما .

على أن ما يريد أن ننق من وصفه ، هو زيارته لأستاذ ألماني في مدينة بون ، كان يعرفه منذ
نيف وعشر سنين ، وهو رجل كان معادياً للنظام النازي قبل أن يتولى هتلر السلطة . ولكنه
لم يهجر ألمانيا بعد ذلك بل عمد إلى العزلة . وكانت داره مجتمع أولئك الذين يتقنون النظام
القائم في ألمانيا وتشد وبخاصة من الوجهة الكاثوليكية .

ذهب « سبندر » إلى روبرت ، فوجد غرفته التي كانت مبنية بالآلات حسنة الاصاغة ، حارة
من هذا الآلات وتكسيف العنمة . وبدأ سبندر الحديث بأن قال إنه جاء إلى هذه المدينة ليقف
على ما ذهب من حياة عقلية ، فرد عليه صاحب الدار قائلاً : لم تعد هناك حياة عقلية في سائر
ألمانيا ، ولكن من المهم أن يتحدث أديب مثلك إلى الناس كي يعلموا ما هو حادث في
ألمانيا . وانتقل هما الحديث سريراً إلى حرب ، فبدى الأستاذ أن من الخطأ أن يقولوا أن
الناشئين للنازي كانوا يستقيمون وقف الحرب ، ثم قال يظهر أنكم كنتم تتوقعون مثلاً أن ينف
أو يخرج إلى الشارع قائلين إننا نعارس في الحرب وساهمنا الحرب . فإذا تكون نتيجة ذلك
غير القماء علينا ؟ ومن المؤكد أن هذا العمل لم يكن ليقف الحرب على محس .
ألمانيا ، بل أنتم ، أعني الديمقراطية من إنحجر وفرنسيين وألمانيين . الذين كانوا يستقيمون
وعند الحرب عند احتلالهم للراين لقد كنا نؤمن أن تعلموا ذلك وقتئذ . لكن ماذا
تظن أن فطن عند ما نراكم تسمعون لهتلر بالدخول إلى أرس الراين ؟

— إذن أنت تظن أن ألمانيا غير مستوية عن هذه الحرب ؟

هذا طبيعي ! فمن الواضح جداً أن هتلر هو الذي بدأ الحرب ، ولا ريب في ذلك .
وهو الأمر الذي يجب أن يعترف به كل ألماني . وبالرغم من دعاية جوبلز يجب أن يشجب
الألماني الذي يقول غير ذلك إما جاهلاً وإما كذوباً . والواقع أن كثرة الألمان هي أنهم
يميدون عن التعاطف في الحرب السياسية ؛ فقد ظلوا حتى القرن الماضي محكومين بطغمة من

أماغرا الامراء ، ثم حكمتهم العسكرية البروسية ويجب ان يتحرروا من عادة الاستسلام ؛ إذ هم لم يسبق لهم أن حكموا أنفسهم .

ولما أدى سيندر دهشته من أن الطينة المثقفة لم تطهر أية مقاومة ، وضرب مثلاً للاستادة القديس كانوا يلتفتون القتالة النازية عن تقوق الجنس الحرمانى ، وأمثل ذلك من صروب للدهاب الثارية ، أجب بأن مهمة التعليم كانت تسودها الامكار البارية . فقال سيندر :
- إذا كنت تتم مهمة التعليم بأسرها من ذلك لآمر خطير جداً معناه اتهام الأمة بأسرها .
أجب :

— إنكم قطعتم رأس ملك منذ مئات السنين ، وقم الفرنسيون أيضاً على ملكهم والعلقة الارستقراطية بهم . فأساس الحرية في الديمقراطية هو أنهم يستطيعون في أى وقت أن ينوروا على الديمقراطية . والألمان لم ينوروا قط على صاعية ، وليسوا هم الذين تاروا في الأيام الأخيرة على هتلر ، فالألمان يستسلمون دائماً .

وقد قابل سيندر عدداً من رجال الجامعة في بون مهم مديرها الدكتور كوس وهو رجل في السبعين من عمره ، وجرت بينه وبينهم أحاديث . وكان في هذه الأثناء يتردد على صاحبه الأستاذ . وفي ذات مرة انتقل سهما الحديث إلى مساوىء الألمان في البلاد المحتلة ، فقال له الأستاذ : عندما تكلمت منذ ليل في أمر تبعه الحرب كنت أريد أن أقول لك شيئاً هو أن الألمان مذبذبون وقد ارتكبوا جرائم عظيمة ، وأنهم لا يستطيعون أن يقيموا شيئاً جديداً دون أن يأثموا على جرائمهم . لقد كنت بعد الحرب الأولى شاه وكنت مليئاً بالأمل في نيلنا أن ييا جديدة ، ولكننا أخفنا . وفي هذه السنوات الأخيرة شعرت بازدياد كراهيتي لنسبى حسى ولم تعد أثق بهم . وإنى لأعلم بأنى سأصبح رجلاً نيا متهدماً قبل أن نبرأ من هذا الداء .

أبناء الأدياء في فرنسا

• الروي ريمون جابريل باخايزة الكدى للتحريز وقدرها خمسون ألف مريث من قصة اسمها «الأخوان من الأنصار» ، وحصل جود بيو على جائزة قدرها عشرة آلاف مريث . وأخذ الأدب هنري موندور في جمع مقتبسات من رسائل لمرميه لم تشر بعد ، وشار منها ماله علانة بالشعر والشراء ، وأحد يشرها تحت عنوان «ملاحظات عن الشعر» وهي توضح لنا تطور هذا الشاعر وتكوينه .

وأصل توستان تزارا «الجهور بعد انقطاع خمس سنوات ، إذ قرأ في مسرح فيه كولومبيه نصبيته المثالية المسماه «الفرار» وقد كتبها على أثر حزم الفرنسيين وفرارهم أمام الألمان في سنة ١٩٤٠ وسينشر تزارا مجموعة من خمس وعشرين قصيدة تعتبر بدء الحركة المعروفة باسم «دادا»

ونشر لويس دي فييوس كتاباً عن لامنيه أو «الفرصة للضاعة» وفي هذا المؤلف يصف المرائد الداخلى في نفس لامنيه ، و«مساة الكبية وهي في متفرق الطرق» . وهذا الكتاب هو قصة الكاثوليكية أمام تقلب الضاعة وسيطرة رأس المال . وقد أصدر المؤلف في كتابه دراسة في فن الرواية مع سعة الاطلاع .

وكتب هيدجر زعيم المدرسة الوجودية تداً لجان پول سارتر ، فقال إنه لم يسمع من
الإلحاد شريكاً أو ثلاثة ، وإنه لم يجد في كتابه « الكائن والعدم » إلا كتبراً من الأصحاب ،
وهو يفضل عليه موريس مارلويونتي .

ونكم ميل هيريه عند استماعه عصوا في الأكاديمية فرانكيز عن مارسيل ريفوه منفصلاً
حياة هذا الأديب المتخرج في مدرسة الهندسة . ورد عليه جرومورو « زملائه وأصدقاؤه
المعروفون والجهل والأدنى ، وانتهى من حلفتة ثلاث : « إن مساعدته ستكون قيمة في
وضع القاموس » .

وقد أخذت موجة من الكتب السياسية تظهر في ماء الثأب في فرنسا .
« مندر من تكسية كذا » ، « كتاب في الليل » وهو مجموعة حوشر مؤلفة من
زمن الحجة وتحتو فراءب اليوم . « أصدر مسان أوربول كتاباً ، « الامس والغد » فيه
آراء جديدة عن التنظيم الدولي في المستقبل . « من مسيو جان پول بوسكور قد أخذ في زمن
الاحتلال في نشر كتاب « بين حرين » وقد ظهر اعز ، الثاني من هذا الكتاب وفيه بين
الفرس التي أنشأها الحزب الاشتراكي وأضاعتها جمعية الأمم المتحدة ، وهو يقول : « إن
ما كان ينقص هذه الجمعية هو قوة مسلحة مبرورة بالمحافظة على احترام قراراتها » . ويحمل
بيير هرفيه في كتابه « حياة الحرية » على « المخلاتين للشيوعيين بأراء الدبقة البورجوازية »
وهو لا يرى خلاصاً إلا فيها يقوم به الشعب ويقرره .

وجمع موريس توريز التقريرات قدمها لجناب الشيوعيين في كتاب سماه « سياسة العظماء
الفرنسية » وهو كتاب مفيد يدل على حياة .

وجمع ليون بلوم المندبات التي نشرها في جريدة « الويولير » بين يناير سنة ١٩٣٧
وبوينا سنة ١٩٤٠ في كتاب تحت اسم « الأربع سوف ينكح » . ولا ريب في أن يوم مثالي
الفرقة ولكنه واقعي للنطق ، وقد كان دائماً يأخذ على الحكومة الفرنسية شدتها نحو بلاد
النساء ، ثم ينتقد تحاذيها وضعها أمام ألمانيا وإيطاليا واليابان .

مسرحية جديد لجيرودو

كتب الدفد الفرنسي بيير لا سيرير عدداً تكلم فيه عن مسرحية « معنونة شاي » التي
مثلت أخيراً لأول مرة على مسرح تيبه في باريس ، ومن من تأليف الكاتب جان جيرودو
ولم تكن مثلت في حياته . ويرى الكاتب أن هذا الحادث كان من أهم حوادث المسرح في
السنوات الأخيرة ، وكان جمهور شديد التقدير له ، أولاً ليعود إلى صناع مؤلف « إلكترا »
و « حرب تروادة » و « سيجريد » مرة أخرى بعد أن شبع من المسرحيات الشعبية التي
تقدمه ، ثم ثانياً ليرى جان جوفيه لأول مرة بعد بداية العولية في أمريكا .

ويستحق الجمهور من مسرحية جيرودو منذ أول منظر . إذ ما لبثت السكائن أن اجتهدت
الجمهور ببراعته في العبارة المسرحية وسبك الحوادث وقوة حياته ، وهذا موهود في مسرحية
الشيعة ، لا سيما بعد تحيد هوان برى في هذه المسرحية جيرودو الذي ، فهو يرسم لنا
صورة من الحياة الاجتماعية الحديثة التي « تقول خبطاً من قطن رديء » حيث السالك هو

من وراء البحار

المسيطر عليها . وهذه الهيئة أربها معدودات إذ أنه محكوم عليها أن تذهب إلى غير رحمة ويسيطر في هذه الهيئة الاجتماعية رجال سماه « الملك » وهي كلمة شامية رومها الكتاب إلى مصاف اللغة المسجحة . ولها ما جوده من ثقب الذي يشتمع به نفس زعماء السائل في وسط إفريقيا . وهو يقصد بها رؤساء محاسن لإدارته ومديرين ومتدربين واسكرتيريين العاملين للأعمال والمناظر . ثم هناك زعماء أقل شأنًا مثل متعهدي بحره وغيرهم .

والقصة قائمة على أنه تألفت جماعة من أصحاب المصارف وقررت تدبير حي « شايو » كي تكتشف تحت الأرض ما لتقول فيه الذهب . ولهم في نظريهم أن يصدروا لأسهم التي تحت السس وتحتب بينهم مسيو جوجو الطيب السب الذي جدد أكثر من مرة ومع ذلك على شديد الثقة بالأسهم .

وقررت « ديري » بمسوة ذلك الحى أن تدوم مع العمال . وسمت بالاتفاق مع ثلاث من أعضاء من نساء الأحياء الأخرى كي يقصين على هذه الخريفة . وشبت الحرب بين الأثنياء . منهم من مال وعود وأحدوا بقسور أرباءه الشان ، ومن هؤلاء المسوة للسميات الجسود الثلاث يتقصر في آخر الأمر على هؤلاء أرباءه الخشمين ويقصين عليهم قضاء مبرم . وليس من حجة من عرف جيودود في مسرحياته أن نصف مهارته النقية وقوته لأديسة في مثل هذه الموضوعات .

جائزة الموسيقى دبوسى

أعلنت سيدة أمريكية اسمها مسز مايلندلر من هن نيويورك أنها رصدت مبلغ ألف دولار لجائزة توهب في سبتمبر سنة ١٩٤٦ لأحسن عزف على البيانو يقوم به عزف يوم محدد من مؤلفات كلود دبوسى للموسيقار الفرنسى الشهير .

وهي لا تميز جنسية أوسا أو دب أو تعلقها بل الباب مفتوح للجميع . وستقاء حملات مبدئية في عدة من مدن الولايات المتحدة وكندا والفرنسا في مايو الجدد ، ثم يتقدم من قبله لادارة الأخيرة مسز فرانسكو في سبتمبر .

وهكذا ترى هذه السيدة الأمريكية تصدر ذكرى هذا الموسيقار الفرنسى حبيب نجدد لجردها للفن .

ظهر حديثاً

العقيدة والشرعة في الاسلام تأليف المستشرق العظيم احسان الدين محمد
ترجمة الاساتذة محمد يوسف موسى — عبد العزيز عبد الحق — على حسن عبد القادر
(دار الكتاب المصري)

هذا المصنف وحده يوحى بأشياء كبيرة قد لا يسع في هذا العرس المميز هذا علم من
أعلام المستشرقين الذين عاشوا في القرن التاسع عشر وفي هذا القرن ، يدركنا في الاسلام
بدرس فيه عقائده وشرائعه دراسة عميقة ، ودقة ، وبسطه اكل البسط ، ووضوحه
توحى فيه الانصاف ما استدع الى الانصاف سبباً ، كما توحى فيه الارتماع عن العزائم
والاهواء ما تاحته له طبيعته الانسانية أن يرتفع عن النزعات والاهواء ، وحرص فيه على
ألا يقول شيئاً حتى يردده الى نفسه الذي استطاع منه ، متفهماً نصوص القدماء بقدر ما استطاع
أن يفهمها . فهو إذن يدرس دراسة علمية بعيدة عن التعصب ، والشرعة الاسلامية ، ولما
أصابها من تطور على اختلاف العصور ، وتفاوت الظروف ، وهو قد يخطئ هنا وهناك
وقد يصر عن هذه النقص أو ذاك ، وقد يرضى المسكين حيناً ، وقد يسخطهم حيناً آخر
ولكن الشيء المؤكد هو أنه لم يعتمد تعصفاً ، ولم يكف تشويهاً للنصوص ، ولا تحريفها
عن مواضعها ، ولا تفسيراً للحقائق ، ولا التحكم فيها باليهود واليهودى . وإنما أصاب حين
أصاب لأنه اجتهد فأنتج له التوفيق ، وأخطأ حين أخطأ لأنه اجتهد فلم ينتج له التوفيق
والناس حيناً يصيبون ويخطئون ، لأن وسائلهم إلى البحث مهما تكن متينة دقيقة ، هي
تبلغ حد الكمال في الدقة والاعتناء .

والكتاب يعد هذا كله نموذج متقن من نماذج البحث العلمى الدقيق في تاريخ المبادئ
والمذاهب والآراء ، فيه تعمق واستقصاء للتفاصيل ، وفيه بعد ذلك استعراج الخلاصة
الحقائق العامة من هذه التفاصيل . ويامى أن نذكر أن هذا المستشرق العظيم قد كان يجرى
البحث يهودى انديا ، وأن كتبه هذا لم يكتب للمسلمين ، وإنما أعد ليكون طائفة من
تحدثات تن في جامعة أمريكية . ثم عيّد النظر فيه ، وأخرج على أنه كتاب يتجه إلى
إلى المثقف عامة ، وإلى المختصين في الدراسات الدينية خاصة من الأوروبيين والأمريكيين
هذا اثر ما فتما يقرؤه المهتمون بما يستفيدوا واتفوا ، ولربوا كيف يتحدث العلماء
المستشرقون المنصفون ، أو المهتمون بالدراسة ، عن وعما ورثاء من عقيدة ، ما تفرق ،
من شريعة في حياتنا الديمة والحديثة . ويقرؤا المتخصصون منا قراءة العلماء لما يكتبه العلماء
بمروءة حيناً ، وبكروءة حيناً آخر ، ويتفهمون دائماً .

وقد قسم حول تفسير كتابه ستة أقسام : حصص القسم الأول منها أحد على الله عليه وسلم ،
والقسم الثاني لتطور آفته الاسلامي ، والقسم الثالث لنمو العقيدة الاسلامية وتطورها ، والقسم
الرابع للزهد والتصوف في الاسلام ، والقسم الخامس للفرق الاسلامية ، والقسم السادس

في الحركات الأدبية الأخيرة عند المسلمين . وظهر من سرد هذه الغزوات أن الكتاب قد درس الحياة العقبية الإسلامية درساً دقيقاً مفصلاً ، وحواراً بصوراً مضمناً في سبيل قدس تأتلف منها هروع الحياة الانسانية مهما تكن . وهو عنصر الثبات والاستمرار .
وعنصر التطور والتجديد .

وما من شئ في أن الذين يقرءون هذا الكتاب من المتقنين العرب لن يجدوا في قراءته لذة ومثمة غسب ، ولكم سيحسون من هذه القراءة ثمرات لا تستفاد كثير منهم أن يحسبوا من قراءة كتبنا القديمة التي بعد العهد بنينا وبين علفا الحديث

ففي نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية خدمة عظيمة للثقافة عامة ، وثقافة الإسلامية خاصة . هذا أصمت إليه أن الكتاب لم ينقل إلى اللغة العربية غسب . وإن أصبحت إليه تعديلات قومت منه ما أعوج ، وأصلحت مواضع الخطأ فيه ، وردت أمور الخلاف بين المؤلف والمسلمين إلى نصائها ، عرفت أن نقل هذا الكتاب ليس خدمة للثقافة وحدها بل هو خدمة للإسلام نصاً ، وليس في ذلك شئ ، من العراة

هذين أهديا إلى اللغة العربية هذه الهدية القيمة ثلاثة من علماء الإسلام تخرجوا من الأزهر الشريف وأتقنوا علوم اللغة والدين ، ثم ساءروا إلى أوروبا فدرسوا فيها وأتموا الدرس ، ثم عادوا إلى وطنهم ، وقد وصلوا قديم الشرق بحديث العرب ، وكوينا الأسمهم هذا المزاج للمقتدر المخلص الذي لا تقوم بهمة إلا غلبه ، ولم ينحرفوا عما ألقوا من الدرس ولكنهم استقبلوا درس الله والدين بمقل جديد ، قد استكمل وسائله بالدرس المنتج والبحث المنبع

وهم من أجل ذلك قد قدروا هذا الكتاب للأسباب التي قدمتها ، وأقبلوا على نقله إلى اللغة العربية وعلى تبيين وجه الحق فيها أشكال على المؤلف من الحق أن محمد لم هذا العمل الخطير وأن نهتج في دعائنا نفوسنا وأعماق ضمائرنا ، لأن الأهر الشريف قد تحرر من ركوده القديم ، واستشرحت وواجهه ، ونهض بالمرحى قبل أن ينشأ خلق ، وأخذ يستردون من أبنائه يؤدون واجهم للثقافة الدينية كما حسن ما يؤدي الواحد ينقلون رأى الأوروبي في قديمنا وحديثنا ، ويقومون هذا الرأي ويلتزمون به وبين طائفتنا وأمرحتنا ومثل العليا بالسط ، كما كان الأعلام من فقهاء المسلمين ومتكلمهم وفلاسفهم يصنعون في المصور الإسلامية الأولى .

ومهما أس على الأساندة المترجمين بما وفقوا له من دقة النقل ويسر لاسلوب وحسن التعبير بل أودى إليهم حقهم من الشناء حين اذكر جهداً عظيماً بدلوه موقعين كل التوفيق وجه ألا يكون أقل مشقة ولا أثقل حلا من جهد الترجمة . قد اعتمد المؤلف على نصوص كثيرة في كتب متفرقة منها العريب ومنها البعيد ، وفي طبعات متعاقبة منها الشرق ومنها الغرب ، وقد حرص المترجمون على ألا يترجموا هذه النصوص من الآنية والفرنسية وعلى ألا يكتفوا بالإشارة إليها ، ولكنهم استصوبوها في مذهب حتى وحدها ، فساروا مع المؤلف في طريقه العلمي سبياً دقيقاً لا تخفى فيه ، وعرفوا كيف فكر ، وكيف قدر ، وكيف وجد الصن وكيف فهمه ، وكيف استخرج منه تارة حتى انتهى إليها .

فيقتد الأساندة الأجلاء محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبدالقادر أصدق الهبة بما بذلوا من جهد ، وما أصابوا من توفيق . وما أشك في أن جمهور المتقنين سيبدون إليهم من الهبة مثل ما أهدى ، وسيستوفون هم بمثل ما عترف لهم به من الجليل .

لأنها اللغة التي لا تتركها لأن طريف الحضارة والحياة تنعقد في ذلك وفيه وقد كانت
المدونة وشعباً واحدة واحدة في العصر القديم هي اليونانية في الشرق والغربية في الغرب، ثم
مع الحضارة والثقافة واحدة واحدة في تصور البصور هي العربية في الشرق والغربية في الغرب، ثم
أول العصر الحديث فقد قامت العربية حياً ثم استأجنت، وصارت لغة ثلاثية وسارة من
وسائل الدروس لآلة حية يمكن الاعتماد عليها. وهت اللغة العربية أن تكون لغة الحضارة
والثقافة في أول العصر الحديث، وأكبرها تمتعاً أن تهر لتحت الأهم الأوروبية الأخرى
التي شتهت، من جهة لا محظوظة ولا سارية، ولم يكن القرن التاسع عشر بقدومه حتى صمحت للغة
الأوربية كلها لغة الحضارة والثقافة والعلم، فطبيعة الأشياء تقضي به أن توجد في مصر
مدرسة أو مدارس للغة الحية الكبرى على الأقل، وأن تلحق مدرسة للغة العربية في كثير من
الهيئات لاجتماعية والعربية. والله هو أن أخذنا شعر مندج من لغة الفرس عن لاجتماعية
ثم نظروا الفرس عن الروسية، فعدوا إلى الترجمة غير المباشرة، فإثر آثار الملان وروسين
في الإنجليزية، المدرسة ثم نفسها من هاتين اللغتين، وعودوا تكرار أب هذا شيء من
موصوف بأنه لا يلائم طبعنا إلى الرق الصحيح، ولكن شيئاً من لاشيء، ولا فائدة،
وعلى هذا نحو نسقت كتباً كثيرة أنشأها هؤلاء الروسيون فصاروا يدهم لنا الشباب
فصروا نلاً غير مباشر من اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

والكتاب الذي نتحدث الآن عن ترجمته من هذه الكتب أثره الكائن الروسي العظيم
نحسب وترجم الأستاذ محمود عبد المنعم مراد إلى العربية ترجمة غير مباشرة، وإنما الذي
لا شك فيه هو أن هذه الترجمة إذا ما تصور أثر الكتاب الروسي العظيم تصويراً دقيقاً بما
نحسبها منه صورة متارة فيها كثير جداً من الخلل والروعة يظهر من كل شيء من هذه
الشيء الحديثة التي لم تتعود أن تراها في تراجم آثار الفرنسيين والذين، بل من آثار من
الروسيين والذين الذين منجية الروسية طبعها الحس الذي يرد الشعور بالأسوء التشكيك
الأساس أي إلى أصل من هذه السدحة الشرقية الخاصة بالنفس. وقد كونا من
الآليات أن نول إن الرجل المصري يرى نفسه في الأدب الروسي أكثر مما يراه في الأدب
الأوربي والعربي لأن حياة الروسي لم تتقدم بعد كما أن حياتنا نحن مارات بعيدة عن التقدم.
ولاحظ أن أول قصة صغيرة ساذجة، يتحدث بها رجل إلى رفيق من رفاقه، فيصور لها
كيف شئت في قلبه لأول مرة حين كان تلام في الساحة عشرة من عمره، ونحن نرى
في الرعب قصة حبة في المشرق، وهو تصور ما أحدثت في هذه القصة من فتنة في قلوب
عشقة بتدوت صفحاتها في سنانهم وصرانهم ومفتهم لاجتماعية، كما يصور أن هذا الحب قد
وقع في قلبه هو كما وقع في قلبه، وأنه أحد في هذه القصة صوراً مخمفة،
والكتاب صورة واحدة منها هي التي تفوقت وسيطرت على غيرها من الصور، وهي صورة
أحد الذي وقع في قلب الآب، فذلك هو الذي ستعجز أن يستتر بعدة من دون غيره
من العاشقين، مع أنه لم يظهر عشقاً، ولم يحدث به وبين أمه صلة ظاهرة، والناحية
الأنثوية حق في الكتاب، هي ناحية التصوير هذا القلب الذي، الذي يدع إلى الحب في غير
اعتباط ولا تحفظ، وبقي في هذا الاندفاع آلاماً وآلاماً، ثم لا نست أمه أن نجيب قليلاً
فبلا حتى تنتهي إلى اليأس، حين ينق الفتي بأنه كان يحب عشيقته فيه.
والكتاب يقرأ في سهولة ويسر، لأن المترجم اصطنع لغة سهلة يسيرة.

هذه المرة الكاتب الروسي العظيم فيدور دوستويفسكي ، ترجمة الأستاذ شكري محمد بياد
(دار الكاتب المصري)

والمتفوق جيمس يعرفون الكاتب العالمي العظيم دوستويفسكي أكثر مما يعرفون ترجمته ،
وكان منهم سبع قصة « المقامر » أو قراءها ، وكثير منهم يعرف ما بين هذه القصة وبين مؤلفها
من صلة . هذا كان دوستويفسكي نفسه محتجاً بداء الذئب ، وقد لقي منه في حياته شراً عظيماً
فنسك في حجة بدل إلى أن أعرض القصة ولا أن أحلها والقراءة خير من التحليل على شكل
حال . ولكن الأخطار قصة ترجمت التي تحدثت عنها آنفاً تقع في روسيا نفسها على حين
تقع قصة للمقامر في ألمانيا وفرنسا .

هذا كانت القصة الأولى تصور لولاً من حياة الروسيين في بلادهم ، فالقصة الثانية تصور
ولاً من حياة الروسيين خارج بلادهم . وأحد أن ، لاحقاً أيضاً أن القصة الأولى تصور حياة
ريفية هادئة تنص ، وحسوتف فيها أنه ، عندئذ ، لأن ترجمته كان صاحب دعة وهدوء
وشعور قوي ووجدن شديد الذئب . فأن قصة دوستويفسكي فيها لا تعرف دعة ولا هدوءاً
ولأنها تصور حركة متصلة لا تريح ولا تستريح ، كما تصور عند شديديت على القارئ قصة
ويستأثر بمحاثة إلى الاستطلاع .

ولست أدري أن قرأت في قصص دوستويفسكي عصرًا شيطانياً ، هذا العصر الشيطاني
يظهر شعوراً قوياً في قصة عذراء . والقصة آخر الأمر موعظة طيبة ، سيجد الذين يرونها
قصة فنية ، وهبة حقيقية نافذة .

شيخ كثر فيل للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد ترجمة الأستاذ لويس عوض (دار
الكاتب المصري)

وهذه قصة انتحارية صغرة ، نوحك أن تكون حكاية طويلة ، قد كتبتها أوسكار . وايلد
أسلوبه الفكاهي الساحر ، الذي يمزج بين التهوؤ والقتوؤ ، وبين الابتسامة والهمس . وهو
وهي تصور الاختلاف بين استمساك الإنجليزي بما وروثوا من الأساطير ، واستمساك الأمريكيين
بما يستعدون من الجديد . فقد اشترى غني أمريكي قصراً لبعض الإنجليز المحافظين ، ومنه
الشيخ هذا الأمريكي إلى أن في قصته شعباً يقهر أثناء الليل ، فينضم على السائمين يومهم ،
ويعرضهم لألوان من الخوف ، قد تحير عليهم شراً عظيماً . ولكن الأمريكي لا يحفل بالشع ،
لأن الأمريكيين لا يؤمنون بهذه السحافات . على أنه لا تكاد يستقر في القصر حتى يظهر له
الشبح بالفعل ، فيعاقبه كما تعاقب الأسرة كلها على الطريقة الأمريكية ، لا يخافون منه ، وإنما
يستهزئون به ويمشون بدهك قلبه حزناً ومحناً . ولكن فتاة من أبناء الأسرة ترق له ، وتطعم
هذه . . . ترا . ترجمت به وروثا ، حتى تروى إلى الهدوء ، والآن وإلى التوبة والندم هي
ما أقدم من خطيئة ، فيموت ، وقد أهدى إلى اللثاة جواهر قيمة .

ظهر حديثاً

وليس ادم في القصة هذه الآراء التي تروى عن الشيخ ، وإياها هذه الآية الفارقة الساحرة بين العقل الانجليزي المحافظ ، والعقل الأمريكي الجرد . ويجعل إلى أن الأستاذ لويس عوض قد تعجل الترجمة ، وأن دار الكتاب المصري قد تعجلت الطبع ، فوفقت في القصة على فصرها ، أنشأ مؤلفه في النحو العربي ما كان ينبغي أن تنوت المتحجم ، وما كان ينبغي نوع خاص أن تفوت المصحح ، والأستاذ لويس عوض جامعي ، وتخصصه في الاتحادية لا يفتر من سمات الخطأ في اللغة العربية . فمضى أن يصطنع الآية فيها يترجم ، ولعل دار الكتاب المصري « أن تصانع الآية في تصحيح ما نطع وتدفع في الدس .

طه حسين

تاريخ النقائض في الشعر العربي للأستاذ أحمد الشايب (مكتبة النهضة بالقاهرة)

أخرج لنا الأستاذ الشايب منذ قريب كتاب « تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني » حاول فيه وصف هذا الفن الأدبي في أطواره المتعددة منذ نشأته في خدعة إلى نحو منتصف القرن الثاني للهجرة . وقد ذهب في تفسير الشعر السياسي في كتابه ذلك مذهبين متقدمين يسيران جنباً إلى جنب ، أحدهما قريب يقف عند قنوه المعروفة : سبب ، ووصف ، وممدح ، وهناء ، وحجاسة وخرأ ، من حيث يتبعه الشعر في أي ألوانه هذه إلى شخص ، أو هيئة ، أو حزب ، أو أمة .. ، والثاني ينظر إلى هذا الشعر من حيث الدية والهدف الذي يسعى إلى سببه أي كان هذا الهدف : كتنفيذ حزب سياسي ، أو تمجيد دمية ، أو مدافعة عن رأي ، أو انتصار لمذهب حكومي ، أو غير ذلك من الأهداف .

وقد أجمع مؤلف فيما أنشأ من فصول ذلك الكتاب بهجاء ما يقوم على شتم ، أحدهما سياسي يسائر الشكوكين الداسي للحزب العربية منذ كانت . ويصف أحوالها وعاملها السياسي في كل طور ، والثاني في يقوم على الجواهر الأدبية للشعر السياسي فيه في كل طور من تلك الأموار . وعلى الشخصيات الداتية لكل شاعر من شعراء ذلك الفن ، وعلى العوامل مسكينة أو الخفية أو الشخصية التي كان لها أثرها في توجيهه الفني .

ولقد كان هذا الكتاب تنهجه وموضوعه ومذهب مؤلفه في البحث محاولة جديدة في دراسة الأدب العربي حقيقة بعناية الباحثين ، ولعلها أن تكون مقدمة لمباحث أخرى في هذا الفن التي مهد لأستاذ الشايب إليه طرائق البحث ودليل مراقبه !

هذا كتاب جديد . في موضوع جديد ، يخرج به الأستاذ الشايب إلى فراء العربية فمن أن نفس سمة أشهر على كتابه الأول !

« الشايب » في الشعر العربي هي اسم معروف لتلك التناشد الطوائف التي يتفصها الشعر . بعضهم بمصاحفين أو مفاهرين ، وأشهرها « النقائض » التي دارت بين حريز والفرزدق والأحطل في العصر الأموي ، والتي أوشكت لشهرتها أن تستأثر بهذا الاسم حتى

ظهر حديثاً

لا سلام الرأس بعد من « الفئاض » إلا أنها تلك الأعاجي والباخرات التي كانت بين
جربان وحبية لا حروب وحروب

من أن الأستاذ اشيب في خفته هذا الطرف لم يقصر حديثه إلى غرض هؤلاء الشغرة
التي وجدتهم وقد بدلت من عهد النبي صلى الله عليه وآله في زمن الأمويين لا
تكون له مقدمات وما أشق قبل عصر الأمويين عذت صرته وميزت وسبوه وتذورت به
به ذلك نافع الذي رثع . وفي هذه الحجة بدأ الأستاذ اشيب بحثه فرجع إلى
الشعر العربي في حجية وصدر الأعلام دارسا متفنيا ، فاحتاج هذا القس من بدو
تصوره ، فغير شاعر في تلك الحجة في عصرين مختارين في تاريخ الشعر العربي ، هاجر
أجدية عصر خفته حجة ، فكان منها ومن العصر الأموي تاريخ تاريخه
الأستاذ في خفته ودرسه من حيث سعى صريح دلت على من خفته ودرسه من هذه الحدود
فغيره في ذلك السك .

هو حقيق من ثلث من طبقات الناحيتين وعلل ذلك كونه من الطبقة
التي من رتبة المودع بعد ليس من طبقة القبول به صنف لأدب العربي في صدره
الشرع به

المسئولية والجزاء للدكتور ش. عماد الواحد وافي (مفتحة عيسى الباني الخدي (الفاخرة)

هذه هي المائدة السابعة من سلسلة مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية ، وهي جملة يشترك فيها طائفة من علماء الدين في الفلسفة والاجتماع ومترجميها ، وهذه استئناف النهضة العلمية في الشرق وتسييف مسائل الفلسفة حتى تصير في متناول كل فرد ، وإن لم يكن له اختصاص بالفلسفة ومباحثها المتقدمة .

والدكتور على عبد الواحد في مؤلف هذا الكتاب هو أستاذ الآداب بكلية الآداب
وهو رئيس هذه الجمعية . وإليه اعمل تحقيق باثنويه أن يحاول أستاذ الآداب في جامعة
يقصر جهده في هذا العمل الخاص من فنون المعرفة على صلابه في الجامعة ، فيؤلف ،
يرأس هذه الجمعية ، ويشتر هذا الكتاب ، هو عمل تحقيق باثنويه ، لأنه مظهر من مظاهر
الابن بالعم ، وهو كحدث مظهر من مظاهر الديمقراطية في هذا العلم ، وإن كان موضوع
مظهر الأرستقراطية !

وكل فرد في الجماعة لا بد له أن يعرف ما عليه من « مشولية » في الجماعة التي ينتمي إليها ، وما يتصرفه من « حزاء » بكاف ، ما يخص من تلك المشولية ، سواء أكانت هذه المشولية وذلك الحزاء مما تشرعه الأديان ، أو مما تعرضه الفوائت ، أو مما تعارف عليه الناس ؛ فلا حرم أن يكون حقاً على كل فرد في الجماعة أن يتمسك بأسباب المعرفة في المشولية والحزاء ؛ وهذا هو المعنى الذي قصد إليه الدكتور وفي كتابه هذا الذي احرص لقرائه على الوجه الذي أراده ليتحقق به النفع العام ، وأحسن قد وفق لتحقيق ما أراد

في مجلات الشرق

أغلام الأفرنج

في الجزء الأول من المجلد الحادي والعشرين من مجلة «المجمع العلمي العربي» بدمشق بحث طيب من الصواب، للاستاذ محمد كرد علي، أورد فيه طائفة غير قليلة من أغلام الأفرنج في نسبهم، بلجوني درسه من الشؤون الشرقية والإسلامية، سواء في نسبهم أو في أفعالهم، وبعد أن صحح ما أورد من تلك الأغلام قال في خاتمة مقاله:

« وقد فككتهم ما وجدت أوقاف بعض أرباب الكفاية مما نشروا في القاموس له، دمشق أو بغداد مجلة نفق برد ما ينشر من هذا القبيل في الكتب والمجلات الأفرنجية تدفع به هذه الأغلام المقصودة عن تاريخنا ومقدماتنا ونفق العلم من هذا الزمان والرجل، فنعرضنا عن هذه دعاة، ومن لا بدعهم من جهة لا يهتم له أحد ويقتل الذين يهتمون به من يريد أن يكون منهم على وثام متأسلاً »

واجب كل عربي

في العدد الأول من المجلد العاشر لمجلة «السياسة» التي تصدرها فريق من طلاب المدارس في بيروت، كلمة صواب « هل من متخلف عن تأدية الواجب؟ » جاء فيها:

« ليس نكون أمة محترمة ما لم يشترك منا عناصر الأمة الإسلامية ويسمى لها من نكون أمة محترمة، وليس هذا إلى ربة الأمم الزاوية ما دام في البلاد أفعال يتوكل من الأسرار وقلة العلماء، الذين مشردون لا بأس هم ولا معهم يفتشون في قصص الله عن ماوى طغوان يمينه، ما دامت الأمة تسيطر على السواد الأعظم من الشعب ولا يزال تصارع الفلاح للكلين، والسجون تجمع بين الصغير والكبير والحق في وسارق الرغيف »

« فإذا أردنا أن نكون أمة محترمة ننبينا أن تهض بمجتمعنا ونرفعه إلى مستوى أعلى بكثير من الذي هو عليه الآن، وفي كل من آمن بالقضية العربية نقول: احدم احتهم ونحوظ في ميوش مكافئة لأصر من والاميه ومعدات الترميه عن العالم والسحب والتفكير »

أدباؤنا المعاصرون

العدد الثالث من مجلة «الوادي» التي تصدر في سداد مثال للاستاذ رفايل بطي تناول به مجلة الدكتور طه حسين بك التي قدم بها زميله في جمع مؤاد الأول لغة العربية

في مجلات الشرق

مقال عبد الحميد بدوي باشا، والتي شرحتها مجلة «الكاتب المصري» في عدد مضى. ثم
تتم من مثاله هذا إلى قوله :
«ولكنني في حق رئيس تحرير الكاتب المصري على تقصيره في حق مجلته وقرائه إذ لم
منع ما حديد فيها فيعرف في كل حزب وميلاته من روح الفكر والأدب العرب المحدثين
من مصريين وغيرهم بالطريقة التي يعرف بها معنى بدوي باشا في حقه في الآراء على الشرق.
على توالي الأيام تقصير كتيبة العربية سفرًا وفي تخيل أدبنا المعاصرين بقلم مجدهم
به حسن.»

الفنانون يكرهون الحياة

في عدد شباط (فبراير) من مجلة «الأدب» التي تصدر في بيروت مقال عدوانه «الافتقار
عند الأدباء» يقدم عند لطيف شرارة تحول فيه تعميل بعض الطواغر الشدة في أدبه.
السوء، فيقول :

«كل ما يختلف به روح الفن عن غيره هو بالتصنيف أنه لا يجب الحياة، هذه المشكلة
التي مرصت عليه فرصاً دون أن يكون في الأمر حق الاختيار أو لمشورة على الأقل
مكافئة يولد — حين يولد — وفي جلته الأنسية هذا المور من حياته، فلا يستأن به
من مظهره بعد أن يكرر وسمو تحت الأسماء إن كان موسيقياً، ومطامعة الكتب إن كان
داعياً، وبحث الأحجار إن كان مثلاً. وتروى الأرباب إن كان رسماً. وهذه حراً
ولا هم له أن يعيش بمقدار ما يصرف همه في مسائل منه وناجيه و، دعه وإجراجه، وهو
في جميع حالاته مصصرف عن الحياة إلى حيز آخر لا يرمي إلا حين يصرورها لنا بما أود
من براعة خاصة واتجاه خاص !»

وحدة الثقافة العربية

وفي العدد نفسه من مجلة «الأدب» رسالة الأستاذ عبد الله بزي من مباحثه في ديورن
ميشن بولايات المتحدة، عدوانياً «وحدة الثقافة قبل الوحدة السياسية» يقول فيها :
«نحن في بلاد العرب بحاجة إلى وحدة ترقية قبل الوحدة السياسية والشرع العربي
بجلاً بحاجة إلى العلم لا إلى السياسة، والبلاد المشتقة في بلاد العرب تحتاج أيضاً إلى نمو
شوط تنافي قبل حاجتها إلى التوحيد والاستقلال — الاستقلال بمفهومه الكامل الذي يقوم
على العلم والبن لا على الجهل، لاداء، وأدنى إداقة على النهضة رفيع سم الشعب وهز
اقتصادياته ومعدراته، وأدنى في نموها وابتشارها في جميع أنحاء لاحتاجة معروفة.»

الى قراء اللغة الفرنسية

إذا أحببتم أن تفتحوا على خير ما كتبه مشاهير الأدباء الفرنسيين فضلاً عن مجلة من أدباء الشرق فترقبوا مجلة « VALEURS » وفي عددهم الرابع الذي صدر في نهاية يناير ١٩٤٦ نخسوس كتباً للمربية وكتراً لسارتر ودايو وميشو وكواريه ومورياه الياباني ومير وديكتور حين موري وحوون وبيير لوييس وحطابن من أندريه جيد وحط حين وغيرهم من فصلا عن خلاصة مقالات الفرنسية والمربية والكتب المربية والفرنسية.

VALEURS

CAHIERS TRIMESTRIELS DE CRITIQUE ET DE LITTÉRATURE
PUBLIES AVEC LA COLLABORATION DES ECRIVAINS DE FRANCE
ET DU PROCHE ORIENT.

Directeur: ETIEMBLE.

SOMMAIRE DU QUATRIEME CAHIER

STEPHANE MALLARME

QUATRAIN INEDIT POUR MERY LAURENT

JEAN-PAUL SARTRE

LES VAINQUEURS

ROGER CAILLOIS

GRANDEUR DE SAINT EXUPERY

HENRI MICHAUX

AU PAYS DE LA MAGIE

ALEXANDRE KOYRE

LOUIS DE BONALD

HUSSEIN FAOUZI

LE CHAT YOGHI

HENRY MILLER

CAUCHEMAR CLIMATISE

KUNI MARUYANA

LETTRE D'UN JAPONAIS A SES AINES

PIERRE LOUYS

LETTRE INEDITE

ANDRE GIDE — TAHA HUSSEIN

DEUX LETTRES

N. BALADI, J. CHEVALIER, ETIEMBLE, H. FELIX, E. FORTI,
B. GUYON, G. HENEIN, H. EL KAYEM, E. MERIEL, E. SIMON.

PAUL PELLIOU, LE CINEMA,
REVUE DES LIVRES, NOTULES, LES REVUES
BULLETIN.

الى قراء اللغة الفرنسية

الى الذين يريدون ان يطعموا على جبرم. يكتفه لاداء لاوربيون ونداء الشرق بقاء
مدرس عدد من ير من (مجمع لاداء لاداء) La Revue du Caire وهو من عدلات
تتاول شتى و حتى الحياة الادبية والفنية لاداء كلفس وربيه دومبيل وفانسو
والدكتور لوت وديرنويه وجان اودير وروبير كامب .

LA REVUE DU CAIRE

REVUE DE LITTERATURE ET D'HISTOIRE

*

SOMMAIRE DU NUMERO DE FEVRIER

- | | |
|---------------|---|
| ANDRE CLOVIS | . . Eté 1944, aux lisières du Maquis (à suivre). |
| RENE DUMESNIL | . La querelle du Diapason. |
| VINCENOT | Une expérience sociale dans un village d'Egypte: El-Agaiza. |
| Dr. LOTTE | Sémantique et Zoologie (du canard à l'Anatife). |
| DUPERTUIS | Demolins et l'Ecole nouvelle (fin). |
| JEAN AUDEBERT | . Aperçus nouveaux sur les religions primitives |

CHRONIQUES

G. W. — Robert KEMP

Abonnements pour l'Egypte P.T. 100
pour l'Etranger le port en plus.

Administration: 3, Rue Nemr, Le Caire.

صورة دوربان جرای

تأليف

أوسكار وايلد

تريب لويس عوض

طبعة مزينة بصورة فنية من فيلم

«صورة دوربان جرای»

أناج «مرومروين ماير»



٣ صفحة

الثنى ٣٠ قرشاً (البريد ٣٤ ملياً)



الباب الضيق

تأليف

الذرية جيد

مربوبه حكيم

مع رسالة من أحمده جيد الى المترجم

ورد طه حسين الى أحمده جيد

قصة الحب النقي الممتاز الذي يرتفع
عن خطوط الحياة اليومية، ويرفع
أصحابه عن هذه الخطوب، وما يزال
يرتفع ويرفع أصحابه حتى يبلغ بنفسه
وهم نوعاً من التصوف يمزج بالحب
الالهي امتزاجاً.

١٤٦ صفحة

الثنى ١٨ قرشاً (البريد ١٢ ملياً)



سبح كائنات قیل

مؤلف
أوسكار وايلد
ترتيب لويس عوض

طبعة منية بغير نقادة من قيلم ٠ م. ج. ٠ م.



التمن ١٨ قرشاً
(البريد ١٦ ملياً)



طهر حديثاً
١٢٨ صفحة



حكايات فارسية

يقلم
بجبي الخشاب

كتاب يحمل إلى قراء العربية عبراً
رقيقاً حسن الموقع في النفس من
هذه الحياة الفارسية الممتازة بما فيها
من رقة وفطنة وفكاهة .

١٩٦ صفحة

الثنى ٢٠ قرشاً (البريد ١٦ ملياً)



من حولنا

قصص مصرية

محمد سعيد العريان

جيل من الناس في أفراحه وآلامه ،
يرى كل قارئ في مرآته صورة من
نفسه ، أو صورة من حوله ، في
إطار قصص رائع في بيته وفي فمه .



٢٦٠ صفحة

الثنى ٢٥ قرشاً (البريد ٢٠ ملياً)



العقيدة والشريعة في الإسلام

تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية

للمستشرق الكبير

جولد تسيهر

نقله إلى اللغة العربية
وعلق عليه

على حسن عبد القادر
دكتور في العلوم الإسلامية
مدير المركز الثقافي الإسلامي بلندن

عبد العزيز عبد الحق
المدرس بكلية الشريعة
بجامعة الأزهر

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين
بجامعة الأزهر

الطبعة ٨٥ قرشاً
(البريد ٤٠ ملياً)

ظهر حديثاً
٤٠٠ صفحة



تحت الطبع

مدرسة الزوجات

تأليف

أندريه جيد

ترتيب صبرى فهمى

تباع كتب
دار الكاتب المصرى
فى المكتبات الشهيرة

وإن أردتم أن تصلكم كتبنا
رأساً بالبريد فارسلوا إلى الدار ثمن
ما تختارون منها مع إضافة أجرة
البريد المحددة .



ظهر حديثاً

قصتان

من الادب الروسى الرفيع

المقامر

تأليف

فيلدور دوستوفسكى

ترتيب شكرى محمد عباد

١٦٩ صفحة

الثنى ١٨ قرشاً (البريد ١٦ ملياً)

*

الحب الاول

تأليف

إيفان ترجنيف

ترتيب محمود عبد النعم مراد

١٠٤ صفحة

الثنى ١٥ قرشاً (البريد ١٢ ملياً)



ليون دوديه

كاتبه وحياته العاصفة

تأليف حسن محمود



تحت الطبع



طبعة مزينة بالصورة

الكاتب المصري

مجلة ادبية شهرية

تصدرها دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية

وتطبع بمطبعتها

رئيس التحرير

طه حسين

سكرتير التحرير

حسن محمود

إدارة الطابع المصري

• شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

الامتراك

يدفع مقدماً باسم « الكاتب المصري »

١٠٠ قرش في السنة لمصر والسودان

١٢٠ قرشاً في السنة للخارج أو ما يعادلها

مجلة الكاتب المصري تعني بكل ما يرد إليها من المقالات
والرسائل ولكنها لا تلتزم بنشرها ولا ردّها

التم بصر : ١٠ قوسه